الفكر السياسي عند سولون

أيمن بن حميد

مجلس الثقافة العام

الفكر السياسي عند سولون

ومساهمته في نشوء الديمقراطية

الفكر السياسي عند سولون

ومساهمته في نشوء الديمقراطية

تأليف

أيمن سعد بن حميد

الناشر
مجلس الثقافة العام

اســـم الكـتاب	الفكر السياسي عند سولون ومساهمته في نشوء الديمقراطية
اســـم المؤلـف	أيمن سعد بن حميد
سـنـة النـشــر	2006 م
رقــم الإيــداع	7240 / 2006 م
الترقـيم الدولـي	ISBN 9959 - 38 - 154 - 4
تصميم الغـلاف	علي العباني
لـوحــة الغـلاف	عاطف الأطرش
التنفـيذ الفـنـي	عاطف الأطرش - نجلاء المنقوش

إصدارات

مجلس الثقافة العام

المقر الرئيس - مجمع المؤتمرات - سرت

هاتف 002185468622 - بريد مصور 002185473161

فــرع طرابلس - عمارة الواحات - شارع عمر المختار

هاتف 00218214449894 - بريد مصور 00218213335388

ص ب 2764 طرابلس

فــرع بنغــازي - الفويهات الغربية - الطريق الدائري الثاني

هاتف 00218612241577 - 00218612241578

بريد مصور 00218612241576 - ص ب 9351 بنغازي

بريد إلكتروني - LCC2_2005@yahoo.ca

الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى

تنفيـذ الطباعـة

القـاهـرة ت 0020123140315

الإهـــداء

إلى روح عميد الأدب العربي :-

الدكتور طه حسين رحمهُ الله

مقدمـــة

يـــدرس هذا البحث موضوعاً أصبح اليوم يهم جميع الشعوب والأمم على اختلاف أجناسها وتباين انتماءاتها الحضارية والسياسية، وأقصـــد به الديمقراطية فكرة وتطبيقاً، وبشكل أكثر تحديداً تبحث هذه الدراسة عن نشأة الديمقراطية على يد أحد المفكرين اليونانيين.

لقد قيل إن الناس لا يعملون شيئاً إلا وهم يقصدون إلى ما يظهر لهم أنه خير[1]، وإذاً فالاهتمام الحديث بالديمقراطية يأتي من كون إن جمـــيع الأمم قد وصلت إلى الاقتناع بأن الديمقراطية هي أفضل حالة يمكن أن يكون عليها النظام السياسي، وذلك انطلاقا من المزايا العامة للديمقراطية، والتي منها على سبيل المثال:-

1) إنها الحالة الوحيدة التي لا تكون فيها السلطة السياسية في المجتمع لفئة أو جماعة على حساب باقي الفئات والجماعات.

2) إنها الحالة الوحيدة التي تتم فيها كفالة حقوق و واجبات متساوية لكافة أفراد المجتمع ودون أي تمييز لأي سبب كان.

---

(1) أرســـطاطاليس، السياســـة، تـــرجمة : أحمد لطفي السيد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط2، 1979، ص92 .

3) إنهـــا الحالة الوحيدة التي يتم فيها إقرار الحريات الفردية والعامة وضمانها وحمايتها.

ورب قـــائل يقول :- إن أنواع الديمقراطية كثيرة، وصورها مختلفة، مما يترتب عليه أن توفر وتحقق المزايا السابقة في أحد الأنظمة السياســية، لا يشـــترط توفرها أو تحقيقها في أنظمة سياسية أخرى تطبق الديمقراطية بأشكال أخرى مختلفة.

إن الرد على مثل هذا الاعتراض ينطلق من حقيقة أساسية هي أن جوهـــر الديمقراطية واحد وهو (حكم الشعب) كما يفهمه عامة الناس، أما ما وراء ذلك فخارج عن نطاق بحثنا.

لكن ذلك لا يعني عدم الحاجة إلى دراسة أصول الديمقراطية، الأمر الذي تعززه ثلاثة حقائق هي:

أ- إن العـــلم الحديث بصفة عامة أصبح يسعى إلى الربط بيننا وبين القدماء، كما يقول جوزيف كامبل[1].

ب- إن من أكبر الأخطاء التي يقع فيها الكثير من المفكرين هي تلك المـــتعلقة بمسألة (القديم والحديث) ولقد أجاب طه حسين على هـــذه المســـألة فقال إن القديم لا يصبح قديماً إلا إذا انتهى نفعه

---

(1) جوزيف كامبل، قوة الأسطورة، ترجمة : حسن صقر وميساء صقر، دار الكلمة، دمشق، ط1 ، 1999 ، ص16.

وبطلت فائدته، مثل الأدوات المعدنية والآلات وخلاف ذلك مما كـــان يستعمل في الأيام الخالية . أما الفكر فيظل حديثاً حتى لو كان من نتاج مفكرين قدماء، ما دام فيه منافع للناس[1] .

ج- إن معـــرفة الأصـــول تفيد كذلك من وجه أنها تبين لنا أسباب النشأة، أي الظروف الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية التي أدت إلى ذلك .

ومما تقدم تتضح لنا نقطتان هامتان :-

1) إن أهمـــية الديمقراطـــية تجعـــل منها موضوعاً جديراً بالبحث والدراسة.

2) إن مـــن المستحسن البحث عن الأصول لدراسة كل موضوع للوصول إلى حقيقته.

فما هي أصول الديمقراطية؟

لـــيس من المبالغة في شيء القول إن " الحياة المعاصرة وبخاصة في الجـــزء المتعلق منها بالمجتمعات الغربية مدينة لليونانيين بكل شيء تقريباً - اللهم إلا الآلات -[2]، وذلك أن أثر اليونانيين لا يزال حياً

---

(1) أرسطاطاليس، السياسة، ترجمة : أحمد لطفي السيد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط2، 1979 ، ص92.

(2) أرســـطاطاليس، السياســـة، ترجمة : أحمد لطفي السيد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،ط1979، ص92.

شـــديداً مؤثراً، لأن أصول جميع الأشياء نجدها عند اليونانيين، ومن بـــين ذلـــك الديمقراطـــية، فلم تسبق أية حضارة في العالم الحضارة اليونانـــية في تطبيق الديمقراطية عملياً في صورة نظام سياسي متكامل والتـــنظير لها في أفكار ودراسات واضحة ومحددة، ومن حسن الحظ أن اليونانـــيين في كـــل ذلك لم ينسوا أن يؤرخوا لنا عن نشأتها . فأصـــبحنا نعـــرف أنـــه لعهد دراكون لم يعرف اليونانيون (فكرة الديمقراطية) ولكن الكثير من الأسباب والعوامل تضافرت لتظهر لنا الديمقراطـــية عـــلى يـــد سولون الذي كان هو :- (أبو الديمقراطية اليونانية) عملياً ونظرياً.

وليســـت الظروف التاريخية (زمانياً ومكانياً) هي وحدها التي تفســـر لنا ظهور فكرة الديمقراطية ونظامها في بلاد اليونان على يد ســـولون بالذات، ذلك إن تفسيرها بهذا الشكل مع إغفال (العامل الشخصي) أو ما يسميه فرويد بـــ (الجبلة) تنتج عنه رؤية للموضوع تتســـم بالأحاديـــة وضيق الأفق فإن شخصية سولون في حد ذاتها موضوع يحتاج إلى التحليل لكي نفهمه بوضوح فضلا عن كونه أحد سبعة هم أول من سموا في البشرية حكماء. وهو أحد أساطين العلم والسياســـة والقانون في بلاد اليونان، ولقد كرمه الأثينيون جميعاً [1]،

(1) جوزيف كامبل، قوة الأسطورة، ترجمة : حسن صقر وميساء صقر، دار الكلمة، دمشق، ط1، 1999، ص16.

وعد عمله السياسي أحد المعجزات التاريخية الكبرى[1].

مما سبق يمكن أن نخلص إلى :-

1- أهمية الديمقراطية .

2- أن فهم الديمقراطية يقتضي معرفة أصولها .

3- أن أصول الأفكار والنظم الديمقراطية موجودة عند اليونانيين .

4- أن سولون هو أول من نظر للديمقراطية ووضع لها نظاماً متكاملاً.

وسوف تبحث هذه الدراسة :- فكر سولون السياسي للوصول إلى مساهمته في نشأة الديمقراطية فكرة وتطبيقاً.

أسباب اختيار الموضوع :

1) إن الديمقراطية أصبحت مطلباً أساسياً تسعى كل شعوب العالم إلى الظفر بها، وإقامة أنظمتها السياسية على أساسها، مما يتطلب معرفة أسباب وظروف نشأتها في أصولها الأولى.

2) إننا إذا كنا كما يقول بولبيوس الميجالي لا نستطيع أن نفهم السياسة أو أن ندرسها نظرياً أو عملياً إلا إذا درسنا التاريخ[2]،

---

(1) نفس المرجع السابق ، ص 16.

(2) جوزيف كامبل، قوة الأسطورة، ترجمة : حسن صقر وميساء صقر، دار الكلمة، دمشق، ط1، 1999، ص16.

فإنــــنا كما يقول طه حسين "لا نستطيع أن نفهم حياتنا الحاضرة إلا إذا رجعـــنا إلى أصـــولها، وأصول الديمقراطية موجودة عند اليونانـــيين"[1]. لذلـــك فلكي نفهم الديمقراطية الحديثة لا بد أن نفهم أصولها القديمة.

3) إن الدراســـات الحديثة قليلاً ما تهتم بهذا النوع من الموضوعات، ومن ثم فإن البحث فيه يعد معالجة لهذا الإهمال.

4) إن للباحث اهتماما شخصيا بالموضوع.

---

(1) أرسطاطاليس، السياسة، ترجمة : أحمد لطفي السيد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط 2 ، 1979 ، ص. 92.

الفصل الأول

الحياة في اليونان القديمة

* المبحث الأول: الحياة الاجتماعية والثقافية
* المبحث الثاني: الحياة السياسية والقانونية

المبحث الأول

الحياة الاجتماعية والثقافية

بـــات من ثوابت المعرفة الإنسانية اليوم، إن الإنسان يؤثر في بيئـــته ويـــتأثر بهـــا[1]، وتختلف مقدمات هذا التأثير والتأثر ونتائجه ومظاهـــره وأســـاليبه، باختلاف مزاج الشخص وقوة عقله وإرادته وعوامـــل أخـــرى كثيرة. ويتميز بعض الناس بقدرتهم على التأثير الشديد في بيئتهم، مما يسمح لهم بأن يرسموا خطى التطور للإنسانية في مجـــال أو أكـــثر من مجالات الحياة، ومن بين هؤلاء سولون أحد الذين كان لتأثيرهم أبعادا متعددة، إلا أن أبرزها وأكثرها أهمية البعد السياســـي في جانبيه النظري والعملي، والذي يستهدف هذا البحث الـــتعريف به، وتحديداً في الجزء المتعلق منه بالديمقراطية. إلا أن القيام بذلـــك يتطلـــب أيضـــاً الـــتعريف بعصر سولون وبيئته، وبالنظم الاجتماعـــية والفكـــرية التي كانت سائدة فيهما، وذلك حتى يفهم ســـولون فهماً صحيحاً، ولأن دراسة حياة أي مجتمع تتطلب الكثير مـــن الوقت والجهد. لذا سيقتصر هذا الفصل على دراسة الخطوط

(1) طه حسين، قادة الفكر، مرجع سبق ذكره، ص7.

العامـــة لـــتلك الحـــياة على أساس تقسيم تاريخ الأمة اليونانية إلى عصرين: عصر جاهلية وعصر حضارة :

1) **عصر الجاهلية:** يحدد أسوالد إشبنجلر تاريخ قيام الأمة اليونانية بنحو عام (1001ق.م)[1]، وبذلك فإن عصر جاهليتها يمتد منذ نهاية الألف الثاني قبل المسيح، ويستمر حتى عصر حضارتها حوالي القرن السابع قبل المسيح[2]، وتظهر جاهلية اليونان وكأنها فترة سبات عميقة – ماعدا بعض الومضات مثل ظهور هوميروس وهزيود – لتدخل الأمة اليونانية بعدها إلى عصر حضارتها .

2) **عصر الحضارة:** ويبدأ مع بداية القرن السابع قبل المسيح ويستمر حتى القرن السابع بعد المسيح[3]، مما يجعل عصر سولون جزءاً من عصر حضارة اليونان، ولكننا في هذه الدراسة سوف نقف عند تاريخ وفاة سولون (560 ق.م)[4]. أما الاستشهاد بأقوال وأفكار من جاءوا بعد سولون فيعود إلى أن ما قالوه يعود بأصوله إلى

---

(1) أسوالد اشبنجلر،تدهور الحضارة الغربية، ترجمة: أحمد الشيباني، منشورات دار الحياة، بيروت، ج2، ط1، 1964، ص279 .

(2) جان بيار فرنان، أصول الفكر اليوناني، ترجمة: سليم حداد، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 987، ص7 .

(3) أرنولد توينبي، تاريخ الحضارة الهيلينية، ترجمة: رمزي جرجس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ب.ط، 1963، ص 7 .

(4) أحمد عثمان، الشعر الإغريقي: تراثاً إنسانياً وعالمياً، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ب.ط 1984، ص112 .

الفترة التي تتناولها الدراسة. إلا أن هذا الفصل بين عصر الجاهلية وعصر الحضارة، ليس إلا فصلاً افتراضياً تم اعتماده لأغراض البحث فقط، فالحياة الإنسانية عموماً هي كل متصل. أما أهم الأسس التي اعتمدت في هذا البحث للتمييز بين العصرين فهي عاملا الانتشار[1] والنشأة. فظهور الوحدات السياسية المنظمة في بلاد اليونان (دول - المدن) والذي هو أحد العلامات الفارقة بين جاهليتها وحضارتها، كان قد بدأ منذ القرن الثامن قبل المسيح[2]، ولكن نظام دولة المدينة لم ينتشر ويصبح النظام السائد في بلاد اليونان إلا في القرن السابع قبل المسيح[3]، أما الكتابة وإن كانت قد عرفت في بلاد اليونان في وقت سابق إلا أنها لم تنتشر بين العامة إلا في القرن السابع قبل المسيح[4]. أما عامل النشأة فيقصد به ما شهدته بلاد الإغريق في القرن السابع قبل المسيح من ولادة الشعر الغنائي [5] والفلسفة والنثر اليوناني، فاليونانيون قبل سولون كما يقول أسوالد إشبنجلر: "لم يزودونا بأي خبر

---

(1) معيار وضعه الباحث .

(2) و. ج. دي بورج، تراث العالم القديم، ترجمة: زكي سوس، دار الكرنك للنشر والطبع والتوزيع، القاهرة، ج1، ط1، 1965، ص111 .

(3) أرنست باركر، النظرية السياسية عند اليونان، ترجمة: لويس اسكندر، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، ج1، ب.ط، 1966، ص57 .

(4) جان بيار فرنان، أصول الفكر اليوناني، مرجع سبق ذكره، ص30 .

(5) أحمد عثمان، الشعر الإغريقي، مرجع سبق ذكره، ص97 .

أو تحديد عام أو اسم حقيقي". [1]

الاســـم: عرفت الأمة اليونانية عدة أسماء أطلقت عليها، فقد سمى هوميروس شعبه باسم (الأرجيين) و(الدانايابين) وأكثر اسم استخدمه هو (الآخيين)، والاسم الأخير عرف قبل هوميروس بكثير فقد أشار الحيثيون في نحو القرن الرابع عشر قبل المسيح إلى مملكة (الأخخيافا) ويؤكد بعض العلماء أن هذا الاسم هو نفسه اسم (أخايا)، كما تشير النقوش المصرية في عهد الفرعون (مرنبتاح) - القرن الثاني عشر ق.م - إلى شعب (الآخيين) الذين حاولوا غزو مصر مع شعوب أخرى. ثم استبدل اليونانيون هذا الاسم فسموا أنفسهم بـــ (الهيلينيين)[2] وأسماهم الرومانيون (الإغريق) وهو الاسم الذي يعرفهم به الأوروبيون اليوم[3].

أما العرب فأسموهم (اليونانيين) حيث رأى المسعودي أنهم يرجعون إلى (يونان بن يافث بن نوح عليه السلام) ومن هنا اشتق اسمهم [4]، ويذهب رأي آخر إلى أن المسعودي قد أخطأ وأن العرب

(1) أسوالد إشبنجلر، تدهور الحضارة الغربية، ج2، مرجع سبق ذكره، ص55 .
(2) أرنولد توينبي، تاريخ الحضارة الهيلينية، مرجع سبق ذكره، ص ص 10-11 .
(3) موزيس فينلي، عالم أوديسيوس، ترجمة: حلمي عبد الواحد خضرة، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، ب.ط، 1968، ص10 .
(4) أبو الحسن المسعودي، أخبار الزمان ومن أباده الحدثان وعجائب البلدان والغامر بالماء والعمران، دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت، ط4، 1980، ص93 .

قد أسموهم (اليونانيين) نسبة إلى القبيلة (الأيونية) إحدى القبائل الأربع الكبرى التي تكونت منها الأمة اليونانية[1].وأشاع نيتشه اسم الحضارة الأبولونية للإشارة إلى الحضارة اليونانية، حيث رأى أن الإله أبولو رمز الانسجام والاعتدال هو المعبر عن هذه الحضارة ، وهي تسمى أيضاً الحضارة الكلاسيكية. وسنستخدم هنا جميع هذه الأسماء للإشارة إلى جماعة واحدة.

أصـــل اليونانيين: للحديث عن أصل هذه الأمة لابد أولاً من الإشارة إلى حضارة سبقتهم إلى الوجود وعنها تحدر مجتمعهم، وهي:

الحضارة الإيجية: يقول جورج سارتون عن هذه الحضارة: إنها " ازدهرت في جزر الأرخبيل وأجزائه المترامية إلى الجنوب والشرق من جزيرة قبرص، وازدهرت كذلك في شبه الجزيرة اليونانية والجزر الأيونية القريبة منها، وفي جزء صغير من الشمال الغربي للأناضول أي إقليم طروادة وانتشرت حتى شملت السواحل الأخرى للبحر المتوسط ". وهذه الحضارة بدأت منذ قرون موغلة في القدم حيث استقلت كريت بنفسها وأقامت في "فايستوس وماليا وكنوسوس حضارتها القصرية الأولى ((2000 - 1700 ق.م))". وإذ كانت الجزر كثيرة في حوض البحر الإيجي، فقد اضطر أهله إلى ركوب

---

(1) سيد أحمد الناصري، الإغريق: تاريخهم وحضارتهم من العصر الهيللادي حتى قيام إمبراطورية الإسكندر الأكبر، دار النهضة العربية، القاهرة، ط4، 1994، ص37.

البحر وإجادة فنون الملاحة، ثم أسسوا أعظم أسطول في التاريخ على حد قول المؤرخ اليوناني توسيديد، إبان عهد ملكهم مينلاوس حوالي عام (1800 ق.م) والذي بلغت الحضارة الإيجية أوجها في عهده حتى أسماها بعض المؤرخين بالحضارة المينوية نسبة إليه. يقول جان بيار فرنان " بين الأعوام ((2000 -1900 ق.م)) اندفعت شعوب جديدة إلى اليونان القارية .. شكل غزاة المينويين طليعة القبائل التي جاءت تستقر في هيلاس - وسط اليونان - ثم حلت في الجزر واستعمرت شواطىء آسيا الصغرى، كما اندفعت باتجاه المتوسط الغربي ويممت شطر البحر الأسود لتشكل العالم اليوناني كما نعرفه في العصر التاريخي، وسواء هبطوا من البلقان أو جاءوا من سهول روسيا الجنوبية فإن أجداد الإنسان اليوناني هؤلاء ينتسبون إلى شعوب هند أوروبية. وعلى الرغم من اختلاف عادات الإيجيين عن عادات أهل شبه جزيرة اليونان القدماء فإن ذلك لم يمنعهم من السيطرة عليهم وحكمهم.

وقد خلّف لنا التاريخ من بقايا أهل كريت تماثيل صغيرة الحجم تشير إلى ازدهار الفن عندهم، وبقايا قصور فخمة تشير إلى حياة الدعة والترف التي كانوا يحيونها. وعندما انقضى عصرهم الذهبي في نحو(1500 ق.م) خلفهم (الموكينيون) فساروا على نهجهم حتى نحو (1200 ق.م) حين انتهت حضارتهم بسبب الغزوات التي

تعرضوا لها [1]، لتسيطر المملكة الميسينية على كريت، وتتوسع في استعمارها في الفترة ما بين القرن الرابع عشر قبل المسيح إلى القرن الثاني عشر قبل المسيح، وهو ما "دفع الآخيين إلى أن يحلوا محل الكريتيين في المتوسط الشرقي مع فاصل زمني معين وفقاً للأمكنة. واعتباراً من مطلع القرن الرابع عشر استعمرت رودس من قبلهم "[2].

حقبة الغزوات: بدأت الهجرات تتجه إلى حوض البحر الإيجي في أواسط أوروبا، وكان هؤلاء المهاجرون الغزاة هم البرابرة الآخيون والدوريون (سكان شمال أوروبا)[3]. وقد قام الغزاة بتدمير "كريت" في الفترة التي يسميها العلماء بـــ **"الطور الثاني من الحضارة المينوية**

---

(1) 1- عبدالرحمن بدوي، ربيع الفكر اليوناني، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط4 ، 1969، ص37.

2- موزيس فيلني، ابتكار السياسة: الديمقراطية والسياسة في اليونان وروما الجمهورية، ترجمة: تمام الساحلي، دار الحقيقة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1990، ص137 .

3- جورج سارتون، تاريخ العلم: العلم القديم في العصرالذهبي لليونان، ترجمة: إبراهيم بيومي مدكور، دارالمعارف، القاهرة، ج1 ب ط، 1963، 221ص.

4- جان بيار فرنان، أصول الفكر اليوناني، مرجع سبق ذكره، ص9.

راجع:

أ. و. ج. دي بورج، تراث العالم القديم، ج1، مرجع سبق ذكره، ص ص109-110.

ب. أرنولدتوينبي، مختصر دراسة للتاريخ ج1، ص 40.

(2) جان بيار فرنان، أصول الفكر اليوناني، مرجع سبق ذكره، ص14 .

(3) و. ج .دي بورج، تراث العالم القديم، ج1، مرجع سبق ذكره، ص109 .

المتأخرة" ثم أغارت أفواج منهم على إمبراطورية (الحيثيين) في الأناضول وإمبراطورية مصر ولكنهم ردوا على أعقابهم[1]. ويسمي أرنولد توينبي هذه المرحلة، مرحلة الفراغ بين انهيار الدولة العالمية المينوية وبين قيام الأمة اليونانية ويعتقد أن هذا الفراغ يقع ما بين (5214- 2511ق.م)[2].

وفي نحو (1192 ق.م) هاجم الآخيون طروادة فدكوها دكاً، ليظفروا بثرواتها الضخمة، التي استخدموها لوضع الأسس المادية لحضارتهم [3].

تكون الأمة اليونانية: يقول دي بورج "إن أصول الشعب اليوناني يعسر اقتفاء أثرها"[4]، وحين يتحدث العلامة جورج سارتون عن مرحلة انهيار الحضارة الإيجية وقيام الأمة اليونانية فإنه يسمي هذه المرحلة بـ (المرحلة الغامضة)[5]. ويقر أرنولد توينبي [6] وديورانت[7] بغموض الموضوع، بينما يذهب فنيلي إلى " أن تكوين الشعب الإغريقي والحضارة الإغريقية لم يسر على منهج منظم بل لم

(1) موزيس فينلي، عالم أوديسيوس، مرجع سبق ذكره، ص11 .
(2) أرنولد توينبي، مختصر دراسة التاريخ، ج3، مرجع سبق ذكره، ص40.
(3)ول ديورانت، قصة الحضارة، ج6، مرجع سبق ذكره، ص8 .
(4) و. ج .دي بورج، تراث العالم القديم، ج1، مرجع سبق ذكره، ص109.
(5) جورج سارتون، تاريخ العلم، ج1، مرجع سبق ذكره، ص 234 .
(6) أرنولد توينبي، مختصر دراسة التاريخ، ج1، مرجع سبق ذكره، ص127 .
(7) ول ديورانت، قصة الحضارة، ج6، مرجع سبق ذكره، ص61 .

يكــن في أضيق المعاني أمراً شعورياً"[1]. وأرجح الآراء في هذا الشأن هــو أن أصل الأمة اليونانية يعود إلى القبائل الأربع الآخية والأيونية والأيولــية والدوريــة، الــتي جاءت إلى أرض اليونان واستوطنتها. وبسبب الزيادة الطبيعية في عددهم، مابين (تساليا) و(البلبونيز) خلال القــرنين الــرابع عشر والثالث عشر، فتصاهروا مع البلاسيجيين - الميسينيين، أهل البلاد القدامى واندمجوا فيهم فصاروا شعباً واحداً [2].

طبيعة البلاد: اليونان اسم لبلد يحتل شبه الجزيرة الواقعة في أقصــى جــنوب شرق أوروبا تكثر به السلاسل الجبلية التي تقطع الأرض في غــير انــتظام فتعيق الاتصال بين الناس، أضف إلى ذلك الــبحر الــذي يــتوغل في الأرض فيجعل السواحل شديدة التعرج والالــتواء، فإذا هي تتكون من جزر كثيرة وأشباه جزر، أما المناخ فيتــباين مــن مــنطقة إلى أخرى، فمنطقة (أتيكا) التي غدت أثينا عاصــمتها، يقول عنها شيشرون ": هواء أثينا الصافي الذي يقال أنه كان لــه أكبر الأثر في حدة عقول أهل أتيكا)[3]، أما منطقة أسكرا فيقول عنها هزيود: "بائسة في الشتاء لا تطاق في الصيف وليس فيها خير في أي وقت من الأوقات"[4].

---

(1) موزيس فينلي، عالم أوديسيوس، مرجع سبق ذكره، ص7 .
(2) ول ديورانت، قصة الحضارة، ج6، مرجع سبق ذكره، ص76 .
(3) نفس المرجع السابق، ص 200 .
(4) نفس المرجع السابق، ص 184 .

الدين اليوناني: يقول توينبي عن أصل اليونانيين وعقائدهم الدينية: " تحدر المجتمع الهيليني من المجتمع المينوي، لكن ليس ثمة دليل على وجود عقيدة دينية ترعرعت داخل نطاق المجتمع المينوي وقامت بدور اليفعة للمجتمع الهيليني "[1]. ويناقش توينبي مسألة ما إذا كان المجتمع المينوي القديم قد شهد نشأة دين عالمي جديد أصبح شرنقة تكونت داخلها هيئة المجتمع اليوناني الجديد، ويقول: إن لا أثر لمثل هذه العلاقة بين المجتمعين ويقدم أربعة أدلة على ذلك :

1) البانثيون الأولمبي (مجمع الآلهة اليونانية) :

"اتخذ هذا البانثيون شكله في ملاحم هوميروس حيث ترى الآلهة في صورة البرابرة الذين انقضوا على العالم المينوي خلال الهجرات التي دمرته. وما زوس إلا زعيم حربي آخي حكم الأولمب مغتصباً مكانة كرونوس "[2].

2) الأرباب القدامى:

فحتى الأرباب القديمة التي عبدت في اليونان قبل أن تحل محلها أرباب الأولمب لا يوجد فيها أي أثر للدين المينوي. " إذ كان كرونوس والتيتان كائنات لها نفس مرتبة زوس وعصبته الحربية "[3].

(1) أرنولد توينبي، مختصر دراسة للتاريخ، ج3، مرجع سبق ذكره، ص160 .
(2) نفس المرجع السابق، ج1، ص 111 .
(3) نفس المرجع السابق، ج1، ص 41 .

3) القيمة الروحية للدين :

فقد كان الدين الكريتي المينوي أكثر روحية وسمواً من الدين اليوناني، وآية ذلك ثلاثة أشياء :

أ- إن العابد الكريتي كان يقطع في الأمور الدينية بطريقة جازمة .

ب- العلاقة الوثيقة بين الآلهة المينوية .

ج- إن الديانة المينوية تتجه إلى التوحيد إلى حد كبير، وتحتل الآلهة الأنثى فيها (الآلهة الأم) مكاناً علياً [1]. وعكس ذلك تماماً نجده في الديانة اليونانية .

4) التقاليد اليونانية :

حيث حافظ اليونانيون على خرافة (زوس الكريتي) الذي يولد ويموت ثم يبعث حياً، وهذا عكس (زوس الأولمبي) الذي يظهر أول ما يظهر بالغاً قوياً[2].

أما هيروديت فيقول: إن اليونانيين أخذوا أسماء آلهتهم عن (البلاسجيين) وهؤلاء أخذوها عن المصريين، ولكن العلماء اليوم لا يقرون رأي هيروديت[3].

---

(1) بول فريشارو، الجنس في العالم القديم، مرجع سبق ذكره، ص282 .

(2) أرنولد توينبي، مختصر دراسة للتاريخ، ج1، مرجع سبق ذكره، ص43 .

(3) هيروديت، التاريخ: الكتاب الثاني، ترجمة: محمد صقر خفاجة، دار العلم، القاهرة، ب.ط، 1966، ص ص 154- 155 .

والرأي السائد اليوم أن اليونانيين أخذوا دينهم عن العقيدة المشتركة للشعب (الهند أوروبي) الذي تفرع عنه اليونانيون، فهذا هو أول مصادرهم الدينية .

ولكن إذا كان الدين اليوناني مشتقاً من دين أعم وأسبق منه هو الدين الهند أوروبي الذي كان ديناً واحداً عندما كان (الهند أوروبيون) شعباً واحداً ، ثم تفرعوا إلى شعوب فتفرع دينهم الواحد إلى أديان، كما يؤكد ذلك فوستيل دي كولانج[1]. إذا كان الأمر كذلك فماذا نقول عن (الآلهة الأم) التي كانت بارزة في الحضارة المينوية[2]. ألا تذكرنا بالآلهة هيرا اليونانية[3]؟ وماذا تقول عن زوس الكريتي، ألا يذكرنا بالإله ديونسيوس ؟ بل ماذا تقول عن أهمية دفن الميت التي عرفت عند المصريين القدماء حيث هي واجب ديني مهم، يؤثر تأثيراً جوهرياً على حياة الإنسان في العالم الآخر [4]. وهذا ما عرف عند اليونان وسنتكلم عليه بعد قليل .

أما ديورانت فيقسم مصادر الدين اليوناني إلى مراحل وعناصر

---

(1) فوستيل دي كولانج، المدينة العتيقة: دراسة لعبادة الإغريق والرومان وشرعهم وأنظمتهم، ترجمة: عباس بيومي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ب.ط، 1950،ص6.

(2) جفري بارندر، المعتقدات الدينية لدى الشعوب القديمة، ترجمة: إمام عبد الفتاح إمام، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط2، 1999، ص83 .

(3) فؤاد جرجي بربارة، الأسطورة اليونانية، ب.ن، القاهرة، ط1، ب.ت، ص114.

(4) جيمس هنري برستد، فجر الضمير، ترجمة: سليم حسن، مكتبة مصر، القاهرة، ب.ط، 1956، ص ص 64- 66 .

فيقول : "لقد كان في دين اليونان ثلاثة عناصر وثلاث مراحل رئيسية: عنصر أرضي ومرحلة أرضية، وعنصر أولمبي ومرحلة أولمبية، وعنصر صوفي ومرحلة صوفية، وأكبر الظن أن أول العناصر وأولى المراحل من أصل (بلاسجي – ميسيني) وأن ثانيهما وثانيتهما من أصل (آخي– دوري) وثالثهما وثالثتهما من أصل (مصري – آسيوي). وكانوا يعبدون في المرحلة الأولى آلهة تحت الأرض وفي الثانية آلهة سماوية وفي الثالثة آلهة بعثت بعد الموت ... وسادت العبادة الأولى قبل العصر الهومري، والثانية في أثنائه والثالثة بعده"[1]. ورأي ديورانت هذا يخالفه رأي جورج سارتون الذي يقول: إن أول مصادر الدين اليوناني هو عناصر أخذت من أغلب الأديان السابقة لـــه فمزجت مع بعضها مزجاً. ومن المستحيل اليوم تحديد هذه العناصر بدقة [2].

أما المصدر الثاني فهو هوميروس وهزيود: يقول هيروديت : "ولم يعرف اليونانيون أصل واحد من الآلهة ولا تاريخ وجودها القديم جميعاً، ولا ما هي أشكالها، لم يعرفوا ذلك إلا بالأمس أو بالأمس القريب كما يقولون، وأنا أعتقد أن هزيود وهوميروس قد عاشا قبل عصري بأربعمائة سنة لا أكثر. وهما اللذان دونا لليونانيين أنساب الآلهة وسمياها بألقابها وتكلما عن مرتبة الشرف التي لكل

---

(1) ول ديورانت، قصة الحضارة، ج6، مرجع سبق ذكره، ص 341 .

(2) جورج سارتون، تاريخ العلم، ج4، مرجع سبق ذكره، ص 48 .

منها، واختصاصاتها وفصلا أشكالها "[1]. ويقول أفلاطون في محاورة أيون " إن هوميروس هو أقرب الشعراء إلى الآلهة "[2] وذلك أن ملحمتيه الإلياذة والأوديسا كانتا بمثابة الكتاب المقدس عند الأمة اليونانية، وهذا ما يؤكده جون برنال الذي يقول : " كان هوميروس أول وأعظم الشعراء اليونانيين .. وبقيت أشعاره كالإنجيل لليونانيين مزودة إياهم بالقواعد العامة للإيمان بالآلهة "[3]. وكان دور هزيود أيضاً كبيراً في تأسيس الديانة اليونانية، وذلك أنه وضع قصيدته الطويلة " أنساب الآلهة وفيها سجل مفصل عن تسلسل آلهة اليونان[4].

أمـــا المصدر الثالث للدين اليوناني فهو عادات الشعب نفسه وتقالـــيده: يقـــول أرسطاطاليس : " ولم يتخلف الناس أبداً عن أن يســـبغوا على الآلهة عاداتهم كما أنهم يصورونهم على صورتهم "[5]. ويقول " إكسينوفان الإيلائي : " لم يوجد في العالم كله ولن يوجد فـــيه رجل ذو علم أكيد عن الآلهة .. فالآدميون يتصورون أن الآلهة يولـــدون، ويلبســـون الثـــياب، وأن لهم أصواتاً وصوراً كأصوات

---

(1) هيروديت، التاريخ، مرجع سبق ذكره، ص ص 155 - 156 .

(2) أفلاطون، محاورة أيون، ترجمة: لويس عوض، دار المعارف، ط1، 1969، ص 12 .

(3) جون ديزموند برنال، العلم في التاريخ: بزوغ العلم، ترجمة: علي علي ناصف، المؤسسة العربية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ج1، ط1، 1981، ص 178 .

(4) هزيود، أشعار هزيود: قصيدة أنساب الآلهة، ترجمة: أمين سلامة، دار الفكر العربي، القاهرة، ط4، 1948، ص ص 26- 67 .

(5) أرسطاطاليس، السياسة، مرجع سبق ذكره، ص95 .

الآدمـــيين وصورهم. ولو كان للثيران والآساد أيد مثلنا، وكان في وســعها أن ترسم وتصنع صوراً كما يفعل الآدميونً، لرسمت لآلهتها صـــوراً وصـــنعت لها تماثيل على صورها هي، ولو استطاعت الخيل لصورت آلهتها في صورها، ولصورت الثيران آلهتها في صورة الثيران، والأحباش يصورون آلهتهم سوداً فطس الأنوف، والتراقيون يصورون آلهتهم زرق العيون حمر الشعر "(1).

طبيعة الدين اليوناني: اتخذت الديانة في بلاد اليونان طابعاً وثنياً(2)، فلم يكن اليونانيون موحدين، بل كانوا مشركين مسرفين في إشراكهم، فكثرت آلهتهم وانقسمت إلى نوعين، آلهة قديمة وآلهة محدثة (3).

---

(1) ول ديورانت، قصة الحضارة، ج6، مرجع سبق ذكره، ص 303.

(2) راجع :

أ) أرسطاطاليس، الكون والفساد، ترجمة: أحمد لطفي السيد، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ب.ط، 1932، ص 286 .

ب) أيسوب، القصص الحكيم، ترجمة: مصطفى السقا وسعيد جودة السحار، مكتبة مصر، القاهرة، ط2، 1959، ص284 .

ج) أوربيد، مسرحية هيبو ليتيس، ترجمة: عبد المعطي شعراوي، منشورات وزارة الإعلام، القاهرة، ب.ط، 1984، ص 23 .

د) أوربيد، مسرحية ميديا، ترجمة: عبدالله المسيلمي، منشورات جيل ورسالة ليبيا، ليبيا، ط1، 1972، ص 59 .

(3) إيسكلوس، مسرحية أجاممنون، ترجمة: لويس عوض، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ب.ط، 1948، ص ص 46 – 47 .

فأما الآلهة القديمة فهي آلهة عفا عليها الزمن، وتوالت عليها خطوب الحدثان، فاندثرت أو كادت مع بداية الحضارة اليونانية، فهي بقية لعبادات ساذجة كانت على ما يظهر تخص القبائل الأولى التي نزلت بأرض اليونان، ومن هذه الآلهة الفوريات التي قالت في قصة (الصافحات) لإيسكلوس :

نحن أرباب قدامى كالدهور

عدلنا كان سراجاً في العصور[1].

أما الآلهة المحدثة فهي آلهة الأولمب الذين قال عنهم إيسكلوس:

أيها الأرباب يا جيلاً فتيا

سكن الأولمب جباراً عتيا [2].

وهناك أيضاً آلهة كثيرة جداً، يقول عنهم هزيود : " إن لزوس فوق الأرض الطيبة ما يربو على الثلاثين ألف إله خالد، يقومون كلهم بحراسة البشر ومراقبة أعمالهم "[3]. ويقول أيضاً عن الآلهة الإناث : "ولكن هناك كثيرات غيرهن ويصعب على المرء تلاوة أسمائها"[4].

---

(1) إيسكلوس، مسرحية الصافحات، ترجمة: لويس عوض، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1968، ص 40 .

(2) نفس المرجع السابق، ص 112 .

(3) هزيود، أشعار هزيود: قصيدة الأعمال والأيام، مرجع سبق ذكره، ص 108 .

(4) نفس المرجع السابق: قصيدة أنساب الآلهة، ص 40 .

وتنقسم الآلهة المحدثة إلى قسمين من حيث الأهمية، آلهة مهمة وهـم الآلهـة الإثـنى عشر الذين يكونون مجمع الآلهة (البانثيون) ويرأسـهم زوس[1]، وآلهة أخرى غير ذات شأن وهم من يسميهم أفلاطون " الآلهة الصغار "[2]. وهؤلاء يوجدون في كل مكان ويعتبر زوس سيد هؤلاء الآلهة جميعاً وملكهم، فيصفه أريستوفان بأنه "أقوى الآلهة"[3]، ويصفه إيسكلوس بأنه " سيد الآلهة الجديد "[4] و" السيد القـوي الحديـث التـتويج "[5] وذلك أنه حديث العهد بالسلطان السـماوي مقارنة بالآلهة القديمة. ويسميه هوميروس " الأب الخالد للناس والآلهة" [6] ويدعوه هزيود " أبو الآلهة والبشر "[7] .

صفات آلهة الأولمب :

يقـول أسوالد اشبنجلر : " شكل مجمع الآلهة – البانثيون –

(1) إريستوفان، كوميديات أريستوفان: مسرحية ليستراتا، ترجمة: أمين سلامة، منشورات وزارة الثقافة والفنون، العراق، ج1، ب.ط، 1978، ص 298.
(2) أفلاطون، محاورة رجل الدولة، ترجمة: أديب منصور، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ب.ط، 1989، ص 58 .
(3) أريستوفان، كوميديات أريستوفان: مسرحية الفرسان، ج1، مرجع سبق ذكره، ص90.
(4) إيسكلوس، مسرحيات إيسكلوس: مسرحية بروميثيوس المقيد، ترجمة: أمين سلامة، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1، 1989، ص 144 .
(5) نفس المرجع السابق، ص 156 .
(6) أرسطاطاليس، السياسة، مرجع سبق ذكره، ص 122 .
(7) هزيود، أشعار هزيود: قصيدة أنساب الآلهة، مرجع سبق ذكره، ص 43 .

اليوناني نفسه بوصفه جنساً بشرياً أرقى جنباً إلى جنب والجنس البشري العادي، وكمجموعة أجسام بلغت حد الكمال في تكوينها، وذات إمكانيات عالية متجسدة وحاضرة، لكنها غير مميزة في اللاجوهري من مادة العمل، ولهذا فهي خاضعة للضرورة الكونية التي يخضع لها البشر"[1]، ويقول برتراند رسل : "ولابد لنا أن نعترف بأن العقيدة الدينية، كما هي في هوميروس ليست دينية إلى حد كبير، فالآلهة هناك بشرية إلى أقصى الحدود، لا تختلف عن الإنسان إلا في كونها خالدة ومزودة بقوة خارقة للطبيعة البشرية، أما من الوجهة الأخلاقية فليس ثمة ما يحفزنا على استحسانهم"[2]. وهذه بعض من صفاتها:

1) الخلود :

حيث يقول عنهم هزيود : " الآلهة الخالدين ساكني السماء الواسعة"[3]. وتوجه سافو دعاءها إلى ربة الحب والجمال قائلة "افروديت، أيتها الآلهة الخالدة "[4]، وقال أوربيد : " استأثر الآلهة

---

(1) أسوالد إشبنجلر، تدهور الحضارة الغربية، ج2، مرجع سبق ذكره، ص ص 165 - 166 .

(2) برتراند رسل، تاريخ الفلسفة الغربية، ترجمة: زكي نجيب محمود، جامعة الدول العربية، القاهرة، ج1، ب.ط، 1954، ص 35 .

(3) أشعار هزيود: قصيدة أنساب الآلهة، مرجع سبق كره، ص 40.

(4) سافو، أغاني سافو، ترجمة: عبد الغفار مكاوي، دار المعارف، القاهرة، ب.ط، 1948، ص67.

بالسعادة التي لا تزول " [1].

2) سرعة الحركة :

فقـــد وصـــف هوميروس حركة الآلهة هيرا بأنها انطلقت من السماء إلى الأرض في لحظة [2].

3) صفاتها الإنسانية :

وذلك لما يضطرب فيها من العواطف البشرية[3]، ومثال ذلك:

أ) الحـــب والكره: فعشق الآلهة والإلاهات وأحقادهم المتبادلة سواء مع بعضهم أو مع البشر كثيرة جداً لا يمكن أن تعد [4].

---

(1) أوربيد، مسرحيات أوربيد: مسرحية المستجيرات، ترجمة: علي حافظ، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، 1966، ص 180.

(2) هوميروس، الإلياذة، ترجمة: سليمان البستاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، ب.ت، النشيد الخامس، ص 427.

(3) البير ريفو، الفلسفة اليونانية: أصولها وتطوراتها، ترجمة: عبد الحليم محمود وأبو بكر زكري، مكتبة دار العروبة، القاهرة، ب.ط، 1958، ص55 .

(4) راجع :

أ) هوميروس، الأوديسا، ترجمة: دريني خشبة، دار العودة، بيروت، ط1، 1995، ص 51 وص78.

ب) هـــ. فرانكفورت وآخرون، ما قبل الفلسفة: الإنسان في مغامراته الفكرية الأولى، ترجمة: جبرا إبراهيم جبرا، منشورات دار مكتبة الحياة، بغداد، ب.ط، 1960، ص276 .

ج) أوربيد، مسرحية هيلين، ترجمة: علي نور، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ط1، ب .ت، ص106 .

ب) الحزن: كحزن ثيتيس على ولدها آخيل ويظهر ذلك في قولها :
" وهل ولدتك كي تشقى وتشقيني ؟ "[1].

ج) الغضب: كقول هوميروس : " وهيرا تصلى أوار الغضب "[2].

د) الغـــيرة: فغيرة هيرا زوج زوس عليه، نجدها في مواطن كثيرة من الإلياذة أكثر من أن تحصى[3].

هـــ) النـــوم [4].

و) السكر والعربدة[5].

ز) الذل والخزي [6].

---

(1) هوميروس، الإلياذة، ترجمة: سليمان البستاني، مرجع سبق ذكره، النشيد الأول، ص 235 .

(2) نفس المرجع السابق، النشيد الخامس، ص 423 .
انظر كذلك: أريستوفان، مسرحية السلام، ترجمة حلمي عبد الواحد خضرة، مكتبة مصر ومطبعتها، القاهرة، ب.ط، 1962، ص 36 .

(3) هوميروس، الإلياذة، ترجمة: سليمان البستاني، مرجع سبق ذكره، النشيد الأول، ص 242 .

(4) نفس المرجع السابق، النشيد الأول، ص246 .
و كذلك: النشيد الرابع والعشرين، ص 1142 .

(5) نفس المرجع السابق، النشيد الرابع، ص 349 .
وكذلك: فؤاد جرجي بربارة، الأسطورة اليونانية، مرجع سبق ذكره، ص 100.

(6) هوميروس، الإلياذة، ترجمة: سليمان البستاني، مرجع سبق ذكره، النشيد الخامس، ص 406 .
وكذلك: النشيد الحادي والعشرين، ص 1003 .

ح) الكذب والخداع[1].

ط) سوء الأدب [2].

4) تشـــكلها عـــلى أشـــكال الحـــيوان والطير، أو على أية صورة شاءت[3].

خلاصـــة القـــول أن آلهة اليونان كانت بشرية في كثير من صـــفاها وعواطفها فجمعت بين العظمة والانحطاط، وكانت كلفة بالحياة، فانغمست في شهواها فعرف عنها الفجور[4].

عـبادة الموتـى: اعـــتقد اليونانيون أن الإنسان إذا ما مات فإنه ســـيحيا في العالم الآخر الذي أسموه العالم السفلي وإلهه هاديس[5]،

---

(1) نفس المرجع السابق، النشيد الخامس، ص407.

(2) نفس المرجع السابق، النشيد الخامس، ص 434 .

وكذلك: أريستوفان، كوميديات أريستوفان: مسرحية السلام،ج1، مرجع سبق ذكره،ص207.

(3) انظر :

أ- هوميروس، الأوديسا، مرجع سبق ذكره، ص 9 .

ب- هوميروس، الإلياذة، ترجمة: سليمان البستاني، مرجع سبق ذكره، النشيد السابع، ص487

وكذلك: النشيد الحادي والعشرون، ص 1001 .

فؤاد جرجي بربارة، الأسطورة اليونانية، مرجع سبق ذكره، ص 110

(4) جفري بارندر، المعتقدات الدينية لدى الشعوب القديمة، مرجع سبق ذكره، ص85 .

(5) راجع :

وأنه يتحول بعد الموت إلى إله، أي إنهم كانوا يؤلهون موتاهم، يقول فوستيل دي كولانج : "هذا النوع من التأليه لم يكن مقصوراً على عظماء الرجال، إذ إنه لم يكن هناك تمييز بين الأموات. ويقول شيشرون: أراد أسلافنا أن نحسب الناس الذين غادروا هذه الحياة في عداد الآلهة"[1]. يقول إيسكلوس مخاطباً الموتى : "اسمعوا يا جميع القوى السفلى"[2]. ووفقاً لهذا الاعتقاد كان اليونانيون يتضرعون إلى أرواح موتاهم بالدعاء لدفع الضرر واستجلاب الخيرات، ويتوسلون لاسترضائها بتقديم القرابين والذبائح، يقول سوفوكليس : " امضِ فقرب إلى قبر أبيك فهذا هو الذي سيتيح لنا النصر والفوز)[3]. ويقول أوربيد على لسان إلكترا : " تعال يا أبتاه، تعال، إذا كنت في باطن الأرض تسمع صراخ أولادك"[4]. وتقول ابنة أجاممنون لأختها: " قربي إلى قبر أبينا شعري أنا العائذة به، ونطاقي الذي لا حيلة فيه،

=

أ) أفلاطون، محاورة جورجياس، ترجمة: محمد حسن ظاظا، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، ب.ط، 1970، ص 148 .

ب) أسوالد إشبنجلر، تدهور الحضارة الغربية، ج2، مرجع سبق ذكره، ص 64.

(1) فوستيل دي كولانج، المدينة العتيقة، مرجع سبق ذكره، ص 22 .

(2) ايسكلوس، مسرحيات ايسكلوس: مسرحية الفرس، مرجع سبق ذكره، ص 107 .

(3) سوفوكليس، من الأدب التمثيلي اليوناني: مسرحية إلكترا، ترجمة: طه حسين، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ب.ط، 1974، ص 11 .

(4) أوربيد، مسرحيات أوربيد، مسرحية اورست، ترجمة: أمين سلامة، دار الفكر العربي، مصر،ط1، 1966، ص 91.

ثم اطلبي إليه راكعة أن يقبل علينا من أعماق الأرض ليعيننا على أعدائنا "[1]. وكانوا يقربون إلى الموتى " الماء ممزوجاً بالعسل "[2]. فالملكة أتوسا في مسرحية الفرس تقدم اللبن الحلو والعسل والماء والزيت وأكاليل الزهور وتسميها سبيكة الموتى، كما كانت ترتل تراتيل الخشوع قائلة: " تكريماً للآلهة التي تحكم في العالم السفلي"[3].

وفي شعر أوربيد : " واذهبي إلى قبر كلو تمسترا واسكبي مزيج عسل النحل واللبن وزبد النبيذ " [4].

وكانوا يرون ضرورة دفن الميت وإلا فإن روحه ستظل هائمة شقية، ولقد شددوا على هذه المسألة كثيراً، ومن ذلك ما نجده في قول تكروس مغضباً : " أيمكن أن أدعك تحرم أخي في محنته شرف القبر)[5]. أو في قول الرسول في مسرحية الفرس : "مسكين هذا البائس لأنه لم يدفن "[6]. أو في قول أنتيجوني : " فأمر أن يوارى

---

(1) سوفوكليس، من الأدب التمثيلي اليوناني: مسرحية إلكترا، مرجع سبق ذكره، ص21 .
(2) نفس المرجع السابق، مسرحية أوديب ملكاً، ص 201 .
(3) ايسكلوس، مسرحيات ايسكلوس: مسرحية الفرس، مرجع سبق ذكره، ص 106 .
انظر كذلك: ايسكلوس، حاملات القرابين، ترجمة: أمين سلامة، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 1966، ص 45 .
(4) أوربيد، مسرحيات أوربيد: مسرحية أويست، ترجمة: أمين سلامة، مرجع سبق ذكره، ص31 .
(5) سوفوكليس، من الأدب التمثيلي اليوناني، مسرحية أياس، مرجع سبق ذكره، ص 90.
(6) ايسكلوس، مسرحيات ايسكلوس: مسرحية الفرس، مرجع سبق ذكره، ص 95.

أيثيوكلــيس في التراب، وأن يؤدي إليه من الواجبات الدينية ما يسر نفوس الموتى، بينما أعلن الأمر أنه لا يدفن الشقي بولينيس ولا يبكى وأن يترك من غير أن يقبر أو أن تؤدى إليه فروض الدين نهباً لسباع الطــير"[1]. وما كان موت أنتيجوني إلا لأنها تحدت الطغيان لتظفر بقــبر لأخــيها. والإنسان في اعتقاد الإغريق، يبقى في مثل الوضع الاجتماعي والأخلاقي الذي كان عليه أثناء حياته الدنيا، فالملك يظل ملكاً والعبد يبقى عبداً، ولذلك قال سوفكليس : " إننا على اختلاف طبقاتــنا الخاضعون لها في الحياة وبعد الموت "[2]. وقال أوديسيوس مخاطباً شبح آخيل الميت : "ها أنت تحكم هنا وتأمر على جميع هؤلاء الموتى "[3]. فقد كان آخيل ملكاً على المرامدة قبل أن يموت، وتقول الأمــيرة بولوكسينا لآسريها وقد أرادوا ذبحها : " سأقدم رقبتي دون أن أتململ. ولكن بحق الآلهة، دعوني أقف حرة وقت أن تقتلوني، كي أموت حرة، إذ عار علي أن أسمى عبدة في هاديس، وأنا الملكة"[4].

النـار المقدسـة : وهي جزء من الديانة اليونانية، حيث يوجد بكل منــزل مذبح به فحم يظل موقداً باستمرار، ويقول هوميروس عن هذه

(1) سوفوكليس، من الأدب التمثيلي اليوناني: مسرحية أنتيجوني، مرجع سبق ذكره، ص 106 .

(2) نفس المرجع السابق، ص110 .

(3) هوميروس، الأوديسا، مرجع سبق ذكره، ص116 .

(4) أوربيد، مسرحيات أوربيد: مسرحية هيكوبا، ترجمة: أمين سلامة، مرجع سبق ذكره، ص 165.

الـــنار : " النار المقدسة التي تتأجج عنها قبس حياتك "[(1)]. وكان رب كل أسرة يعنى بهذه النار ويحرص على ألا تنطفئ على المذبح، فهي تظل مشـــتعلة مـــا دامـــت الأسرة قائمة حية ولا تنطفئ إلا بانتهاء الأسرة وفنائها، لذلك كانت عبارتا (نار خامدة) و(أسرة فانية) مصطلحين مـــترادفين عند اليونان. يقول فوستيل دي كولانج : " لقد كانت هذه النار شيئاً إلهياً، فكانوا يعبدونها ويؤدون لها شعائر حقة، وكانوا يتقربون إلـــيها بكـــل ما كانوا يعتقدون أنه يمكن أن يكون مقبولاً عند إله من الألهة: زهور وفواكه وبخور وخمر. وكانوا يلتمسون حمايتها ويعتقدون أنها قوية"[(2)]. وكانت العلاقة وثيقة بين آلهة الموقد وبين اليوناني. يقول أســـوالد اشـــبنجلر " إن الأرواح اللطـــيفة الأنيسة للموقد هي أرواح استقرت وتوطدت كاستقرار الإنسان نفسه وتوطده"[(3)]. وهناك دعاء في الأناشيد الأورفية يقول : " اجعلنا دائماً في حالة يسر، دائماً سعداء، أيهـــا الموقد، يا من هو خالد وجميل وفتي على الدوام "[(4)]. ويسمى إله الموقد هذا في مسرحية أوديب في كولونا بـــ (إله منـــزلي)[(5)].

(1) هوميروس، الأوديسا، مرجع سبق ذكره، ص 107.
(2) فوستيل دي كولانج، المدينة العتيقة، مرجع سبق ذكره، ص29 .
(3) أسوالد إشبنجلر، تدهور الحضارة الغربية، ج2، مرجع سبق ذكره، ص 375 .
(4) فوستيل دي كولانج، مرجع سبق ذكره، ص 30 .
(5) سوفوكليس، من الأدب التمثيلي اليوناني : مسرحية أوديب في كولونا، مرجع سبق ذكره، ص204.
وقد أشار أوربيد إلى نار المعابد المقدسة. راجع : أوربيد، مسرحية هيلين، مرجع سبق ذكره، ص126.

القـــدر : فكرة القدر فكرة واضحة في العقائد اليونانية القديمة الـــتي آمنـــت بأن الكون مليء بالآلهة، ولهذه الآلهة مجلس يرأسها، ويـــرأس هـــذا المجلـــس كبير الآلهة زوس، ولكن هناك فوق زوس القدر[1]، الذي يسير الناس والآلهة جميعاً، فلا أحد يستطيع الهرب من قـــدره، أو تغييره مهما حاول واجتهد. يقول أوربيد : " لا مفر من القدر ولا يرد الإنسان سهام القدر مهما تذرع بالحكمة "[2]. ويقول شبح الملك في مسرحية الفرس : " ولكن السماء تلعب دورها سواء بـــالخير أو بالشـــر في حياة الإنسان الخاصة" ويقول برومثيوس الإله المعـــذب : " يتحـــتم عـــلي أن أقاســـي قدري المحدد على خير ما يمكنني"[3]. وزوس نفسه " لا يستطيع الفرار من القدر "[4]، وهذا هو السبب الذي جعل أسوالد اشبنجلر يقول " إن زوس لا يمتلك أكيداً السيطرة التامة على العالم "[5] ومن قبل أراد كرونوس أبو زوس أن يغـــير قدره فما استطاع إلى ذلك سبيلا[6]. لذلك فإن اليونانيين وإن كانوا وثنيين فإن هناك ضرباً من التوحيد كان يغشى دينهم، فألهتهم

(1) جفري بارندر، المعتقدات الدينية لدى الشعوب القديمة، مرجع سبق ذكره، ص 90 .
(2) أوربيد، مسرحيات أوربيد : مسرحية أبناء هرقل، ترجمة : علي حافظ، مرجع سبق ذكره، ص234.
(3) نفس المرجع السابق، مسرحية برومثيوس المقيد، ص 144.
(4) نفس المرجع السابق، ص 162 .
(5) أسوالد إشبنجلر، تدهور الحضارة الغربية، ج2، مرجع سبق ذكره، ص30.
(6) هزيود، أشعار هزيود : قصيدة أنساب الآلهة، مرجع سبق ذكره، ص ص 43 – 44 .

مهمـــا كثرت وتعددت فهناك في النهاية قدر يحكمها آمر ناه لا مرد لمشـــيئته ، ولعـــل هذا ما جعل برتراند رسل يقول : "سيطَرَ القدر سيطرة قوية على الفكر اليوناني كله، وربما كان مصدراً من المصادر التي استمد منها العلم اعتقاده بقوانين الطبيعة "[(1)] .

العرافون والعرافات : كان بإمكان اليوناني أن يتصل بالآلهة عن طريق أربعة أشياء :

- الأحـــلام، فالأحلام لها تفسير ديني عند الأمة اليونانية[(2)]، وخاصة إذا نـــام شـــخص في المعـــبد وحلم أثناء نومه. يقول فرويد عن اليونانـــيين : " كان من المسلم به عندهم أن للأحلام علاقة بعالم الكائـــنات فوق الإنسانية التي كانوا يؤمنون بوجودها، وأنها - أعني الأحلام - تحمل كواشف من عند الآلهة والجن "[(3)]. ويقول هومـــيروس عن بينلوبي : " وأخذتها سنة من النوم، فأقبلت أثينا الكريمة في رؤيا عجيبة، تواسيها وتذهب عنها طائف الحزن "[(4)].
- لحظات الاحتضار، فقد اعتقد اليونانيون أن الإنسان إذا حضرته المنية

---

(1) برتراند رسل، تاريخ الفلسفة الغربية، ج1، مرجع سبق ذكره، ص ص 35 - 36 ..

(2) أوربيد، مسرحيات أوربيد : مسرحية إفيجيني في توريس، ترجمة : محمود محمود، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها، القاهرة، ط1، ب.ت، ص 179.

(3) سيجموند فرويد، تفسير الأحلام، ترجمة : مصطفى صفوان، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1969، ص 44 .

(4) هوميروس، الأوديسا، مرجع سبق ذكره، ص47 .

يستطيع أن يتنبأ بالغيب. قال بروتوكلس وهو يحتضر لهكتور " اذكر مـــا أنبئك به : إن الموت وسوء المصير قريبان منك. وستلقاهما بيد آخيل العظيم "[1]. وقال سقراط لقضاته وقد حكموا عليه بالموت : "هـــاكم نبؤتي التي أحب أن أبلغكم إياها، لأني مشفٍ على الموت، وتلك ساعة يوهب فيها المرء مقدرةً على التنبؤ"[2].

- الالتقاء بأحد الآلهة أو بعضهم شخصياً كما التقى باريس بالإلاهات الثلاث[3]، أو كما التقى هزيود بربات الشعر الغنائي[4].

- الذهـــاب إلى عـــراف لسؤاله عن مشيئة الآلهة، فقد كان في كل مديـــنة العديد من العرافين والعرافات[5]، الذين يتنبئون بالمستقبل عـــن طريق النظر في أحشاء الحيوان، وزجر الطير، يقول أوديب للعـــراف : " بما توحيه إليك الطير من العلم"[6]. ويقول : " علم

(1) هوميروس، الإلياذة، ترجمة : عنبرة سلام الخالدي، دار العلم للملايين، بيروت، ط3، 1979، ص ص 207 - 208 .

(2) أفلاطون، محاورات أفلاطون : محاورة الدفاع، ترجمة : زكي نجيب محمود، جامعة الدول العربية، القاهرة، ب .ط، 1966، ص75.

(3)- أوربيد، مسرحيات أوربيد : مسرحية إفيجيني في توريس، ترجمة : محمود محمود، مرجع سبق ذكره، ص 128 .

(4) هـــ. فرانكفورت وآخرون، ما قبل الفلسفة، مرجع سبق ذكره، ص 277 .

(5) أسوالد إشبنجلر، تدهور الحضارة الغربية، ج1، مرجع سبق ذكره، ص257.

(6) سوفوكليس، من الأدب التمثيلي اليوناني: مسرحية أوديب ملكاً، مرجع سبق ذكره، ص155.

تلقيه في نفسك الطير، أو توحيه إليك الآلهة "[1]. ويقول تيزيه : " وماغيب علينا علمه هيئ للمتنبئين أن يبينوه لنا من نار يفسروها ومن أحشاء الأنعام والطير "[2]. وكذلك كان العرافون يعتمدون على التنجيم وتأويل الأحلام، فقد لجأت لهم كلوتمسترا لكي يفسروا لها حلمها. واعتقد اليونان أن النساء أحذق من الرجال في التنبؤ، يقول فيثاغورس : " إن النساء في مجموعهن أقرب من الرجال إلى التقوى بطبيعتهن "[3]. وفي أيونيا خاصة وجدت نساء سُمين (سيبيلات) أي إرادة الله، ينشرن نبوءات يعتد بها. وفي جاهلية اليونان اشتهر متنبيء زوس في دودونا، أما في العصور التاريخية فاشتهر متنبيء أبولو في دلفي. وكانت الكاهنة إذا أرادت أن تتلقى وحياً تدخل في حالة من الغيبوبة، ثم تنطق بكلمات غامضة تحمل عادة تفسيرات متعددة متضادة، وبذلك تكون صادقة دوماً مهما حدث، وكان الكهنة يحبون كثيراً تلقي الرشاوي لإعلان نبوءات ترضي من يراد إرضاؤه، وعلى الرغم من ذلك كان اليونان يصدقونهم، بل إن دول المدن اليونانية كانت تغير من سياساتها الخارجية تبعاً لما تفهمه من

(1) نفس المرجع السابق، ص 158 .
(2) أوربيد، مسرحيات أوربيد : مسرحية المستجيرات، ترجمة : علي حافظ، مرجع سبق ذكره، ص169 .
(3) برتراندرسل، تاريخ الفلسفة الغربية، ج1، مرجع سبق ذكره، ص47 .

نـبوءات الكهنة لأنهم اعتبروا أن " الكاهن ينطق عن إرادة الآلهة "[1] كما يقول أوربيد. وقد لاحظ بعض الباحثين الدور السياسي للعرافين، ومنهم ديورانت الذي رأى أن هؤلاء العرافين استطاعوا أن يخلقـوا ضميراً دولياً ووحدة أخلاقية بين دول المدن اليونانية، حـين أخـذت هـذه الوحدات السياسية تنشد رضا الآلهة عن طـريقهم "و بفضـل هـذا الأثـر الموحد نشأ أقدم حلف بين الدويـلات اليونانـية وكانت جامعة المندوبين اليونان ((الجامعة الأمفكتيونية)) في أول أمرها حلفاً دينياً مؤلفاً من المقيمين حول هيكل ديميتر القريب من ممر ثرموبيلي "[2]. وقد تعاقد المتحالفون عـلى تحقـيق السلام الدولي فيما بينهم ولكنهم فشلوا في ذلك فانقلبوا متعادين .

دُورُ العبادة : يقول ديورانت : " أما مكان العبادة فيمكن أن يكـون هو موقد الدار أو موقد البلدية القائم في قاعة المدينة العامة، ويمكـن أن يكـون شقاً في الأرض يسكنه إله أرضي أو هيكلاً لإله أولمـبي. وكان حرم الهيكل مكاناً مقدساً لا يعتدى عليه يجتمع فيه العـابدون، و لم يكـن الهيكل مكاناً لاجتماع المصلين بل كان بيت

---

(1) أوربيد، مسرحيات أوربيد: مسرحية إفيجيني في أوليس، ترجمة: محمود محمود، مرجع سبق ذكره، ص 163 .

(2) ول ديورانت، قصة الحضارة، ج6، مرجع سبق ذكره، ص 360 .

الإله "[1]. وتصف سافو في شعر لها أحد المعابد بأنه " معبد كريتاس المقـــدس الذي يمتد حوله بستان جميل من أشجار التفاح تنهض فيه المذابـــح، معبأةً بالبخور"[2]. وكان المسئولون عن المعبد جماعة من الكهنة يشترط لتوليهم هذا المنصب علمهم بالمراسم الدينية، دون أن يشترط فيهم انتماؤهم لنفس المدينة، فإيفيجيني مثلاً أصبحت كاهنة في معـــبد توريـــس رغم أنها لا تنتمي لهذه المدينة[3]، وتجري معاملة الكهـــنة كموظفـــين تـــدار أملاكهم من قبل الدولة. وكان الأفراد يـــتقربون إلى الآلهـــة بالدعاء والصلوات وتقديم الأضحيات، يقول أريستوفان : "كم من قرابين تقدم لآلهة السماء"[4]، " وبعد أن ينال الآلهـــة مـــا يستحقونه "[5] من القرابين على حد قول أوربيد، تتلى صـــيغة دينية ثم يقول قائل : " نادِ الإله "[6] أن احضر ولبي النداء، وأحـــياناً كانوا يقدمون ضحايا بشرية مثلما ضحى أجاممنون بابنته إيفيجيني إرضاءً للآلهة، يقول ايسكلوس:

---

(1) نفس المرجع السابق،ص 349 .

(2) سافو، أغاني سافو، مرجع سبق ذكره، ص 71 .

(3) أوربيد، مسرحيات أوربيد : إفيجيني في توريس، ترجمة :، ص 179 .

(4) أريستوفان، السحب، ترجمة : حلمي عبد الواحد خضرة، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، ط 1، ب. ت،ص27.

(5) أريستوفان، الضفادع، ترجمة أمين سلامة، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 1966، ص45 .

(6) نفس المرجع السابق، ص 45 .

وإلى الهيكل جاءوا بالفتاة

وهي تبكي لأبيها في ضراعة

أنشد الكهان قداس الصلاة

رفعوا البنت كما ترفع شاة

وعلى المذبح بين الصلوات

كمم الكهان أشداق الفتاة [1].

كمــا ضــحي ببولوكسينا وفقاً للطقوس الدينية[2]، ومثلها ماكارية التي قُدمَّت قرباناً[3]. ولكن هذه العادة التي عرفت في عصر الجاهلــية اندرســت في عصــر الحضارة، فأصبح اليونان يضحون بحيوانات معينة، تقول سافو في قصيدها (إلى **أفروديت**) :

أريد أن أضحي لك بلحم عنــزة بيضاء

على المذبح

(1) ايسكلوس، مسرحية أجاممنون، مرجع سبق ذكره، ص 51 .
راجع كذلك :
جوته، مسرحية إيفيجيني، ترجمة محمد عبد الحليم كرارة، منشأة المعارف، الإسكندرية، ط1، 1964، ص 51 .

(2) أوربيد، مسرحيات أوربيد : مسرحية هيكوبا، ترجمة : أمين سلامة، مرجع سبق ذكره، ص ص 140 – 141 .

(3) أوربيد، مسرحيات أوربيد : مسرحية أبناء هرقل، ترجمة : علي حافظ، مرجع سبق ذكره، ص 233 .

وأريد أن أقدم لك قرباناً[1].

الأساطير اليونانية : كانت الأساطير والخرافات المادة الأساسية التي استقى منها اليونان أفكارهم وقيمهم وعقائدهم، بل لعلهم أكثر من استطاع من الشعوب أن ينطلق من الأسطورة ليصل إلى أروع ما وصل إليه الفكر الإنساني من رقي فكري وعقلي. يعرف أسوالد اشبنجلر الأسطورة بأنها " التعبير عن الشعور الخاص للحضارة "[2]، ويرى جوزيف كامبل أن الأسطورة هي " حلم المجموع أي الحلم العام، فهي حلم المجتمع بأكمله"[3]، ويذهب بلوتارك إلى أن الأسطورة يجب أن تحلل تحليلا علمياً، فلبعض الأساطير " أسساً خلقية وعملية "[4]. ويرى فرويد أن الأسطورة تجسيد للأفكار اللاواعية في العقل الإنساني فهي إذاً رغبات مكبوتة في منطقة (الهو) وجدت طريقاً للتنفيس بالتعبير عنها بشكل مموه وإفراغ هذه الشحنة النفسية بشكل خرافة[5]. وإذاً فللأسطورة

---

(1) سافو، أغاني سافو، مرجع سبق ذكره، ص 72.

(2) أسوالد إشبنجلر، تدهور الحضارة الغربية، ج2، مرجع سبق ذكره، ص171.

(3) جوزيف كامبل، قوة الأسطورة، مرجع سبق ذكره، ص 67 .

(4) بلوتارك، إيزيس وأوزيريس، ترجمة: حسن صبحي بكري، دار القلم، مصر، ط1، 1958، ص24.

راجع كذلك : ص 54 وص 60 .

(5) سيجموند فرويد، الأنا والهو، ترجمة : محمد عثمان نجاتي، دار الشروق، القاهرة، ط5، 1988، ص ص 61 - 65.

اليونانية دور فكري حيث كانت رمزاً لكل ما يرغب فيه اليونانيون، كما كان لها دور عملي، حيث استخدموها سواءً كقادة أو كمشرعين سياسيين أو أدباء .. الخ ليعبروا بها عن أفكارهم ويحققوها على المستوى العملي .

وللآلهة دور وموقع أساسيان في الأساطير اليونانية سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، ولا يوجد دين في العالم غني بالأساطير بمثل غنى الدين اليوناني. ولا دين يضاهيه في استخدام الأسطورة بهذا الشكل ليعبر عن عقائده وعباداته[1].

الأخلاق : وفقاً إلى تقسيم الحياة اليونانية إلى عصرين : عصر جاهلية وعصر حضارة فلابد من ملاحظة تشابه واختلاف الأخلاق في العصرين، وفي هذا الخصوص يمكن القول : إن الاختلاف كان يسيراً، أو قل إنه اختلاف ظاهري أكثر من أن يكون اختلافاً جوهرياً. فقد نظر اليونان إلى بداية حضارتهم على أنها أمر طبيعي وتطور عادي، فلم يحسوا بكبير تغيير، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن التطور الذي حدث في بلادهم وأدى إلى انتقالهم من عصر إلى عصر، كان تطوراً في الحياة العقلية أكثر منه تطوراً في الحياة الأخلاقية. صحيح أن تطور الإنسان العقلي يستتبع عادة تطوراً

---

(1) هناك فصل مهم حول منشأ الأساطير في المرجع التالي :

عباس محمود العقاد، الفصول، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، ب.ط، 1973، ص ص 34-39.

علــى المستوى الأخلاقي، ولكن صحيح أيضاً أن هذا الارتباط ليس ارتــباطاً شــرطياً بالضرورة، لذلك يمكن دراسة الأخلاق اليونانية وتعميمها على العصرين مطمئنين إلى انطباقها عليهما معاً ولو نسبياً.

لقــد كــان الــيونان يحبون الحياة ويكلفون بها، لذلك نراهم يكبرون من شأن المتع الدنيوية، ويجتهدون للاستمتاع بأطايب العيش ما اسطاعوا إلى ذلك سبيلا، فكان اليوناني - رجل أو امرأة - ينهمك في الشهوات ما أتاحت لــه الفرص ذلك، لا يردعه رادع عن الأخذ بالحكمــة القائلــة (انتهز الفرصة) بل إن ذلك أصبح سلوكاً للدولة "فمبدأ الإنسان الأبولوني القائل أن انتهز فرص المتعة واللذة ينطبق على الدولة الأبولونية أيضاً "[1]. وأوفيد الشاعر الروماني حين كان يكتب أشــعاره عن (فن الهوى) يستمد معظم صوره الشعرية من الأساطير اليونانــية[2]. كما كان اليونان القدماء يكبرون قيم البطولة فالأبطال " يمــثلون الثروة التي يطمحون إليها، والقوة التي يعتزون بها والشجاعة والــبأس، ومــا إلى ذلــك من الأخلاق والخلال التي يكبرها البدو ويحرصون عليها لأنها قوام حياتهم"[3]. والإلياذة والأوديسا وهي بمثابة كتــب اليونان المقدسة، ليست إلا تمجيداً لأعمال البطولة والشرف،

---

(1) أسوالد إشبنجلر، تدهور الحضارة الغربية، ج1، مرجع سبق ذكره، ص265 .

(2) لأخذ فكرة واضحة عن هذه النقطة راجع :

- أوفيد، فن الهوى، ترجمة: ثروت عكاشة، دار الشروق، بيروت، ط1، ب.ت.

(3) طه حسين، قادة الفكر، مرجع سبق ذكره، ص14 .

ولكـــن وفقـــاً لمقاييسهم الخاصة بهم وبعصرهم الذي كانت فيه حتى الآلهـــة نفسها تمارس كل أنواع الفحش والمجون، فبعض أبطال اليونان لا يـــأنفون من الكذب والخداع ، بل يعدون ذلك من دلائل الذكاء والفطنة، فحين يصل أوديسيوس إلى إيثاكا موطنه بعد غياب عشرين عاماً تتلقاه الآلهة أثينا، فيكذب عليها فتمتدحه لذلك وتقول لـــه باسمة " مرحى يا أوديسيوس .. ما أحسب أن أحداً من الآلهة يفوقك مكراً وبراعة"[1]. وعلى الرغم من كلف اليونان بالحياة فهناك لون من ألوان التشاؤم يغشى حياتهم، وقصة العصور الأربعة تظهر كيف انحدر الناس ابـــتداءً من الجيل الذهبي الذي عاش في ترف وسعادة، وانتهاءً بالجيل الحديدي الذي هو جيل فاسد وعهد دنيء، يقول هزيود : " ألا ليتني لم أولـــد في هذا العهد بل ولدت قبله أو بعده"[2] ويقول ايسكلوس : "تتضـــاعف شـــرور البشر مع تقدم السنين الفانية "[3]. وفي معرض المقارنـــة بين الماضي والحاضر رأى ديورانت أن أخلاق اليونان كانت أخلاق حرب بالقياس إلى أخلاقنا الحديثة التي هي أخلاق سلم[4]. لقد أثـــرت أخـــلاق اليونان في حياتهم السياسية، فأخلاق الناس وعاداتهم كمـــا يقول أرسطاطاليس : " هي الكفيلة بقوام الدولة كما أنها هي

---

(1) هوميروس، الأوديسا، مرجع سبق ذكره، ص138 .
(2) ول ديورانت، قصة الحضارة، ج6، مرجع سبق ذكره، ص190 .
(3) ايسكلوس، مسرحيات ايسكلوس : مسرحية الفرس، مرجع سبق ذكره، ص109 .
(4) ول ديورانت، قصة الحضارة، ج6، مرجع سبق ذكره، ص96 .

وحدهـــا التي صورت للدولة صورها الأولى "[1]. وقد ذهب آرنست باركـــر إلى أن الفكـــر السياسي اليوناني قد رأى أن الدولة هي هيئة أخلاقية "ولهذا عالج موضوعه من وجهة نظر الأخلاق وهو فكر وثيق الصلة بالناحية العملية إلى درجة أنه اعتبر نفسه دائماً دراسة عملية في المقام الأول "[2].

الديـن والحياة الاجتماعـية : تذهب العديد من الآراء القديمة والحديثة إلى أن الدين لم يكن لـــه أثر كبير في حياة اليونانيين إذ ظل دينهم مجرد دين طقوس ليس لـــه مكانة روحية كبيرة في نفوسهم، لذلك لم تشهد عقائدهم وطقوسهم الدينية حدوث تغيير كبير حين انتقلوا من عصر الجاهلية إلى عصر الحضارة. فالحضارة اليونانية التي بدأت مع انتشار الكتابة والقراءة وبزوغ الفلسفة لم يتغير مجرى الحياة الروحية فيها ليبقى دين اليونانيين (دين طقوس) إن صح التعبير، فقد كان بطبيعته بعيداً عن الجزم في الأمور والاستناد إلى تفسيرات غيبية تحكمـــية ومطلقة، ومن ثم فلم يكن هناك سبب يدعو هذا الدين إلى الصـــدام مع العقل اليوناني الذي أخذ يبحث في كل شيء ويحاول معـــرفة أصول كل شيء، وهذا البحث يتعارض مع محتوى العقيدة الدينـــية السائدة، لذلك " لم تنشأ مشكلة التوفيق بين العقل والقلب عـــندما حـــدث الاصطدام بين فلسفة بازغة ووثنية موروثة، ذلك

---

(1) أرسطاطاليس، السياسة، مرجع سبق ذكره، ص290 .

(2) أرنست باركر، النظرية السياسية عند اليونان، ج1، مرجع سبق ذكره، ص27 .

لانعـــدام العلـــة التي تدفع الفريقين إلى الاصطدام، فإن العمل - لا الإيمان - هو لباب الدين البدائي. ولا تتوقف المشاركة في الدين على قبول العقيدة لكنها تتوقف على المشاركة في ممارسة الطقوس الدينية، ومـــا ممارسة الطقوس الدينية في الدين البدائي إلا غاية في ذاتها. ولا يعـــرض لـــلمزاولين لتلك الطقوس أن يطلعوا إلى ما ورائها بحثاً عن الحقيقة التي تحملها تلك الطقوس بين طياتها. وبكلمة أوضح لا تحمل هـــذه الطقوس في الدين البدائي أي معنى سوى الإيمان بالأثر العملي والـــذي يحدثه أداؤها على الوجه الصحيح "[1]. ويقول ديورانت : " يبدو لأول وهلة أن الدين اليوناني لم يكن ذا أثر كبير فقد كان في أصـــله طائفة من قواعد السحر لا من قواعد الأخلاق القويمة، وبقي إلى حـــد كـــبير على هذا النحو إلى آخر أيام اليونان. وكان لصحة المراســـم والطقوس في هذا الدين شأن أكبر مما للسلوك القويم "[2]. ويقول أرنست باركر : " إن الحقيقة التي لا سبيل إلى مناقشتها هي أن الوازع الديني لم يكن لـــه أثر كبير لدى الرجل اليوناني "[3]. إن ديانة اليونان القديمة لم تكن عقيدة وإنما كانت مشاعر تؤدى لأجل استعطاف الآلهة[4]، ولذلك فحين يقول سوفوكليس : " لا ينبغي أن

(1) أرنولد توينبي، مختصر دراسة التاريخ، ج3، مرجع سبق ذكره، ص175 .
(2) ول ديورانت، قصة الحضارة، ج6، مرجع سبق ذكره، ص365 .
(3) أرنست باركر، النظرية السياسية عند اليونان، ج1، مرجع سبق ذكره، ص 12.
(4) برتراند رسل، تاريخ الفلسفة الغربية، ج2، مرجع سبق ذكره، ص34 .

نقصـــر في تقوى الآلهة "[1]، يمكن تفسير هذه التقوى بأنها تعني أداء الطقوس أكثر مما تعني الإيمان القلبي، ويقول أريستوفان : " وليرحل بعيداً من جمعنا كل من لا يعرف تماماً ما توصي به الطقوس "[2] و لم يقل كل ما توصي به العقيدة، وقال أوطيفرون : " إن التقوى هي أن تعلم كيف تسر الآلهة بالقول والعمل بالصلاة والضحايا "[3]. ولأن هذه طبيعة دينهم، فقد كان اليونانيون قادرين على أن يسبوا آلهتهم ببســاطة وعلـــناً وأن يصـــموهم بالمكر والرذيلة، وفي الإلياذة شعر يكشف عن ذلك ويؤكده، فالآلهة هيرا حين تعرج إلى السماء وتأتي زوجها زوس أبا الآلهة وسيدهم تشتكيه من الإلهين أفروديت وأبولو لأنهمـــا أخـــذا يـــنافقان الإله آريس إله الحرب لكي يحققا مآربهما الشخصية، تقول لـــه عن آريس هذا :

" لقد بلواه أليف النفاق .. يسوقانه وهو طبعاً يساق "[4] .

وعلى أساس هذا الاعتقاد حاول اليوناني أن يسترضي آلهته بل وأن يـــنافقهـــم، و(هـــزيود) إذ ينصح أخاه نصائح دينية لا يأمره

---

(1) سوفوكليس، من الأدب التمثيلي اليوناني : مسرحية أنتيجوني ، مرجع سبق ذكره، ص141 .

(2) أريستوفان، مسرحية الضفادع، مرجع سبق ذكره، ص38 .

(3) أفلاطون، محاورات أفلاطون : محاورة أوطيفرون، ترجمة : زكي نجيب محمود، مرجع سبق ذكره، ص 34 .

(4) هوميروس، الإلياذة، تردجمة : سليمان البستاني، مرجع سبق ذكره، النشيد الخامس، ص246.

بـــإخلاص الإيمـــان للآلهـــة، وإنما يأمره بأداء الطقوس على الوجه الصحيح، فيقول لـــه : " وأن تقدم بقدر استطاعتك الذبائح النقية الطاهـــرة إلى الآلهـــة الخـــالدين، وهل لك أن تحرق لهم الدسم من الـــلحوم"[1]. ويـــرى أريســـتوفان أن علاقته بالآلهة ستتوطد بمجرد إجادته لأداء الطقوس، فهو يدعو آلهته قائلاً :

"أي ديمـــتر، يا سيدتي ومغذية روحي اجعليني أهلاً لطقوسك السرية"[2].

أمـــا ايسكلوس في مسرحية (السبعة ضد طيبة) فيقول : إن نســـاء طيـــبة اللواتي خشين سقوط مدينتهن في أيدي الأعداء الذين يهاجمونهـــا، استخدمن أسلوب الإغراء والتهديد في دعائهن للآلهة. فهن يغرين تلك الآلهة بالقول : " أنذر لآلهة مملكتنا الحارسين الذين يســـهرون على حقولنا وعلى شوارع مدينتنا .. أنه إذا صار النصر لـــنا.. ستجري دماء الأغنام فوق مذابح الآلهة "[3] .إلا أنهن يهددن الآلهة أيضاً بالقول : " أية مملكة صالحة للسكنى ستجدونها خيراً من هذه إذا سلمتم إلى أعدائنا أرضنا ؟ "[4].

---

(1) هزيود، أشعار هزيود : قصيدة، الأعمال والأيام، مرجع سبق ذكره، ص112 .
(2) أريستوفان، مسرحية الضفادع، مرجع سبق ذكره، ص73 .
(3) ايسكلوس، مسرحيات ايسكلوس : مسرحية السبعة ضد طيبة، مرجع سبق ذكره، ص210 .
(4) نفس المرجع السابق، ص 211 .

وقال الملك لإيفيجيني : " قومي بالشعائر اللازمة للآلهة "[1]. وقـــال فرجيل - اليوناني عقلاً وفكراً - " كنت أقدم القرابين للآلهة كي تبارك الأعمال التي بدأها"[2].

ويتضـــح مما تقدم أن تركيز اليونانيين على الطقوس وإعطائها الاهتمام الأكبر، كان السبب الأول الذي جعل دينهم أقل روحانية من الأديان الأخرى، وهو ما أدى إلى إضعاف تأثير الدين في السلوك الاجتماعي والمعايير الأخلاقية لديهم، الأمر الذي ينسحب في جانب منه على السلوك السياسي في بلاد اليونان الذي بقي هو الآخر بعيداً عـــن تأثير العقائد الدينية، أما السبب الثاني لضعف ذلك التأثير فهو إحســـاس اليونانيين بأن آلهتهم تتجاهلهم كثيراً، وتشعر نحوهم بعدم المـــبالاة وقلة الاكتراث فإذا كان هزيود يعتقد " إن الآلهة الخالدين يعيشون قريباً من البشر "[3]. فقد كانت الشاعرة سافو تقول : " ما من طريق يوصلنا نحن البشر إلى الأولمب العالي"[4]. وفي الإلياذة وإن كـــثر تدخـــل الآلهـــة في حياة البشر، فإنها ليست مخلصة لهم كل الإخـــلاص، ونجـــد في مسرحية فيلوكتيتس صراعاً أخلاقياً شبيهاً

---

(1) أوربيد، مسرحيات أوربيد : مسرحية إيفيجيني في توريس، ترجمة : محمود محمود، مرجع سبق ذكره، ص215 .

(2) فرجيل، الإلياذة، ترجمة : كمال ممدوح حمدي وآخرون، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، ج1، ط1، 1971، ص 166.

(3) هزيود، أشعار هزيود : قصيدة الأعمال والأيام، مرجع سبق ذكره، ص108.

(4) سافو، أغاني سافو، مرجع سبق ذكره، ص 81 .

بالصراع الأخلاقي الذي يعانيه (هاملت) في مسرحية شكسبير[1]، الأمر الذي يعكسه قول سوفوكليس في هذه المسرحية، " لكن الآلهة يرضـــيهم أن يردواً الأدنياء والأشقياء إلى الحياة، وأن يهبطوا بكرام الناس وأخيارهم إلى دار الموتى. كيف يجب أن نفكر في ذلك ؟"[2]. ويعبر عن شك اليوناني في سلامة طوية الآلهة تجاهه، قول أياس : "إن الآلهـــة يعرفون كل أنواع الكيد "[3]، وهم في رأي اليونان قادرون على استخدام هذا الكيد ضد مصلحة بني البشر. فقد حقدت الآلهة عـــلى الإنســـان حين ظفر بالنار التي أعطاها لـــه الإله برومثيوس، فقـــرروا أن يخلد هذا الإله في العذاب، وخلقوا المرأة الأولى بندورا لتكون شراً على الناس جميعاً[4].كما كان هناك سبب ثالث لضعف تأثير الدين في أخلاق اليونان، وهو جهل الناس بصفة عامة بالأمور الإلهـــية، فقد اعتقد هيروديت بأن "الناس كلهم متساوون في القدر الـــذي يعـــرفونه عن الآلهة "[5] قاصداً أن معرفتهم بها ضئيلة وقال

---

(1) وليم شكسبير، مسرحية هاملت، ترجمة: محمد عوض محمد، دار المعارف، القاهرة، ب.ط،1972.

(2) سوفوكليس، من الأدب التمثيلي اليوناني : مسرحية فيلوكتيتس، مرجع سبق ذكره، ص264 .

(3) نفس المرجع السابق، مسرحية أياس، ص64 .

(4) هزيود، أشعار هزيود : قصيدة الأعمال والأيام، مرجع سبق ذكره، ص ص 100 - 101 .

(5) هيروت، التاريخ : الكتاب الثاني، مرجع سبق ذكره، ص 67 .

بروتاجوراس في حديثه عن الآلهة : " فأما الآلهة فلا أستطيع أن أقول إنهـــا موجودة أم غير موجودة، إن دون معرفة هذا الأمر عوائق جمة أولها غموض المسألة، ثم قصر الحياة البشرية"[(1)]. ويشير أفلاطون في محاورة أكريتس إلى "عدم خبرة الناس بشؤون الآلهة، وجهلهم المطبق بأمورهم"[(2)]. ويرجع هيراقليطس جهل الناس بأمور الآلهة إلى سببين: تشـــكك الناس وقصور الفهم لدى الطبيعة البشرية أصلاً، حيث " إن مـــا هـــو إلهي تخطئه ملاحظة الناس وذلك بسبب شكهم" [(3)]، "ليس للطبيعة البشرية فهم حقيقي إنه للطبيعة الإلهية وحدها "[(4)] .

علاقـة الديـن بالسياسـة : على الرغم مما شهده التاريخ اليوناني من مواقف تظهر دور العامل الديني في توجيه سياسة الدول، إلا أن أثـــر الدين في السياسة عند الإغريق كان ضئيلاً بشكل عام، يقول ديورانـــت في ذلـــك " وكانت كل حكومة ترعى الطقوس الدينية الرسمية وترى أنها لا بد منها للنظام الاجتماعي والاستقرار السياسي، عـــلى أنه بينما كان الكهنة في مصر وبلاد الشرق الأدنى يسيطرون

---

(1) حسين حرب، الفكر اليوناني قبل أفلاطون : العقل اليوناني على دروب الحكمة، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط1، 1990، ص92 .

(2) أفلاطون، محاورات أفلاطون : محاورة اكريتس، ترجمة : فؤاد جرجي بربارة، منشورات وزارة الثقافة والسياحة والإرشاد القومي، دمشق، ط1، 1968، ص 440 .

(3) فيليب ويلرايت، هيرا قليطس، ترجمة : عبده الراجحي، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1969 ،ص89.

(4) نفس المرجع السابق، ص 89 .

عـلى الدولـة، كانت الدولة في بلاد اليونان هي التي تسيطر على الكهـنة، وكـان لهـا الزعامة في الشؤون الدينية "[1]. فلم يفصل اليونانيون بين المؤسسة السياسية والمؤسسة الدينية، بل رأوا أن الآلهة التي يعبدونها هي في نفس الوقت آلهة المدينة. يقول أرنست باركر : " كانت خصائص الحياة الدينية في بلاد اليونان هي الشعائر الخارجية والطـابع المحلي لتلك الشعائر. ويعنى كل مجتمع بشعائره المحلية قدر عنايـته بشؤونه العامة بل وبنفس الأسلوب. فالدين وجه من وجوه الحـياة السياسية لمجتمع سياسي، أي أنه لم يكن حياة أخرى .. ولم يحدد مجال المدينة اليونانية بوجود هيئة تدعي أنها مساوية للمدينة أو أسمـى منها "[2]. وهذا يعني أن وضع السياسة في بلاد اليونان كان يجري بشكل منفصل عن الإطار الديني، وعليه فإن سولون حين وضع تشـريعاته كمـا سـيأتي الحديث عنها فيما بعد، لم يواجه معارضة المؤسسة الدينية بما يمنعه من القيام بإصلاحاته، وتطبيق أفكار السياسة.

الـرق : وتعـرف العبودية لغة بأنها: خلاف الحرية[3]. وقد

---

(1) ول ديورانت، قصة الحضارة، ج6، مرجع سبق ذكره، ص348.

(2) أرنست باركر، النظرية السياسية عند اليونان، ج1، مرجع سبق ذكره، ص ص 22 - 23 .

(3) إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، منشورات مجمع اللغة العربية، ب. م، ج1، ب.ط، 1961، ص 586.
وللمزيد من المعلومات عن الرق راجع :
أ- محمد شفيق غربال، الموسوعة العربية الميسرة، مؤسسة فرانكلين للطباعة

عـــرف نظـــام الرق في جميع الحضارات القديمة بما في ذلك حضارة الـــيونان، وأجمـــع غالبية مفكريهم على مشروعيته وقالوا بأنه أمر طبيعي، وقليل منهم قال بأنه أمر ظالم. أما الذين رأوا فيه أمراً طبيعياً فيعبر عنهم أرسطاطاليس الذي يقول : " إنما الطبيعة وهي ترمي إلى الـــبقاء هي التي خلقت بعض الكائنات للإمرة، وبعضها للطاعة، إنما هـــي التي أرادت أن الكائن الموصوف بالعقل والتبصر يأمر بوصفه سيداً، كما أن الطبيعة هي أيضاً أرادت أن الكائن الكفء بخصائصه الجثمانـــية لتنفيذ الأوامر يطيع بوصفه عبداً، وبذا تمتزج منفعة السيد ومنفعة العبد "(1). وقياساً على أن النفس أشرف من الجسد(2)، رأى أرســـطاطاليس أنـــه " ينبغي أن يعرف بادئ الأمر في الكائن الحي، وجـــود سلطة تشبه سلطة السيد وسلطة الحاكم معاً. النفس تتسلط على البدن كسيد على عبده، والعقل على الغريزة كحاكم، كملك وإذاً فـــبديهي أنه لا يستطاع إنكار أن يكون من الطبيعي ومن الخير للجســـم أن يطيع النفس، وللجزء الحساس من ذاتنا أن يطيع العقل

=

والنشر، القاهرة، ب.ط، 1965، ص ص 873 - 874 .

ب- جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ج2، ط1، 1973، ص52 .

(1) أرسطاطاليس، السياسة، مرجع سبق ذكره، ص94 .

(2) أرسطاطاليس، النفس، ترجمة : أحمد فؤاد الاهواني، دار إحياء الكتب العربية، ب.م، ط1، 1949، ص4 .

والجـــزء العـــاقل، وإذاً فالمساواة وانقلاب السلطة بين هذه العناصر المخـــتلفة يكون شرا للجميع "[1]. أما من رأوا بأن الرق نظام ظالم، فقد أرجعوا ذلك إلى أن البشر جميعاً متساوون في إنسانيتهم، إلا أننا لم نعـــرف مـــن هـــؤلاء المفكرين على وجه التحديد حيث أشار أرسطاطاليس في كتابه السياسة إلى آرائهم دون أن يعرف بهم[2].

وكانت هناك خمسة مصادر للحصول على العبيد، وهي :

1) الحـــرب: حيث يقول أيسكلوس أن سقوط طروادة أوقع أهلها ضـــحية لاستعباد اليونان[3]، ويقول هيرا قليطس : " الحرب هي التي جعلت البعض عبيداً والآخرين أحراراً "[4] ويشير أوربيد في مسرحيته هيلين، إلى أن الحرب مصدر من مصادر الرق[5].

2) الـــولادة : فمـــن يولد لأمة يصبح عبداً، فالابن يتبع أمه حرية وعبودية[6].

3) البـــيع : فقد عرفت الأمة اليونانية مصدراً من مصادر تزويد السراة

---

(1) أرسطاطاليس، السياسة، مرجع سبق ذكره، ص102 .

(2) نفس المرجع السابق، ص 99 .

(3) إيسكلوس، مسرحية أجاممنون، مرجع سبق ذكره، ص 62 .

(4) فيليب ويلرايت، هيرا قليطس، مرجع سبق ذكره، ص93 .

(5) أوربيد، مسرحية هيلين، مرجع سبق ذكره، ص 90 .

(6) علي عبد الواحد وافي، الأدب اليوناني القديم ودلالته على عقائد اليونان ونظامهم الاجتماعي، دار المعارف، القاهرة، ب .ط، 1960، ص 35 .

بالعبيد، وهو بيع الآباء أطفالهم، فالقوانين القديمة كما يقول فوستيل دي كولانج "منحت الوالد سلطة ذات سيادة في المترل، ولقد ذهب الشرع العتيق في أثينا إلى حد السماح لـــه ببيع ابنه أو قتله "[1].

4) الدخول في الديانة المترلية : ففي الأزمنة الأولى لليونان كان لكل أســـرة ديانة خاصة بها، لا تسمح لغير أعضائها بالدخول فيها أو الاطـــلاع عـــلى أســـرارها، ولما كان الأغنياء في حاجة إلى من يخدمونهـــم مقـــابل أجر، فقد عينوا خدماً أدخلوهم في ديانتهم المترلـــية، ولكـــن الخادم إذ يدخل في الديانة المترلية لأسرة ما لا يســـتطيع الخـــروج من هذه الديانة، فيتحول من خادم مأجور يســـتطيع أن ينقطع عن خدمة سيده عندما يشاء، إلى عبد مملوك من قبل سيده مدى حياته[2].

5) بيع المدينين : وقد عرف هذا المصدر في أثينا خاصة، وكان قوامه أن الشخص إذا عجز عن سداد دينه فإنه يباع رقيقاً هو وأطفاله[3].

وقد قسم اليونان الرق إلى نوعين : رق طبيعي ورق ظالم، فأما الرق الطبيعي فهو الرق العادل الذي يقع كما يقول أرسطاطاليس :

---

(1) فوستيل دي كولانج، المدينة العتيقة، مرجع سبق ذكره، ص 427 .
(2) نفس المرجع السابق، ص 145 .
(3) أرسطاطاليس، نظام الأثينيين، ترجمة : طه حسين، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1921، ص44.

" متى كان المرء أحط من أمثاله ...كان هو الرقيق بالطبع، وفي حق هؤلاء الناس، كما هو في حق الموجودات الأخرى ... التي يحسن بهم أن يخضعوا لسلطة سيد. لأن هذا الذي يؤتي نفسه غيره هو رقيق بالطبع، وما يجعله يؤتي نفسه غيره هو أنه لا يستطيع أن يذهب إلا إلى حد أن يفهم الحق متى أظهره غيره عليه، لكن لا إلى حد أن يملكه هو في نفسه "[1]. أما الرق الظالم فهو الرق الذي يقع على الناس الأحرار الذين قد يصيرون عبيداً عندما يباعوا مثلاً بعد أسرهم في الحرب[2].

وكان العبيد يحرمون من ممارسة أية حقوق سياسية أو اجتماعية قبل مجيء سولون، تقول هيكوبا : "بئست الطبيعة طبيعة الرق، نعم إذ يقاسي العبد ظلم القوي ويخضع له في احتمال"[3]. ويقول الشاعر :

وهو عبد في الرجال

رأسه تحت النعال[4].

---

(1) أرسطاطاليس، السياسة، مرجع سبق ذكره، ص102 .

(2) نفس المرجع السابق، ص105 .

(3) أوربيد، مسرحيات أوربيد: مسرحية هيكوبا، ترجمة : أمين سلامة، مرجع سبق ذكره، ص153.

(4) إيسكلوس، مسرحية أجاممنون، مرجع سبق ذكره، ص 70 .

وهو ما يشير إلى شدة سوء حال الأرقاء قبل سولون، حتى أن الرقيق لا يستطيع الزواج إلا بموافقة سيده، والأطفال الذين يولدون للسيد من إمائه يصبحون عبيداً له[1].

المـــرأة:لتحديد مكانة المرأة في المجتمع اليوناني، لابد أولاً من معرفة أوضاعها على المستويات السياسية والثقافية .. الخ .

فأما على المستوى السياسي، فقد كانت المرأة محرومة قانونياً وعرفـــياً من ممارسة الحقوق السياسية[2]، دون أن يعني ذلك أنها لم تكن ذات أثرٍ في الحياة السياسية من الناحية الفعلية. فالأدب اليوناني يـــتحدث عن نساء ظفرن بمكانة عالية في النظام السياسي، بعد أن تولـــين تســـيير شـــؤون المملكـــة في غياب أزواجهن، كما فعلت كلوتمســـترا. كمـــا كان الزواج بملكة إحدى الوسائل للوصول إلى السلطان، فهكذا وصل أوديب إلى الملك، وبينلوبي حين طال غياب زوجهـــا وانقطعت أخباره وظن الجميع أنه قد مات، تدافع الخطاب ينشدون الظفر برضاها والفوز بالاقتران بها لأن ذلك هو السبيل إلى الوصول إلى عرش إيثاكا[3].

أما على المستوى الثقافي، فقد كان يسمح للمرأة اليونانية بأن

---

(1) فوستيل دي كولانج، المدينة العتيقة، مرجع سبق ذكره، ص146 .
(2) و. ج .دي بورج، تراث العالم القديم، ج1، مرجع سبق ذكره، ص199 .
(3) هوميروس، الأوديسا، مرجع سبق ذكره، ص14 .

تتعـــلم وتعلم، فهذه الشاعرة سافو تنشئ مدرسة لتعليم البنات ألواناً مـــن الأدب والشعر، وضروباً من الفنون والمهارات، وهؤلاء كبار أدبـــاء الـــيونان ينشـــئون قصصاً يجعلون الأبطال فيها من النساء، ويصـــورون لـــنا النســـاء وهن مثال للعظمة والفضيلة كأندروماك وأنتيجوني .. الخ .

وكانـــت المرأة على المستوى الديني قادرة على أداء الطقوس الدينـــية مـــثل الـــرجل تماماً، ولم تحرم من الاختلاف إلى المعابد أو الاشـــتراك في الأعياد الدينية أو تولي مناصب كهنوتية مهمة، بل إن اليونانيين كانوا يؤثرون النساء على الرجال في شئون العرافة[1].

وعـــلى مستوى الحقوق المدنية، كان الوضع الاجتماعي للأم يحـــدد الوضع الاجتماعي لأبنائها، فالطفل يتبع أمه حرية وعبودية، فابن الأمة يصبح عبداً ولو كان والده حرا، وابن الحرة يصبح حراً ولو كـــان والده عبداً، وهو ما يعد أثراً من آثار النظام الأمومي. وكانت المـــرأة إلى عهـــد ســـولون تحرم من الميراث الذي يختص به الذكور، وتستغل في شئون الدعارة، فالرجل الذي يملك الإماء، يمكنه استغلالهن في ممارسة البغاء، فقد كان هذا الضرب من ضروب الاستغلال، مورداً اقتصادياً مربحاً شديد الرواج في اليونان حتى جاء سولون.

أمـــا من حيث النظرة الاجتماعية العامة إلى المرأة فقد اعتقد

---

(1) ول ديورانت، قصة الحضارة، ج6، مرجع سبق ذكره، ص359 .

اليونانيون أنها أقل مكانة من الرجل بفعل الطبع[1].

الأســــرة :

1) **أساس الـرابطة الأسـرية :** ذهـــب البعض إلى الاعتقاد بأن أساس تكويـــن الأسرة وجوهر رابطة القرابة هو الديانة، وذلك حسب زعمهم بأن البنت حين تتزوج لا تعود تربطها بأسرتها أية رابطة.

---

(1) أرسطاطاليس، السياسة، مرجع سبق ذكره، ص94.
- لابد من الإشارة إلى أن بعض نصوص الأدب اليوناني تدل على المكانة السلبية للمرأة، ومثال ذلك:
أ) ((أيتها المخلوقات التي لا تطاق)) .
((النساء ! أرجو أن أجنب مئونة الحياة بينهن)) .
((أعط النساء حريتهن تجدهن جريئات فوق ما يطاق)) .
* ايسكلوس، مسرحيات ايسكلوس : مسرحية السبعة ضد طيبة، مرجع سبق ذكره، ص 205.
ب) ((الصمت حلية النساء)) .
* سوفوكليس، من الأدب التمثيلي اليوناني : مسرحية أياس، مرجع سبق ذكره، ص56 .
ج) ((خلقت النساء لتنغيص حياة الرجال ويعملن دائماً لسقوطهم الأكيد))
* أوربيد، مسرحيات أوربيد: مسرحية أوريست، ترجمة: أمين سلامة، مرجع سبق ذكره، ص56.
د) ((النساء شر)) .
* هزيود، أشعار هزيود : قصيدة أنساب الآلهة، مرجع سبق ذكره، ص 46.
هـــ) ((المرأة عبء ثقيل)) .
* من أقوال سولون، انظر : بول فريشارو، الجنس في العالم القديم، مرجع سبق ذكره، ص 352 .

كمـــا أن العطـــف الطبـــيعي ليس هو الأساس فقوانين الميراث تـــتعارض مع فكرة الشعور الطبيعي، والسلطة أيضاً ليست هي الأساس. ويستدل أصحاب هذا الاعتقاد على أن الدين هو أساس الرابطة الأسرية. يقول أفلاطون إن القرابة هي المشاركة في نفس الآلهة المترليين، ويؤكد ديموستين على أن الشخصين القريبين هما من يمارسان نفس العبادة[1].

إلا أن المؤكـــد هو أن زواج الفتاة اليونانية لا ينهي رابطتها بأسرها فهذه فيدر تذكر بأصلها الكريتي رغم زواجها[2]. وتعارض قانون الميراث اليوناني الذي يحرم البنت من الإرث مع فكرة العطف الطبـــيعي[3] لا يعني بأي حال أن من يقع عليه القانون ويفرض عليه تطبـــيقه، مقتنع به أو راض عنه. وأرسطاطاليس كشاهد على عصره يؤكد أن العطف هو الذي يحرك الأب نحو ابنه أو الابن نحو أبيه[4]. وإنكـــار دور السلطة في تكوين الأسرة، يدحضه قول هوميروس إن " كل امرئ على حدة يحكم بوصفه سيداً لنسائه وأولاده "[5].

---

(1) فوستيل دي كولانج، المدينة العتيقة، مرجع سبق ذكره، ص73 .

(2) أوربيد، مسرحيات أوربيد : مسرحية فيدر، ترجمة : محمود محمود، مرجع سبق ذكره، ص94 .

(3) فوستيل دي كولانج، المدينة العتيقة، مرجع سبق ذكره، ص96 .

(4) أرسطاطاليس، علم الأخلاق إلى نيقوماخوس، ترجمة : أحمد لطفي السيد، دار الكتب المصرية، القاهرة، ج2، ط1، 1924، ص 258 وص 261 .

(5) أرسطاطاليس، السياسة، مرجع سبق ذكره، ص95 .

إلا أن كل ذلك لا ينفي دور الدين في قيام الرابطة الأسرية، ولكنه ليس هو الأساس لها، لأن ديانة الأسرة تنشأ بسبب وجود الأسرة وليس العكس. وتتمثل هذه الديانة في أن يكون لكل أسرة جماعة من الآلهة الصغار الذين يرعون شئونها ويهتمون بها دون غيرها، وهؤلاءِ الآلهة يصفهم سوفوكليس بأنهم " آلهة أسرتنا"[1].

أما أساس وجود الأسرة فهو الأساس الطبيعي في رأي أرسطاطاليس "فالاجتماع الطبيعي في كل الأزمان إنما هو العائلة، وقد استطاع خارنداس أن يقول إذ يتكلم على أعضائها ((إنهم كانوا يأكلون على الخوان عينه)) ويقول إيبيمينديس الكريتي : ((إنهم يصطلون على كانون واحد)) "[2].

2) **الزواج** : اعتبر اليونان أن الزواج رابطة مقدسة بين الذكر والأنثى، ودليل ذلك:

أ- القسم الذي كان يقسمه الزوجان عند الزفاف في معبد هيرا آلهة الزواج.

ب - اعتبار هيرا، وهي أعظم الإلهات عندهم وشريكة زوس في ملك السماء راعية للزواج[3].

---

(1) سوفوكليس، من الأدب التمثيلي اليوناني : مسرحية أوديب في كولونا، مرجع سبق ذكره، ص237.

(2) أرسطاطاليس، السياسة، مرجع سبق ذكره، ص ص 94 – 95 .

(3) سيد أحمد الناصري، الإغريق، مرجع سبق ذكره، ص 14 .

ج – قـــول هـــزيود، وهـــو أحد مؤسسي الدين اليوناني، أن المرأة الصالحة هي أفضل نعمة يحصل عليها الإنسان[1].

كما اعتبر الزواج حدثاً اجتماعياً مهماً، والدليل على ذلك :

أ- الحفلات التي كانت تقام أثناء الزفاف[2].

ب- اهـــتمام كـــبار مفكـــريهم به مثل: سولون وأفلاطون وأرسطاطاليس .

ولأن أية أمة تنتقل من طور الجاهلية إلى طور الحضارة يتحول أفرادها من عيشة الشظف إلى حياة الدعة والترف، وتتزايد متطلبات حـــياتهم الماديـــة بمـــا في ذلك متطلبات الزواج، فقد أصبحت هذه المتطلـــبات بالنسبة لليونان في عصر حضارتهم، عبئاً مالياً ثقيلاً على أفراد الطبقات الفقيرة والمتوسطة، وذلك لغلاء المهور وسوء الأحوال الاقتصـــادية[3]، وهـــي إحدى المشكلات الاجتماعية التي عالجتها تشريعات سولون .

الاقتصـــاد : تغير أساس الاقتصاد في اليونان القديمة مع تغير العهـــود التي مرت عليها، ففي عصر الأبطال، أي في القرن الثالث عشر قبل المسيح " كان الرعي هو الوسيلة الأولى لاستغلال الأرض

---

(1) بول فريشارو، الجنس في العالم القديم، مرجع سبق ذكره، ص349 .
(2) هزيود، أشعار هزيود : قصيدة درع هرقل، مرجع سبق ذكره، ص ص 79 –80 .
(3) بول فريشارو، الجنس في العالم القديم، مرجع سبق ذكره، ص349 .

فأمـــا الزراعة فمورست بنسبة ضئيلة"[1]. أما في نهاية عصر الجاهلية فقـــد حـــدث تحول ملحوظ من الرعي إلى الزراعة، لتصبح الزراعة الأساس الاقتصادي لحياة اليونان في هذا العصر[2].

وقـــد ابتدأت دول المدن اليونانية علاقتها التجارية مع الشرق في نحو القرن الثامن قبل المسيح، فأقامت لها مستعمرات على شواطئ الـــبحر المتوسط، إلا أثينا فلم تعرف التجارة وركوب البحر إلا فئة قلـــيلة مـــن أهلها، وكانت تمر بأزمة اقتصادية حادة، وتعيش وضعاً اقتصادياً بلغ حد الانهيار .

وتعود أزمة أثينا الاقتصادية هذه إلى أسباب منها :

1) المشـــكلة المالتوسية (نسبة إلى العالم الاقتصادي مالتوس) الناجمة عـــن زيادة عدد السكان أكثر من زيادة الموارد الاقتصادية، حيث يـــزيد السكان بمتوالية هندسية (1، 2، 4، 16، 64، ... الخ). في حـــين تزيد الموارد الاقتصادية بمتوالية حسابية (1، 2، 4، 8، 16، 32، .. الخ)، ممـــا يؤدي بمرور الوقت إلى مضاعفة عدد السكان دون أن تقـــابل ذلـــك زيـــادة موازية ومساوية في كمية الموارد الغذائـــية، فيتـــناقص معدل الغذاء بالنسبة للفرد الواحد. وهذا ما

---

(1) موزيس فينيلي، عالم أوديسيوس، مرجع سبق ذكره، ص 64 .

(2) جان بيار فرنان، أصول الفكر اليوناني، مرجع سبق ذكره، ص61 .

حدث في دولة مدينة أثينا وكان أحد أسباب أزمتها الاقتصادية[1].

2) الطبيعة الزراعية الاستهلاكية للمجتمع الأثيني الذي كان ينتج محاصيل استهلاكية لسد حاجات السكان من الغذاء وحسب، دون أن يعرف المحاصيل النقدية - وهي المحاصيل التي يتم إنتاجها لأغراض البيع وليس الاستهلاك مثل : القطن والكتان - مما جعل اقتصاد دولة مدينة أثينا يعتمد على أسلوب واحد من الأساليب الاقتصادية وهو الزراعة، أما التجارة فقد كانت نادرة ندرة شديدة، وكذلك الصناعة وغيرها.

3) تردي الأوضاع الاجتماعية في أثينا، مما أدى إلى انقسامها إلى طبقتين : إحداهما صغيرة غنية والأخرى كبيرة فقيرة، مما انعكس على الحياة السياسية الأثينية التي توزعت فيها المناصب والأدوار بشكل يتناسب طردياً مع حجم ثروة كل طبقة، وعكسياً مع عدد أفرادها[2]. وهذا ما رأى فيه أرسطاطاليس، فيما بعد، سبباً

---

(1) راجع :
أ) أرنولد توينبي، مختصر دراسة للتاريخ، ج2، مرجع سبق ذكره، ص 32 .
ب) إبراهيم أحمد شلبي، تطور الفكر السياسي : دراسة تأصلية لفكرة الديمقراطية في الحضارات القديمة، الدار الجامعية للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1985، ص 71 .

(2) راجع :
أ) جان بيار فرنان، أصول الفكر اليوناني، مرجع سبق ذكره، ص79 .
ب) فوستيل دي كولانج، المدينة العتيقة، مرجع سبق ذكره، ص385 .
ج) موزيس فينيلي، ابتكار السياسة، مرجع سبق ذكره، ص27 .

لحدوث التوترات الاجتماعية، والثورات وفقاً لتفسيره القائم على افــتراض أن الســبب الأساســي لحدوث الثورات، هو انعدام التناســب والتوافق بين الأدوار الاقتصادية للطبقات الاجتماعية وأدوارها السياسية[1].

الحيــاة الثقافيــة :

أ) **ثقافـة عصـر الجاهليـة :** يقول طه حسين أن هناك تشابهاً كبيراً بين اليونان في جاهليتهم والعرب في جاهليتهم، من ناحية أن حياتهم الثقافــية كانـــت تقوم على الشعر[2]، وإذا كنا قد حددنا عصر الجاهلــية بأنه يبدأ مع بدء تكون الأمة اليونانية وينتهي مع بداية القــرن الســابع قــبل المسيح. فإن الكتابة لم تكن قد أكملت انتشــارها في هــذا العصــر، لذا كان الشعراء ينظمون شعرهم ويحفظونـــه في ذاكرتهم ليلقونه على الناس شفاهة فيحفظه هؤلاء بالسماع ثم يتناقلونه ويتناشدونه. لذلك يقول جورج سارتون : " إن الــروح اليونانــية كانـــت في صميمها شعرية "[3]، ويرى ســترابون أن الشاعر اليوناني هوميروس الذي عاش في نحو القرن

=

د) عاصم أحمد حسين، المدخل إلى دراسة التاريخ وحضارة الإغريق، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، 1991، ص 159 .

(1) أرسطاطاليس، السياسة، مرجع سبق ذكره، ص ص 386 – 387 .

(2) طه حسين، قادة الفكر، مرجع سبق ذكره، ص 11 .

(3) جورج سارتون، تاريخ العلم، ج4، مرجع سبق ذكره، ص295.

التاسع قبل المسيح، ونظم ملحمتي الإلياذة والأوديسا هو مؤسس الثقافة اليونانية[1] كما وصف بأنه أعظم شاعر عرفته البشرية لجزالة لفظه وعذوبة شعره وقوة تعبيره عن أسمى المشاعر الإنسانية، حتى قيل عنه إن " له في كل شيء المقام الأعلى"[2]، وأسماه هيراقليطس (أحكم الإغريق)[3]. وتحكي الإلياذة قصة الحرب الطروادية وأخبار أبطال اليونان، أما الأوديسا فتحكي أخبار رحلة أوديسيوس، وقد أثر هوميروس من خلال هاتين الملحمتين في الثقافة اليونانية أعظم تأثير بعد أن أصبح من خلالهما المصدر الأهم لتاريخ اليونانيين وعقائدهم وثقافتهم[4]. أما هزيود فهو أيضاً أحد فحول الشعراء اليونان، عاش في نحو نهاية القرن التاسع أو في بداية القرن الثامن قبل المسيح، وقيل إن موطنه هو مدينة (أسكرا). وقد كان يعمل في أرض له بيده فعاش حياة

---

(1) نفس المرجع السابق، ص199 .
انظر كذلك :
فرانسيس روجرز، قصة الكتابة والطباعة : من الصخرة المنقوشة إلى الصفحة المطبوعة، ترجمة: أحمد حسين الصاوي، مكتبةالأنجلو المصرية، القاهرة، ط1، 1969، ص 93 .

(2) أرسطاطاليس، فن الشعر، ترجمة وتحقيق : عبد الرحمن بدوي، دار الثقافة، بيروت، ط2،1973، ص 25 .

(3) فيليب ويلرايت، هيرا قليطس، مرجع سبق ذكره، ص109 .

(4) محمد علي أبو ريان، تاريخ الفكر الفلسفي : الفلسفة اليونانية من طاليس إلى أفلاطون، دار المعارف، القاهرة، ج1، ط3، 1968، ص ص 25 – 26.

الفلاحين بما فيها من نصب وشظف، وأبى بما لديه من اعتزاز النفس أن يقول الشعر متكسباً في مدح الأمراء والأثرياء، فانطلق حراً ينشد أشعاراً عذبة وقصائد طويلة ذات موضوعات مختلفة، ومن أشهر قصائده قصيدته الطويلة أنساب الآلهة، التي تدور حول نشأة العالم وبداية خلق الآلهة والناس، ويقول فيها : " في البدء كان الخلاء "[1]، ثم يصف كيف ولد الآلهة وتناسلوا، وهي قصيدة طويلة مليئة بالأحداث والأساطير الرائعة، والقصص الساحرة، ولهزيود قصيدة أخرى طويلة اسمها (الأعمال والأيام)، تتكلم عن إكبار القيمة الخلقية للعمل والعدالة، وفيها ذكر لأسطورة العصور الأربعة وشرح أمور تتعلق بأعمال الحقل والملاحة، وما هي الأيام المحظوظة والأيام المنحوسة، وحكم بليغة، وقد دعا فيها الشاعر إلى ضرورة تطبيق العدالة من قبل الملوك، فهو يقول فيها : " أيها الملوك تأملوا أيضاً أنتم في العدالة فعلى مقربة منكم، وبين بني الإنسان يوجد آلهة يراقبون الأحكام الجائرة. خذوا حذركم وقوموا كلاكم أيها الملوك الذين يزدرون الهدايا"[2]. ولكن هذه العدالة التي أرادها، هي العدالة الاجتماعية، ولم يدعِ إلى تحقيق العدالة السياسية، أي تطبيق العدل في إعطاء المواطنين السلطة السياسية .

---

(1) هزيود، أشعار هزيود : قصيدة أنساب الآلهة، مرجع سبق ذكره، ص 31 .
(2) نفس المرجع السابق، قصيدة الأعمال والأيام، ص 109 .

ب) ثقافة عصر الحضارة :

1) **الكتابة واللغة :** يقول مؤرخو اليونان أن الكتابة دخلت بلادهم في القرن الرابع عشر قبل المسيح عن طريق الفينيقيين[1]، أما لغتهم فمشتقة من اللغة (الهند أوروبية) الأم، وإذاً فكتابتهم من أصل (سامي)، ولغتهم التي يتحدثون بها من أصل (هند - أوروبي: آري). وعلى ما يظهر فقد تفرعت تلك اللغة إلى لهجات عدة داخل بلاد اليونان (أيولية ودورية وأيونية وأتيكية) ولم تصبح لغات متعددة لأن جميع اليونانيين كانوا يفهمون بعضهم بعضاً وإن اختلفت لهجاتهم[2]. أما الكتابة فلم تبدأ بالانتشار إلا في القرن السابع قبل المسيح، حيث كانت في مهدها في عصر الجاهلية، خاضعة للتطور التدريجي ومقتصرة على الأغراض الرسمية .

2) **الشعر الغنائي :** ظهر الشعر الغنائي مع بداية عصر الحضارة، ومعنى كلمة الشعر الغنائي يفسرها علماء مدرسة الإسكندرية بأنها تعني: الشعر الذي يغنى بصحبة القيثارة، وقد قسموه إلى نوعين: شعر جماعي يلقى في المناسبات العامة، وشعر يلقيه فرد وحده، الأول يخص شئوناً عامة، والثاني يدور حول مواضيع

---

(1) ول ديورانت، قصة الحضارة، ج6، مرجع سبق ذكره، ص372 .

(2) نفس المرجع السابق، ص 371 .

ذاتـــية[1]. وأحـــدث ظهور الشعر الغنائي تحولاً خطيراً في الثقافة اليونانـــية، فقد أخذ الشعراء يهتمون أكثر بشئون المجتمع، على المســـتويين الفردي والجماعي، وسولون فضلاً عن كونه مشرعاً وقـــائداً سياسيا وفيلسوفاً، كان أيضاً شاعراً غنائياً يقرض الشعر الغنائي على الوزن المسمى بــ (الأليجي). وقد اعتبر أفلاطون أن الشعر الغنائي أفضل أنواع الشعر[2]، ورأى أرسطاطاليس أن الشعر ينشأ لأسباب طبيعية[3].

3) **النـثر الأدبي :** ظهر في بداية عصر الحضارة نوع من أنواع الأدب لم تعـــرفه اليونان فيما سبق وهو (النثر الأدبي)، ومن أشهر ما كتب في هذا المجال خرافات أيسوب. وأيسوب هذا حكيم يوناني عاصر سولون والتقى به وقام بجمع الخرافات اليونانية التي كان لها مغـــزى أخلاقي أو فكري، ووضعها في كتاب ينسب إليه اليوم وهو كتاب (القصص الحكيم)[4].

---

(1) راجع :
أ – أحمد عثمان، الشعر الإغريقي، مرجع سبق ذكره، ص100 .
ب– فرنان روبير، الأدب اليوناني، ترجمة : هنري زغيب، منشورات عويدات، بيروت، ط1، 1983، ص 36 .

(2) أفلاطون، محاورة بروتاجوراس، ترجمة : محمد كمال الدين علي، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ب .ط، 1964، ص 61.

(3) أرسطاطاليس، فن الشعر، مرجع سبق ذكره، ص 12 .

(4) للمزيد من المعلومات عن أيسوب راجع :
– أيسوب، القصص الحكيم، مرجع سبق ذكره .

4) **الفنــون :** والفــنون اليونانية أكثر من أن تحصى، ومن هذه الفنون فن الرقص الجماعي الذي كان يقام في الأعياد الدينية، والمناسبات الاجتماعية، وفن الغناء وفن الموسيقى، وغير ذلك من الفنون، وقد تطــورت مــع تطور الأمة اليونانية وانتقالها من عصر الجاهلية إلى عصــر الحضــارة عاكسةً بذلك تغير مزاج المجتمع اليوناني وقيمه، وكمــا يقول أرنست فيشر فإن " الفن يسمح للإنسان بأن يفهم الواقــع وهو بذاته واقع اجتماعي "[1]. وقد ذهب جان بيار فرنان إلى أن الــيونان شــهدت ثورة في مجال الفن في فترة الانتقال بين العصرين، عاكسةً بذلك أثر دخول الحضارة إلى الأمة اليونانية[2].

5) **الفلسفــة :** ظهرت في اليونان مع بدايات عصر الحضارة على يد طالــيس الملطي أول فلاسفة اليونان وأحد الحكماء السبعة. وقد بحــث طاليس في أصل الأشياء وأراد أن يقدم تفسيراً لكل شيء، فوضع قانوناً كونياً عاماً بقوله : إن " الماء أصل كل شيء "[3]. مرجعاً بذلك جميع الموجودات إلى أصل واحد[4]. وكان طاليس

---

(1) أرنست فيشر، ضرورة الفن، ترجمة : ميشال سليمان، دار الحقيقة للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1965، ص 56 .

(2) جان بيار فرنان، أصول الفكر اليوناني، مرجع سبق ذكره، ص31 .

(3) فريدريك نيتشه، الفلسفة في العصر المأساوي الإغريقي، ترجمة : سهيل القش، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط2، 1983، ص ص 44 – 50 .

(4) ر. كولنجوود، فكرة الطبيعة، ترجمة : أحمد حمدي محمود، مطبعة جامعة القاهرة، القاهرة، ب. ط، 1968، ص 35 .

معاصــراً لســولون وصديقاً لــه، وإذاً فعصر سولون هو عصر بــزوغ الفلسفة وتغير الأفكار والانتقال من التفسير الأسطوري للظواهر الطبيعية إلى التفسير الفلسفي لها.

6) **العلــــوم :** ظهــرت عــدة علــوم في بلاد اليونان مع بداية عصر الحضــارة، وقــد كــان هــذا العصر هو عصر بداية نشأة العلم اليوناني[1]، وإن أهم شيء تميز به اليونان هو أنهم قدموا أول محاولة في الــتاريخ الإنســاني لتفسير الكون بالكامل على أساس طبيعي، وبذلك " حل علم الكون محل علم الأساطير"[2]، وقد كان طاليس أهــم عــلماء اليونان الأوائل، فهو أول فلكي يوناني وأول عالم رياضــيات في الــيونان، وهــو أول مــن أسس علم الهندسة في اليونان[3]. ويعد كذلك أول مؤسس لعلم المغناطيسية في العالم[4].

(1) جون ديزموند برنال، العلم في التاريخ، ج1، مرجع سبق ذكره، ص 186.
(2) بنيامين فارنتن، العلم الإغريقي، ج1، مرجع سبق ذكره، ص 39 .
(3) جورج سارتون، تاريخ العلم، ج1، مرجع سبق ذكره، ص363.
(4) نفس المرجع السابق، ص364 .

المبحث الثاني

الحياة السياسية والقانونية

الحيـاة السياسيـة :

1) النظام السياسي :

أ- عصر الجاهلية :

اختلف على اليونان في عصر الجاهلية نوعان من الأنظمة السياسية: إما حكم فرد أو حكم قلة، فأما حكم الفرد إذا كان صالحاً أسماه أرسطاليس ملوكية، وإذا كان فاسداً أسماه طغيان. أما حكم القلة فإذا كان صالحاً أسماه أرستقراطية، وإذا كان فاسداً أسماه أوليجارشية[1].

وهناك رأيان متضادان حول أي النظامين (نظام حكم الفرد ونظام حكم القلة) أسبق في النشأة في بلاد اليونان، فرأي يذهب إلى أن حكم الفرد هو الأسبق عهداً استناداً إلى أن أقدم المناصب السياسية هو منصب الملك الذي عرف منذ عرفت أثينا الحياة السياسية[2]. ورأي يذهب إلى إعطاء الأسبقية إلى حكم القلة استناداً إلى أن " جميع ملاك الأراضي في أتيكا كانوا من مواطنيها، وكانت

(1) أرسطاطاليس، السياسة، مرجع سبق ذكره، ص199 .

(2) أرسطاطاليس، نظام الأثينيين، مرجع سبق ذكره، ص45 .

أقدم الأسر وأكثرها أملاكاً هي التي تحفظ التوازن بين ذوي السلطان في البلاد، فقد رضوا بقيام الملكية حين كان اضطراب الأمن يهدد البلاد ولما عاد إليها الهدوء والاستقرار عادوا هم أيضاً إلى الاستمساك بسيطرهم الإقطاعية وبالحكومة المركزية"[1]. ويمكن أن يفهم من ذلك أن النظام الأرستقراطي كان الأسبق في الوجود. وللتحقق من قول كلا الفريقين لا بد من العودة إلى مصدرين:

- **مصدر مباشر:** وهو ملاحم هوميروس التي تبين أن كل مدينة من مدن اليونان كان لها ملك يحكمها، كما أن مجمع أرباب الأولمب (البانثيون)، وإن كان يجري فيه التصويت أحياناً، لكن الشكل الغالب عليه هو النظام الملكي. يؤيد ذلك قول أرسطاطاليس " وإذ يدعو هوميروس المشتري ((أي زوس)) : الأب الخالد للناس والآلهة. كان على حق أن يضيف إليه أيضاً أنه ملكهم "[2].

- **مصدر غير مباشر:** ويتمثل في أنظمة الأمم السابقة التي كان النظام الملكي فيها هو الأسبق إلى الوجود، حيث تبين الوثائق المصرية القديمة، وملحمة جلجامش، وقوانين حمورابي أقدمية النظام الملكي.

ومن ثم فيمكن القول إن الملوكية قامت في بلاد اليونان أولاً منذ بداية عصر جاهليتها، واستمرت في أغلب مدنها زمناً طويلاً. ثم

---

(1) ول ديورانت، قصة الحضارة، ج6، مرجع سبق ذكره، ص ص 203 - 204.
(2) أرسطاطاليس، السياسة، مرجع سبق ذكره، ص122 .

أخذ بعض الأفراد في كل مدينة يقوون ويزدادون ثراءً، وبالتالي يزداد وزنهم السياسي، مما كان مقدمة وأساساً لقيام النظم الأرستقراطية. ومن المرجح أن الانتقال من الملوكية إلى الأرستقراطية لم يتم دون حدوث اضطرابات، فالمرحلة بين عصر هوميروس في القرن التاسع قبل المسيح وحتى بدء عصر الحضارة كانت مرحلة اضطرابات سياسية واجتماعية في بلاد اليونان، ودليل ذلك :

- الركود الثقافي في تلك الفترة باستثناء ظهور هوميروس وهزيود[1].
- اتحاد إقليم أتيكا تحت سلطان أثينا حوالي (700 ق.م) والذي تم لمواجهة الاضطرابات السياسية الداخلية[2].

ب) المرحلة الانتقالية بين عصر الجاهلية وعصر الحضارة :

من هنا تتوفر لدينا معلومات عن دولة أثينا تحديداً، التي مرت بفترة شديدة الاضطراب وذلك بسبب الخلاف الذي نشأ بين الشعب والأرستقراطية، ولقد اشتد سخط الشعب، ذلك أن الفقراء وهم معظم أفراد الشعب قد اضطروا إلى رهن أرضهم نتيجة لحاجتهم الشديدة إلى المال، وكثيراً ما يعجز المدين على أن يسدد ما عليه من فوائد الديون، فكان الأغنياء يستولون على أرض الفقير التي تم رهنها، ويشترطون على الفقير إذا أراد أن يعمل في أرضه التي

---

(1) إبراهيم أحمد شلبي، تطور الفكر السياسي، مرجع سبق ذكره، ص ص 69 – 70.
(2) ول ديورانت، قصة الحضارة، ج6، مرجع سبق ذكره، ص203.

كانت له وانتقلت ملكيتها إلى الدائن الغني، كانوا يشترطون عليه أن لا يحصل إلا على سدس المحصول، أصبح هؤلاء الفقراء الذين خسروا أرضهم وأصبحوا يعملون فيها كأجراء لقاء سدس المحصول، أصبحوا يسمون (المسدسين). وكثيراً ما بيع هؤلاء الفقراء و أطفالهم عبيداً[1].

أما تغير النظام السياسي من الملكية إلى الأرستقراطية فهناك رأيان بشأنه: الأول يقول أن الملكية استمرت حتى عهد كودوروس وهو آخر ملك جمع بيده كل السلطات، فلما خلفه ابنه ميدون حدث الانتقال في عصره. الثاني يقول أن الملكية استمرت في عهد ميدون ومن بعده، حتى عهد أسرة اكستوس، حين تنازلت هذه الأسرة عن بعض ما لها من سلطان. لكن الأخذ بأحد الرأيين السابقين لا يؤثر كثيراً في البحث، لأن الزمن الذي يفصل العهدين يسير[2].

وحين جاء عصر الحضارة كان التغير في شكل النظام السياسي قد تم ورسخ إذ أصبح النظام الأرستقراطي هو السائد .

جـ) المناصب السياسية :

1) **منصب الملك** : مرت الملكية بتحولات مهمة في التاريخ اليوناني ابتداءً من الحضارة الأم الكريتية وحتى عصر سولون، فأما الحضارة الكريتية فقد كانت أوضاع الملكية فيها غامضة وذلك

---

(1) أرسطاطاليس، نظام الأثينيين، مرجع سبق ذكره، ص44 .
(2) نفس المرجع السابق، ص 46 .

لغموض الحقبة بأكملها. ولكن الصورة بدأت تتضح مع قيام الممالك الميسينية التي كانت فيها سلطة الملك واسعة ومتعددة الأوجه، حيث كان الملك يجمع بيده كل السلطات، ويسيطر على مقاليد الحكم وينظم جميع شئون المجتمع بأكمله[1]. فكان للملك في هذا النظام أدوار دينية وإدارية واقتصادية وعسكرية إلى جانب أدواره السياسة .

فأما دور الملك الديني فيتمثل في إشرافه على أداء الطقوس الدينية[2]، وتعيين الأضحيات والقرابين مما يجعله المسئول الأول عن الحياة الدينية، الأمر الذي يؤكده أن الملك كان هو كبير الكهنة[3]. يقول أرسطاطاليس عن منصب الملك القديم : "ثم يأتي بعد هذا، المنصب المنفصل تماماً، الذي إليه توكل رعاية جميع القرابين العامة التي لا يسند القانون البتة أمرها إلى الكهنة والتي لا تستمد أهميتها إلا من المصدر القومي. وحكام هذه الطبقة يسمون هاهنا (أركون) وهناك (ملوكاً) وهناك (بريتان)"[4]. وكان ثمة جماعة من الكهان قوية كبيرة العدد تساعد الملك في أداء دوره الديني .

بينما يقوم دور الملك الإداري على أساس رابطة الولاء

---

(1) جان بيار فرنان، أصول الفكر اليوناني، مرجع سبق ذكره، ص ص 17 — 18 .
(2) هوميروس، الأوديسا، مرجع سبق ذكره، ص 33 وكذلك انظر ص 69 .
(3) فوستيل دي كولانج، المدينة العتيقة، مرجع سبق ذكره، ص236 .
(4) أرسطاطاليس، السياسة، مرجع سبق ذكره، ص385 .

الشخصي التي تؤلف بينه وبين كبار رجال القصر، فالأخيرون ليسوا موظفين في الدولة وإنما هم خدم للملك وواجبهم الحفاظ على السلطة المطلقة المتجسدة في شخصه، وكان هناك مراقبين لهذا الجهاز الإداري الذي تفوض فيه السلطة من قبل الملك لممثليه، وإلى جانبهم جماعة من الكتبة وظيفتهم تسجيل شئون المملكة[1].

أما دوره الاقتصادي فهو أيضاً دور كبير رئيسي، حيث كان اقتصاد البلاد قائماً على الثروة الملكية التي تجمع من الإتاوات المفروضة على الأفراد ذوي المهن، أو بواسطة الحروب والسلب، أو الهدايا التي تقدم من بلدان أخرى، وهذه الثروة الملكية هي ملك شخصي للملك، بل إنها تظل له حتى بعد موته حيث تدفن الكنوز الثمينة مع الملوك في قبورهم .

أما دور الملك العسكري فيعود إلى كونه المسئول عن تأمين السلاح وإعداد العربات وتعيين القادة العسكريين، ووضع الخطط الحربية وتوفير الجنود، وهو الذي يصدر القرار بالحرب[2]. وعن ذلك يقول أرسطاطاليس : "إن مؤسسي هذه الملوكيات ذوات الأيادي على الشعب سواءٍ أكان ذلك بواسطة تبصيرهم بالفنون أم بقيادتهم إلى النصر بأن جمعوا شملهم، وفتحوا لهم مستعمرات قد عينوا ملوكاً

(1) جان بيار فرنان، أصول الفكر اليوناني، مرجع سبق ذكره، ص 21 .
(2) نفس المرجع السابق، ص22 .

اعترافاً بفضلهم، وورثوا السلطان أبناءهم، هؤلاء الملوك كان لهم القيادة العليا في الحرب"[1].

ويظهر الدور السياسي للملك في سلطته السياسية المطلقة لإدارة شئون البلاد والإشراف عليها، وكانت هناك جماعة من المقربين له، يقيمون حول قصره ويخضعون لمشيئته، لذا كان نظام القصر أسلوباً ممتازاً مكن الملك من الإشراف الدقيق على الدولة بأكملها[2].

وهـــناك شخصيات مهمة مرتبطة بالملك ارتباطاً وثيقاً: الأولى هي (اللاواجتاس) التي معناها رئيس جماعة من المحاربين، وهم القادة الذين يرأسون الوحدات العسكرية، فهم يؤمنون الاتصال بين البلاط والقـــادة المحليين. والثانية هي: (الباسيلوس) والتي معناها سيد إحدى مـــناطق الـــريف، ووظيفته مراقبة توزيع المعادن بين الصناع التابعين للقصـــر، وهـــناك أيضاً (الكوريت) الذين يشأركون (الباسيليوس) بعـــض اختصاصـــاقم ويوجد مجلس يسمى (كيروسيجا) يجتمع فيه كبار أهل الريف حيث يقومون بتنفيذ أوامر الملك[3]، ويمكن للفقراء أن يحضروه كمتفرجين لا غير[4].

---

(1) أرسطاطاليس، السياسة، مرجع سبق ذكره، ص223 .
(2) جان بيار فرنان، أصول الفكر اليوناني، مرجع سبق ذكره، ص 29.
(3) نفس المرجع السابق ص 26 .
(4) موزيس فينلي، عالم أوديسيوس، مرجع سبق ذكره، ص91 .

إلا أن الغزو الدوري لبلاد اليونان والذي دمر الإمبراطورية الميسينية[1] خلق أوضاعاً جديدة شهدت لاحقاً حدوث تغيرات جوهرية في وظائف الملك وسلطاته. فقد انهار نظام القصر، وحل محل لفظة الملك (I anax) لفظة (باسيليوس) والتي إذا استعملت بصيغة الجمع فإنه يقصد بها أولو المناصب الكبرى في الدولة بدلاً من أن يقصد بها فرد واحد يحوز جميع السلطات[2]، وبذلك تغيرت وظائف الملك وتقلصت سلطاته السابقة بعد أن:

1) سلبت منه الوظيفة والسلطة العسكريتين بتعيين قائد للجيش، وهو منصب استحدث ويسمى (البوليماركوس).

2) سلبت منه الوظيفة والسلطة الإدارية باستحداث منصب جديد هو (الأركون).

3) سلبت منه الوظيفة والسلطة القضائية بتعيين لجنة قضائية سداسية للإشراف على القضاء وحماية القوانين.

أمـــا السلطة الوحيدة التي بقيت للملك و لم تسلب منه فهي السلطة الدينية، إذ بقى هو الكاهن الأعظم الذي يشرف على شئون ديـــن الدولة[3]. ويقول أرسطاطاليس عن تلك الأوضاع ونتائجها "

(1) ول ديورانت، قصة الحضارة، ج6، مرجع سبق ذكره، ص118

(2) جان بيار فرنان، أصول الفكر اليوناني، مرجع سبق ذكره، ص ص 29 – 30.

(3) سيد أحمد الناصري، الإغريق، مرجع سبق ذكره، ص 126 .

في الأزمـــان الغابـــرة كانت سلطة هؤلاء الملوك تشمل كل الشئون السياســـية في الداخـــل والخارج بلا استثناء، ولكن بعد ذلك بكثير ردت هذه الملوكية في كل مكان تقريباً إلى رياسة القرابين إما بتخلي الملـــوك مـــن تلقاء أنفسهم وإما باقتضاء الشعوب. وحينما كانت الملوكية لا تزال تستحق هذا الاسم لم تكن تحتفظ إلا بقيادة الجيوش خارج أرض الدولة "[1].

2) **منصب البوليماركوس :** ومعنى الكلمة الحرفي (رئيس الحرب) الذي كان في أول أمره قائداً عاماً لجيوش الأثينيين، ثم تناقص سلطانه شيئاً فشيئاً حتى سلب القيادة كلها، وأصبح موكلاً بالأجانب والغرباء يحميهم ويحمى منهم، وكان هذا المنصب قد استحدث أصلاً عندما أظهر بعض الملوك ضعفاً في الحروب، " والبوليماركوس إنما يعنى بأنواع من العبادات حديثة العهد، ولهذا لم يصبح هذا المنصب ذا خطر إلا في عهد متأخر، بعد أن أضيفت إلى اختصاصاته اختصاصات أخرى"[2].

3) **منصب الأركون:** معنى الكلمة لفظاً (رئيس الحكومة) وهذا المنصب استحدث حين تم استبدال النظام الملكي بالنظام الأرستقراطي[3] حيث استبدلوا الملك بالحاكم (الأركون) وفي البداية كان

(1) أرسطاطاليس، السياسة، مرجع سبق ذكره، ص ص 223 — 224 .

(2) أرسطاطاليس، نظام الأثينيين، مرجع سبق ذكره، ص46 .

(3) جان بيار فرنان، أصول الفكر اليوناني، مرجع سبق ذكره، ص48.

الأرستقراطيون يختارون أركوناً ليتولى السلطة مدى الحياة، ثم في عام (752 ق.م) حددت مدة الأركونية بعشر سنين، وفي عام (683 ق.م) أصبحت مدة الأركونية عاماً واحداً، وقسمت سلطة صاحب هذا المنصب على تسعة أركونين:

واحد (وهو أهمهم) يسمى: الأركون أيبونوموس ويكون مختصاً بالأعمال الدينية، وهو الذي كانت السنة تسمى باسمه في تأريخ الحوادث، فيقال وقع كذا في سنة الأركون فلان.

وأركون يسمى (ملك) لكنه لم يكن إلا رئيس دين الدولة[1].

وأركون هو (البوليماركوس) وتوكل إليه قيادة الجيش.

وستة أركونات يسمون (ثسموثيتاي) ومعنى الكلمة حرفياً (المشرعون) ويكلف هؤلاء بكتابة إقرارات لها قوة القانون وأن يحفظوها لتكون مصدراً لأحكام القضاء على من ينتهك حرمتها. وكان شاغلو منصب الأركون يتمتعون أيضاً بحق القضاء المطلق في كل ما يعرض عليهم من الخصومات[2] ولكنهم لم يكونوا يجتمعون في مجلس واحد حتى عصر سولون[3].

4) **الأريوس باجوس** : وهو مجلس شيوخ أثينا اشتق اسمه من اسم التل

---

(1) أرسطاطاليس، السياسة، مرجع سبق ذكره، ص ص 223 — 224 .

(2) ول ديورانت، قصة الحضارة، ج6، مرجع سبق ذكره، ص204.

(3) أرسطاطاليس، نظام الأثينيين، مرجع سبق ذكره، ص 47.

الذي أنشئ فوقه وهو (تل أريس: إله الحرب). وكان أعضاؤه ينتخبون من أفراد الطبقة الأرستقراطية الغنية ممن شغلوا في السابق منصب الأركون أي أنه كان يتألف من قدماء الأراكنة، وعضويته تستمر مدى الحياة، وعدد أعضائه (31عضواً)[1].

ووظيفة هذا المجلس وأعضائه، السهر على حفظ القوانين - وكلمة السهر يجب أخذها بالمعنيين المجازي والحرفي، لأن هذا المجلس كان يجتمع ليلاً - وكان له في أثينا السلطة العليا، فله الحق في أن يقضي قضاء لا ينقض ولا يرد بالعقوبة أو بالغرامة على من أساء للنظام السياسي أو القانوني[2].

وتذكر مسرحية (الصافحات) لإيسكلوس أن المجلس إنما أنشئ لكي يفصل في الخلاف الذي وقع بين الإله بوسيدون، والآلهة أثينا [3].

د) المؤسسة العسكرية ودورهرؤا في زيادة الأزمة الاجتماعية:

كانت (المؤسسة العسكرية) في أثينا حتى أوائل القرن السابع ق.م تتكون أساساً من (سلاح الفرسان) الذي كان بيد الأرستقراطيين

---

(1) جورج سباين، تطور الفكر السياسي، ترجمة : حسن جلال العروسي، دار المعارف، القاهرة، ج1، ط4، 1971، ص8 .

(2) أرسطاطاليس، نظام الأثينيين، مرجع سبق ذكره، ص 48 .

(3) ايسكلوس، مسرحيات ايسكلوس : مسرحية الصافحات، مرجع سبق ذكره، ص ص505 - 506 .

والأشراف، مما جعل هذه المؤسسة خاضعة للطبقة الأرستقراطية التي اتخذت منها وسيلة للقضاء على أي تمرد أو عصيان يقوم به الفقراء ولكن في نحو منتصف القرن السابع ق.م حدثت ثورة في (التنظيم والتكتيك العسكريين) أدت إلى إحداث نتائج اجتماعية وسياسية كبيرة.

قوام هذه الثورة هو ابتكار ما يسمى بـ (نظام المشاة المسلحين تسليحاً ثقيلاً) فقد قيل أن فيدون ملك أرجوس استحدث نظاماً عسكرياً يقوم على تزويد الجيش بأعداد كبيرة من الجنود المشاة (وهذا النظام العسكري يسمى بـ (الهوبليتس). واقتبست أثينا هذا النظام العسكري من أرجوس، وقد أدى إدخال هذا التعديل في هيكلية المؤسسة العسكرية الأثينية إلى تزويد الجيش بأفراد من الطبقتين : المتوسطة والفقيرة، وحين دخل هؤلاء إلى المؤسسة العسكرية طالبوا بامتيازات جديدة، وهو ما أدى إلى حدوث أزمة اجتماعية بعد أن رفض الأرستقراطيون تلبية مطالب هؤلاء. وبمرور الزمن ومع استمرار الأرستقراطيين في محاولتهم للحفاظ على سيطرتهم على المجتمع، تفاقمت الأزمة واضطربت أحوال البلاد، فقام أحد الأشراف واسمه (كليون) بمحاولة للاستيلاء على مقر الحكم بالقوة في عام (630 ق.م) ولكن محاولته فشلت، وقضي عليه وعلى أعوانه فاستمرت الأزمة الاجتماعية بل زادت أكثر من السابق [1] .

(1) سيد أحمد الناصري، الإغريق، مرجع سبق ذكره، ص ص 215 — 216 .

هـ) نظام دراكون :

ودراكون هذا مشرع أثيني سبق سولون مباشرة، وعهد إليه في نحو عام (624 ق.م) بأن يعالج ما طرأ على الحياة الاجتماعية من شرور واضطرابات عن طريق وضعه لتشريعات سياسية[1]. وقد قضت تشريعات دراكون على أن يكون التمتع بالحقوق السياسية حكراً على من يستطيع شراء سلاحه، وهؤلاء أيضاً الناخبون الذين ينتخبون كلاً من :

1) التسعة الذين يشغلون منصب الأركون .

2) حفظة الخزانة الذين كانوا يقومون على حفظ خزائن الدولة. على أن يكون المنتخبون لشغل هذه المناصب مالكين لثروة تعدل عشرة (أمناء) خالية من كل دين.

3) الرؤساء الأقل شأناً، ويشترط لهؤلاء أن يكونوا قادرين على شراء أسلحتهم .

4) من يشغلون منصب (لستراتيجوي) : وهذه الكلمة جمع (ستراتيجوس) ومعناها (قائد الجيش) ويراد بها من ينظم الصفوف أو مدير الأعمال الفنية في الحرب .

5) الهيباركوي :وهذه الكلمة هي جمع (هيباركوس)ومعناها رئيس

---

(1) ول ديورانت، قصة الحضارة، ج6، مرجع سبق ذكره، ص207 .

الخيل، ويراد بها قائد الفرسان .

واشترطت تشريعات دراكون على من يُنتخب لشغل المنصب السابق، أن يملك ثروة لا تقل عن مئة (من) خالية من الدين، وأن يعلن كذلك أن لديه ابناً شرعياً وولد من زواج مشروع، وأن لا يقل عمر الابن عن عشر سنوات .

وكل هؤلاء الرؤساء السابقين، وفقاً لتشريعات دراكون، كانوا يخضعون لمراقبة مجلس الشورى، وأيضاً لمراقبة (الستراتيجوي) و(الهيباركوي) .

6) مجلس الشورى. وكان يتألف من واحد وأربعمائة عضو، ينتخبون بالاقتراع من بين الذين يتمتعون بالحقوق السياسية ويشترط لترشيح أي مواطن لعضوية المجلس:

1- أن يكون قد تجاوز سن الثلاثين .

2- ألا يكون قد انتخب من قبل، فإن كان ذلك قد حدث فلا يجوز له الانتخاب إلا بعد أن يتقدم جميع من هم أهل للانتخاب، فحين ذلك يستأنف الاقتراع من جديد.

غرامة المجلس : إذا تخلف عضو من أعضاء مجلس الشورى عن جلسات هذا المجلس أو جلسات جماعة الشعب، يغرم :

- بثلاث دراخمات إن كان ممن يملكون (500 مديمنوس) .

- بدراخمتان إن كان من طبقة الفرسان .

- بدراخمة واحدة إن كان من طبقة الزوجيتاي[1].

ويلاحظ على هذا النظام أنه :

1) أول قانون مكتوب في بلاد اليونان .

2) قام بتوسيع دائرة من يحق لهم ترشيح أنفسهم لمنصب الأركون لتشمل الكثيرين من محدثي الثراء .

3) إعطاء مجلس الشيوخ ((الأريوس باجوس)) حق النظر في جميع القضايا المتعلقة بجرائم القتل .

4) إرضاء طبقة الأشراف (اليوبترد) بسن معظم القوانين لصالحهم. فمن يرتكب أقل خطأ في حق رجل شريف يعاقب بالقتل .

5) اعتماد عقوبة القتل كوسيلة للمعاقبة على أيسر الأخطاء[2].

والنتيجة التي نخلص إليها أن دراكون لم يزد على أن جمع الأعراف والتقاليد السائدة، وأضاف إليها الكثير من القسوة والوحشية، ليحمي طبقة الأشراف ويحفظ لهم السيطرة التامة على شئون الحياة السياسية ودور القضاء، فقد ترك لهم تفسير القانون وفقاً

---

(1)- أرسطاطاليس، نظام الأثينيين، مرجع سبق ذكره، ص ص 49 — 50 .

(2) ول ديورانت، قصة الحضارة، ج6، مرجع سبق ذكره، ص208 .

لهواهم، دون أن يفكر على الإطلاق في الفقراء والضعفاء والمضطهدين، الذين كانوا آنذاك جل الشعب الأثيني، ويقول أرسطاطاليس عن ذلك : " ودراكون سن أيضاً قوانين ذلك كان لحكومة منظمة من قبل، وليس بهذه القوانين شيء خاص ولا خالد إلا القسوة المتناهية وتغليظ العقوبات "[1].

2) الوحدة السياسية : دولة المدينة :

دولة المدينة هي دولة صغيرة الحجم قليلة السكان[2]، لها نظامها السياسي الخاص بها وحدودها المعروفة، ويعرفها أرنست باركر " بأنها هي الوحدة السياسية في بلاد اليونان "[3]. وقد شهدت اليونان القديمة قيام المئات من هذه الدول[4]، التي بدأت في الظهور في نحو القرن الثامن قبل المسيح[5]، فكانت أحد أسباب دخول اليونان في عصر الحضارة. وكان قوام كل دويلة من هذه الدويلات عبارة عن مدينة يحيط بها أراض زراعية[6]، ويخطئ دي بورج إذ يقول " إن دولة المدينة كانت من خلق الشعب الهيليني الخاص "[7]

(1) أرسطاطاليس، السياسة، مرجع سبق ذكره، ص180 .
(2) جورج سباين، تطور الفكر السياسي، ج1، مرجع سبق ذكره، ص 1 .
(3) أرنست باركر، النظرية السياسية عند اليونان، مرجع سبق ذكره، ص 39.
(4) أسوالد إشبنجلر، تدهور الحضارة الغربية، ج2، مرجع سبق ذكره، ص 68 .
(5) و..ج دي بورج. تراث العالم القديم، ج1، مرجع سبق ذكره، ص 111 .
(6) برتراند رسل، تاريخ الفلسفة الغربية، ج1، مرجع سبق ذكره، ص 38 .
(7) و..ج دي بورج. تراث العالم القديم، ج1، مرجع سبق ذكره، ص113 .

فدول المدن وجدت في سومر وبابل وكنعان قبل وجود الأمة اليونانية. وقد حاول أصحاب نظرية الديانة أن يفسروا نشأة دولة المدينة اليونانية بعامل الدين، فذهبوا إلى أن دين اليونان القدماء كان هو جوهر قيام المدينة[1]، أما أصحاب نظرية التحدي والاستجابة فذهبوا إلى أن دولة المدينة نشأت بوصفها الاستجابة الإنسانية لتحدي الظروف الجغرافية التي واجهت اليونانيين[2]. وأي من النظريتين لا تقدم دليلاً مؤكداً على صحة رأيها بشأن عامل أو عوامل تكوين هذه الوحدة السياسية، لأن الدين اليوناني كما قلنا دين طقوس لا يتغلغل في القلوب المؤمنة فيدفعها إلى أن ترسم أسس حياتها السياسية والاجتماعية عليه، ونظرية التحدي والاستجابة، وإن كانت صحيحة في إطارها العام، إلا أنها تقود في النهاية إلى التفسير الجغرافي الذي يتعارض مع الأدلة التاريخية، فدول المدن وجدت قبل وجود الأمة اليونانية ووجدت كذلك بعد انتهاء الحضارة اليونانية، وفي مناطق مختلفة من العالم تختلف ظروفها الجغرافية كثيراً عن اليونان.

أما الماركسيون فإن تفسيرهم لنشأة دولة المدينة قام على أساس أنه حين زادت العلاقات الاقتصادية بين اليونانيين القدماء من تبادل للسلع وتطور في علاقات العمل وملكية الأرض وظهور الطبقات

---

(1) فوستيل دي كولانج، المدينة العتيقة، مرجع سبق ذكره، ص174 .

(2) أرنولد توينبي، مختصر دراسة للتاريخ، ج3، مرجع سبق ذكره، ص ص 375 – 376 .

الاجتماعية، تحولت القرية التي كانت تسكنها القبيلة إلى دولة مدينة يحكمها ملاك الأراضي[1]. و واضح أن هذا التفسير لنشأة دولة المدينة يعتمد على تفاعل القوى المادية للإنتاج، والعامل المادي ليس هو التفسير الصحيح والوحيد والكامل للتاريخ. أما أرسطاطاليس الذي عاش في ظل نظام دولة المدينة ودرسه بشكل تفصيلي فيقول : " إن الدولة هي من عمل الطبع ... فالطبع إذاً يدفع الناس بغرائزهم إلى الاجتماع السياسي "[2]. وبذلك فإن تفسير نشأة نظام دولة المدينة ' لا يزال مسألة مفتوحة الحدود وتحتمل المزيد من الدراسة والبحث.

وقد كان لكل دولة مدينة آلهتها الخاصة بها، وإله أو إلهة كبرى تحرسها ومعها آلهة آخرون أقل شأناً يحرسون المدينة أيضاً. يقول الشاعر : " أيها الآلهة الذين يحرسون هذه المدينة "[3] ويقول سقراط : " آلهة الدولة "[4]. ويقول أوربيد مفاخراً " آلهتنا أقوى من آلهتهم "[5]. ومن عادة أية دولة مدينة أن يكون لها أيضاً بطل تعبده وتخصه لنفسها فقط، ولا تسمح لأحد من الأجانب بعبادته، كما لم

---

(1) أرنست فيشر، ضرورة الفن، مرجع سبق ذكره، ص46 .

(2) أرسطاطاليس، السياسة، مرجع سبق ذكره، ص ص 96 – 97 .

(3) ايسكلوس، مسرحيات ايسكلوس : مسرحية السبعة ضد طيبة، مرجع سبق ذكره، ص 200.

(4) أفلاطون، محاورات أفلاطون : محاورة الدفاع، مرجع سبق ذكره، ص 55 .

(5) أوربيد، مسرحيات أوربيد : مسرحية أبناء هرقل، مرجع سبق ذكره، ص 226.

تسمح لهؤلاء بأن يدخلوا معابدهم أو أن يمارسوا طقوسهم الدينية[1]، مع العلم بأنه يمكن تعيين كاهن المعبد من مدينة أخرى، إذا رضي أهلها بذلك، وكانت دولة مدينة أثينا تعبد الآلهة أثينا ربة الحكمة والفنون، ومنها أخذت اسمها، يقول ايسكلوس:

فيابالاس ! ربتي أثينا

حامية الإغريق والمدينة[2].

ويقول أريستوفان : " أيتها الربة بالاس، يا حارسة أثينا "[3] ويقول كذلك : " أثينا آلهتنا القومية حامية المدينة "[4]. وكان من عادة اليونانيين أن يقدموا القرابين إلى آلهة مدينتهم ثم يطالبونهم مقابل ذلك بالحماية والمعونة حين الحاجة، فالشيخ خرسيس وقد مسه الضر، يتوجه بالدعاء إلى أبولو إله مدينته مذكراً إياه بفضائله السابقة عليه " يا إلهي يا ذا القوس الفضية اسمع دعائي! وإذا كنت قد أقمت هيكلاً

---

(1) فوستيل دي كولانج، المدينة العتيقة، مرجع سبق ذكره، ص201 .
انظر كذلك :
- أسوالد إشبنجلر، تدهور الحضارة الغربية، ج2، مرجع سبق ذكره، ص 357.

(2) ايسكلوس، مسرحيات ايسكلوس : مسرحية الصافحات، مرجع سبق ذكره، ص 97.

(3) أريستوفان، كوميديات أريستوفان : مسرحية الفرسان، ج1، مرجع سبق ذكره، ص 61 .

(4) أريستوفان، مسرحية السحب، مرجع سبق ذكره، ص 61 .

لتمجيدك، وضحيت بكثير من شحوم الثيران والأكباش زلفى إليك فاستجب لي الآن، وانتقم لدموعي هذه بإرسال نبالك على هؤلاء الإغريق "[1]. ولأنهم كانوا يعتقدون أن الدين والقانون هما حماة المدينة فقد نظروا إليهما نظرة ترفع شأنهما وتعلي قدرهما، فبالنسبة للدين يقول داناؤوس : " المذبح أقوى من الحصن "[2] وبالنسبة للقانون يقول الكورس في مسرحية الفرس : " قوانيننا حصن يحمي الحكومة ويرشدها "[3] ويقول أوربيد : " إن احترام القوانين فيه قوة المدائن وصلاحها "[4]. وحديث سقراط في محاورة أقريطون يؤكد على أن احترام قوانين المدينة هو أهم واجبات المواطن[5].

وقد كان اليونان يحملون الكثير من الولاء لمدنهم فأفلاطون في محاورة الخطابة يخص دولة مدينته أثينا بأبلغ التكريم[6]، وكذلك سوفوكليس يخص مدينته طيبة بأروع الوصف والثناء في مسرحيته

---

(1) هوميروس، الإلياذة، ترجمة : عنبرة سلام الخالدي، مرجع سبق ذكره، ص 28.

(2) ايسكلوس، مسرحيات ايسكلوس : مسرحية الضارعات، مرجع سبق ذكره، ص 254 .

(3) نفس المرجع السابق، مسرحية الفرس، ص 116 .

(4) أوربيد، مسرحيات أوربيد، مسرحية المستجيرات، ترجمة علي حافظ، مرجع سبق ذكره، ص 172 .

(5) أفلاطون، محاورات أفلاطون : محاورة إقريطون، ترجمة : زكي نجيب محمود، مرجع سبق ذكره، ص ص 94 – 101 .

(6) أفلاطون، محاورة الخطابة : منكسينوس، ترجمة : عبدالله حسن المسيلمي، منشورات الجامعة الليبية، بنغازي، ط1، 1972، ص ص 53 – 79.

أوديب في كولونا. لقد كان نظام دول المدن في بلاد اليونان القديمة أحد أهم أسباب عدم قيام وحدة شاملة فيها تحت سلطة سياسية واحدة، وذلك لثلاثة عوامل رئيسية :

العامل الديني: فقد كان لكل مدينة نظام كهانة خاص بها وكذلك شعائر دينية تميزها عن أي مدينة أخرى، وهو ما أدى إلى خلق العصبية والولاء الدينيين في كل مدينة لآلهتها الخاصة بها، فدولة أثينا كانت تعبد الآلهة أثينا، ولوكيا كانت تعبد الإله أبولو .. الخ، مما منع قيام الوحدة بين دول مدن ذات آلهة مختلفة[1].

العامل السياسي : حيث كانت السلطة السياسية الحاكمة في كل مدينة تسعى إلى الحفاظ على مركزها السياسي وترفض التنازل عنه، فالمدينة كما يقول سوفوكليس : " رهينة بأمر رؤسائها "[2]. ومن ثم فإن أولي السلطان كرهوا أن يقوم اتحاد يقلل من سلطاتهم أو يوجد لهم شركاء فيها.

العامل الثقافي : حيث كانت لكل مدينة ثقافتها الخاصة بها التي رسمت طابعها المميز لها، وحددت أنظمتها وشرائعها[3].

---

(1) فوستيل دي كولانج، المدينة العتيقة، مرجع سبق ذكره، ص202 .

(2) سوفوكليس، من الأدب التمثيلي اليوناني : مسرحية فيلوكتيتس، مرجع سبق ذكره، ص 62 .

(3) أرنست باركر، النظرية السياسية عند اليونان، مرجع سبق ذكره، ص 17 .

3) النظرية السياسية :

أ) أصل السلطة : ذهب اليونانيون في عصورهم الأولى إلى القول بالأصل الإلهي للسلطة الحاكمة، ولا يعني هذا أنهم كانوا يؤلهون الحكام، وإنما كانوا يعتقدون أن السلطة التي يحوزها هؤلاء من لدن الآلهة، وإذاً فهي مقدسة. يقول هوميروس : " لقد أقامك زوس ملكاً على شعوب متعددة تسوسها بالحكمة "[1]. ويقول سوفوكليس : " إن من تلقى صولجان الملك من زوس، أبصر من غيره بعواقب الأمور "[2]. وهم يشتركون في هذه الفكرة مع الحضارات الأخرى كالمصرية والبابلية ولكنهم يختلفون عنهم من حيث إن تلك الحضارات كانت تؤله ملوكها كلياً أو جزئياً، أما اليونانيون فلا، فالوثائق المصرية تصف الفرعون بأنه ابن رع أي ابن إله الشمس رع[3]. وملحمة جلجامش تقول عن الملك بأن " ثلثاه إله وثلثه بشر "[4].

ب) شكل السلطة : لعهد سولون لم تعرف الأمة اليونانية إلا شكلين

---

(1) هوميروس، الإلياذة، ترجمة : عنبرة سلام الخالدي، مرجع سبق ذكره، ص 125.

(2) سوفوكليس، من الأدب التمثيلي اليوناني : مسرحية فيلوكتيتس، مرجع سبق ذكره، ص256 .

(3) نيقولا جريمان، تاريخ مصر القديمة، ترجمة : ماهر جويجاتي، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، ب.م، ط2، 1988، ص 110 .

(4) ب .م، ملحمة جاجامش، ترجمة : فراس السواح، العربي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط1، 1987، ص 91 .

من أشكال النظم السياسية: حكم الفرد أو حكم القلة وهذين الشكلين انقسما في داخلهما إلى مستويات عدة حسب درجة صلاح الحكم. وبذلك فإن شكل السلطة السياسية كان تابعاً لهذين النوعين من أنواع الأنظمة السياسية .

ج) **وظيفة السلطة** : كانت وظيفة السلطة عند اليونان على المستوى النظري تتركز في محاولة تحقيق السعادة للدولة، والسبيل إلى ذلك هو أن تسلك الدولة طريق الفضيلة، حيث كان اليونان يعتقدون " أن الدولة الفضلى هي الدولة السعيدة والناجحة معا "[1]. وذهب أفلاطون إلى أن الحاكم راع وأن الشعب رعيته[2]. ولكن هذه الوظيفة على المستوى النظري تطلبت أيضاً واقترنت بضرورة أن تكون مصلحة السادة فوق مصلحة الآخرين .

د) **انتقال السلطة** : إذا كانت السلطة ممنوحة من الآلهة للحكام فإن الآلهة قادرة على سلبها منهم، ويكفي أن نذكر مأساة أوديب، أما أوديسيوس فقد كاد أن يكون من الهالكين لأن الإله بوسيدون غضب عليه، فالسلطة قابلة للانتقال، ويتوسل اليونانيون بشتى الوسائل المادية للحصول عليها والاحتفاظ بها، يقول الشاعر اليوناني : " أليس من الجنون أن يطمع الإنسان في

---

(1) أرسطاطاليس، السياسة، مرجع سبق ذكره، ص239 .

(2) أفلاطون، محاورة الجمهورية، ترجمة : حنا خباز، دار القلم، بيروت، ط1، 1969، ص 30 .

السلطان وليس له ثروة ولا صديق "[1]. وكان انتقال السلطة يتم بعدة وسائل :

أولاً : الوراثة، يقول كريون : " أنا صاحب الملك بحق الوراثة "[2].

ثانياً : الزواج بملكة، فقد كان كل واحد من خطاب بينلوبي يأمل بأن يظفر بالزواج منها لكي يحوز السلطة السياسية .

ثالثاً : القوة، كما استولى بيزستراتوس على السلطة في أثينا، يقول أرسطاطاليس : "انظر إلى بيزستراتوس في أثينا حين أذكى الفتنة ضد أهل السهل"[3].

رابعاً : الانتخاب، فقد كانت بعض الأنظمة السياسية في اليونان، تأخذ بالانتخاب طريقاً للوصول إلى السلطة، إلا أن ذلك كان حكراً على ذوي الثراء والجاه[4].

الحياة القانونية :

جوهر القانون اليوناني : عرفت الأمة اليونانية منذ نشأتها فكرة القانون وأدركت حاجتها إلى قوانين تنظم سير حياتها، وتحافظ

---

(1) سوفوكليس، من الأدب التمثيلي اليوناني : مسرحية أوديب ملكاً، مرجع سبق ذكره، ص162 .

(2) نفس المرجع السابق، مسرحية انتيجوني، ص 109 .

(3) أرسطاطاليس، السياسة، مرجع سبق ذكره، ص403 .

(4) موزيس فينيلي، ابتكار السياسة، مرجع سبق ذكره، ص24 .

على استقرارها وأمنها، فظهر بينها من استنوا لها قوانيناً وشرائع مثل ليكوغرس في إسبرطة، وبيتاقوس في ميتلين، وسولون في أثينا. وعند الحديث عن القانون اليوناني لا بد من الانتباه إلى أن تعدد المدن اليونانية واختلافاتها الدينية والثقافية، جعل لكل مدينة قوانينها الخاصة بها، ولذلك لم يفكر اليونان في إيجاد قانون يوناني عام[1]، وقد انقسمت القوانين اليونانية إلى نوعين: قانون وضعي وقانون طبيعي، فأما القانون الوضعي، فقد حاولوا أن يجعلوه مبنياً على العدل فدعوا إلى احترام الواجب وناشدوا الضمير الفردي للإنسان، وآمنوا بضرورة " تجنب الأخطاء لا خوفاً بل شعوراً بالواجب "[2]. ودعوا إلى التمسك بالقوانين لإيمانهم بأن " يجب أن يحارب الناس من أجل قوانينهم كما يحاربون من أجل أسوار مدينتهم "[3]. وإذا كان فريق من اليونانيين قد اعتقد أن أي قانون إنما هو من عند الآلهة، كأفلاطون الذي قال عن قوانين قارة أطلنطس " لقد حددتها شرائع بوسيدون "[4]، وهيراقليطس الذي قال : " إن كل القوانين الإنسانية مستمدة من قانون إلهي واحد، يسطر حسبما يشاء، ويكفي كل

---

(1) أسوالد إشبنجلر، تدهور الحضارة الغربية، ج2، مرجع سبق ذكره، ص311 .

(2) حسين حرب، الفكر اليوناني قبل أفلاطون، مرجع سبق ذكره، ص 79 .

(3) فيليب ويلرايت، هيرا قليطس، مرجع سبق ذكره، ص 108 .

(4) أفلاطون، محاورات أفلاطون : محاورة أكريتس، ترجمة : زكي نجيب محمود، مرجع سبق ذكره، ص 465 .

الأشياء ومع ذلك فهو أكثر منها "[1]. فقد اعتقد فريق آخر بافتقار القوانين الوضعية للأصل الإلهي، كأنطيفون السفسطائي الذي ذهب إلى أن "القانون هو مجرد تعارف واتفاق، ومن ثم كان مضاداً للطبيعة، ومع ذلك فإن أفضل وسيلة للحياة هي أن يحترم المرء القانون أمام الناس. فإن لم يجد رقيباً اتبع الطبيعة التي تعني أن يعمل الشخص في تصرفاته لمصلحته الخاصة "[2]. وهيبياس الذي رأى أن " القانون هو السيف المسلط على رقاب البشر "[3]. واستناداً إلى فكرة الأصل الإنساني للقوانين ذهب بعض المفكرين إلى إمكانية العمل بخلافها، فكاليكس السفسطائي يقول : " لو وجد رجل لديه القوة الكافية لداس بقدميه كل تعاليمنا وتعاويذنا وتمائمنا وكل قوانيننا التي تتعارض مع الطبيعة "[4]. أما القانون الطبيعي فيقول عنه سوفوكليس " لم توجد هذه القوانين منذ اليوم ولا أمس، هي خالدة أبدية وليس من يستطيع أن يعلم متى وجدت "[5]. وقد ذهب معظم اليونانيين إلى

---

(1) فيليب ويلرايت، هيرا قليطس، مرجع سبق ذكره، ص 108.
(2) جورج سباين، تطور الفكر السياسي، ج1، مرجع سبق ذكره، ص 35 .
(3) أفلاطون، محاورة بروتاجورس، مرجع سبق ذكره، ص 77 .
(4) راجع :
أ- أفلاطون، محاورة جورجياس، مرجع سبق ذكره، ص 89 .
ب- جورج سبابن، تطور الفكر السياسي، ج1، مرجع سبق ذكره، ص 36.
(5) سوفوكليس، من الأدب التمثيلي اليوناني : مسرحية أنتيجوني، مرجع سبق ذكره، ص117.

أن القانون الطبيعي هو عادل بالضرورة لأنه من وضع الطبيعة فله صفة الكمال .

أما كيفية صدور القوانين، فتحددها طبيعة هذه القوانين ونوعيتها، فالقانون الطبيعي هو أعراف الأمة اليونانية التي كانت تتطور وتتشكل مع الزمن، وكانت عامة تشمل جميع دول المدن اليونانية، حتى أن أوربيد حين تكلم عن هذا القانون أسماه " شريعة الإغريق "(1). أما القانون الوضعي فهو قواعد يضعها شخص أو أشخاص تكلفهم المدينة بوضع تشريعات خاصة لها، أو أن القاضي كما يقول أسوالد اشبنجلر : " إذا ما استدل في حالة وجود مجموعة خاصة من الوقائع على أن في القانون قصوراً أو نقصاً بالنسبة إلى هذه الوقائع، فإن باستطاعته أن يتلافى فوراً هذا النقص، وهكذا يدع، والمحكمة لا تزال تماماً في منتصفها، قانوناً جديداً يمسي فيما بعد " إذا وافقت عليه هيئة القضاة " جزءاً من مجموعة القوانين الدائمة "(2). وكانت إلزامية القواعد القانونية نتيجة لما يضفيه الدين على هذه القواعد من القداسة بما يجعلها ذات طبيعة ملزمة. وقد سما اليونانيون بفكرة العدالة حيث قالوا إنها أعلى الأشياء الطيبة(3)،

---

(1) أوربيد، مسرحيات أوربيد : مسرحية المستجيرات، ترجمة : علي حافظ، مرجع سبق ذكره، ص172.

(2) أسوالد إشبنجلر، تدهور الحضارة الغربية، ج2، مرجع سبق ذكره، ص 314 .

(3) أفلاطون، محاورة الجمهورية، مرجع سبق ذكره، ص 42.

واعتقدوا أنها غاية كل الشرائع، لأن " جميع الأمور القانونية هي أيضاً أمورٌ عادلة بوجه ما، كل الأفعال التي نص عليها التشريع قانونية وإننا لنسمي كل واحدة منها فعلاً عادلاً. غرض القوانين في نصوصها هو إما حماية المصلحة الخاصة لهؤلاء الذين هم سادة المملكة سواء بفضلهم أو بأي عنوان آخر. وينتج من ذلك أنه يمكننا أن نقول على القوانين بوجه ما إنها عادلة متى كانت توجد سعادة الاجتماع السياسي "[1]. لذلك فقد آمنوا أن " العمل العادل هو الذي يطابق القانون والمساواة، والعمل الظالم هو اللاقانوني وغير المطابق للمساواة". وذهب أوربيد إلى أن الآلهة تناصر وتؤيد الحق والعدالة، وهو ما يشمل طبعاً القوانين العادلة، فقال عن ملك أرجوس الذي خرج لمحاربة أثينا " يوم خرج من ميسينيا بجيش فظيع متعالياً على الحق والعدل وجاء يغزو أثينا. لكن قوة إلهية أخلفت ظنه وخيبت آماله "[2].

إلا أن الإغريق على الرغم من كل ذلك اعتقدوا أن العدالة أمر عزيز المطلب، صعب المنال، فجرى بينهم مثل يقول (أندر من العدالة)[3].

---

(1) أرسطاطاليس، الأخلاق، ج2، مرجع سبق ذكره، ص 59 .
(2) أوربيد، مسرحيات أوربيد : مسرحية أبناء هرقل، ترجمة : علي حافظ، مرجع سبق ذكره، ص245.
(3) أرسطاطاليس، الخطابة، ترجمة : إبراهيم سلامة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط2، 1953، ص 134 .

القانون السياسي : تقدم القول بأن السلطة حتى عصر سولون كانت ذات أصل ومصدر إلهيين، ومن ثم فهي أيضاً سلطة مقدسة، ولكن الفكر اليوناني لم يعطِ شيئاً من هذه القداسة لصاحب السلطان ليستأثر بالأمور وفق هواه، وإنما العكس هو الصحيح، فقد كان اليونانيون يرون أن على من يملك السلطة أن يراعي أقصى شئون العدل والفضيلة. وكما يقع في جميع الأمم، كان أصحاب السلطان يستأثرون أحياناً بالأمر فيطغون ويعيثون في الأرض فساداً، ولكن الشعب في تلك الأحوال كان يسخط ويبدأ بالتململ، فأثينا قبيل مجيء سولون كانت في حالة اضطراب اجتماعي جعل الناس يتحدثون عن الثورة، وكادت أن تقع حرب أهلية لولا أن جاء سولون فأنقذ أثينا وأعاد لها الأمن والاستقرار.

أما القانون الذي كان يحكم علاقات دول المدن بعضها ببعض، فلم يكن موجوداً بصيغة القانون المكتوب، ولكن كان على شكل قواعد عرفية عامة متفق عليها بشأن تلك العلاقات. كما كانت تعقد بين بعض دول المدن اتفاقيات أو معاهدات سياسية أو تجارية مؤقتة، مما يجعل هذه القواعد أقرب إلى العرف منها إلى القانون. وقد خرج ملوك اليونان إلى حرب طروادة بعد أن تعاهدوا على أن يدكوا أسوارها دكاً، ونزل هؤلاء الملوك إلى أجاممنون عن بعض سلطاتهم فجعلوه ملكهم أثناء الحرب، أي مدة الاتفاق فقط وهو اتفاق مفتوح ينتهي بنهاية الحرب، ولأي ملك شاء أن يخرج

عن هذا الاتفاق دون قيد أو شرط، لذلك قال أجاممنون لآخيل " اذهبْ ومنْ معك من المرامدة ! فإن لي زعماء لهم مثل كفاءتك، ولهم ما ليس لك من استعداد لإجلالي "[1]. أما الشروط التي يضعها العرف الدولي اليوناني لكي يكون أحد الملوك قائداً أو رئيساً للملوك الآخرين في أي حرب اتفقوا عليها، فهي ثلاثة شروط يذكرها هوميروس بالترتيب عندما يصف أجاممنون ملك ملوك اليونانيين في حرب طروادة قائلاً :

" مليك بأحوال السياسة عارف ... عزوم بصماء المعامع جبار "[2].

فهي إذاً :

1) الخبرة السياسية

2) القوة والعزم

3) الحنكة في الحروب .

وفيما عدا اتفاقيات الحروب المشتركة أو السلم الدولي، فقد كانت العلاقات الدولية بين دول المدن اليونانية تتم بشكل غير مقنن دولياً، يقدم أرسطاطاليس الدليل على أن القانون الداخلي لكل دولة على حدة هو الذي ينظم علاقاتها السياسية خارجياً، فيقول " وإذا

---

(1) هوميروس، الإلياذة، ترجمة : عنبرة سلام الخالدي، مرجع سبق ذكره، ص 31 .

(2) هوميروس، الإلياذة، ترجمة : سليمان البستاني، مرجع سبق ذكره، ص 20 .

كان للدولة جيران عني التشريع بتقدير العلاقات التي يناسب أن تكون بينها وبينهم والواجبات التي ينبغي القيام بها نحوهم "[1].

التقسيم الاجتماعي والطبقي :

ينقسم سكان دولة المدينة أثينا إلى ثلاثة أقسام :

1) المواطنون: ويشترط في المواطن أن تكون أمه حرة أثينية الأصل، وتتمتع الأنثى بالحقوق المدنية، أما الذكر فيتمتع بالحقوق المدنية والسياسية .

2) الأجانب: وهم الأحرار الذين لا ينتمون إلى نفس المدينة، وإنما يعيشون فيها لكسب الرزق، وهؤلاء لا يتمتعون بالحقوق السياسية، وإنما يتمتعون بالحقوق المدنية، وإن كان أسوالد اشبنجلر يرى عكس ذلك، فالقانون في رأيه " كان يطبق فقط على المواطنين أما الأجانب والعبيد وكل من كان في العالم خارج أسوار المدينة فإنهم جميعاً لم يكونوا ذوي شأن في نظر القانون"[2]. إلا أن ملحمة هوميروس الأوديسا، تفند هذا الرأي عندما تذكر أن أوديسيوس عندما نزل بأرض الفياشيين استقبله أهلها مرحبين، وحين تخاصم مع أحد مواطنيها أنصفوه[3].

---

(1) أرسطاطاليس، السياسة، مرجع سبق ذكره، ص243 .

(2) أسوالد إشبنجلر، تدهور الحضارة الغربية، ج2، مرجع سبق ذكره، ص 311 .

(3) هوميروس، الأوديسا، مرجع سبق ذكره، ص ص 77 – 78.

3) العبيد: وهم أرقاء للأحرار ولا يتمتعون بأية حقوق لا سياسية ولا مدنية .

هذا من حيث التقسيم الاجتماعي[1]، أما من حيث التقسيم الطبقي فقد قسم القانون الأثيني (مواطني) دولة أثينا إلى الطبقات التالية :

1) الطبقة الأولى: (الأشراف : اليوبترد): وهم من يملكون خمسمائة (مديمنوس) فأكثر.
2) الطبقة الثانية : (طبقة الفرسان : الهيبي) : وهم من يملكون ثلاثمائة (مديمنوس) وبمعنى آخر هم من يستطيع كل فرد منهم أن يغذو فرساً ويقوم بحاجاتها المختلفة.
3) الطبقة الثالثة : (الحرفيون : الزوجيتاي) : وهم الذين يملكون المحراث وما يجره من الثيران، وأرضاً يزرعونها، وكانت هذه الطبقة هي من يملك كل واحد فيها أرضاً تثمر له كل سنة نحو مائتي (مديمنوس) .
4) الطبقة الرابعة: (المعدمون: الثيتيس): وهم من لا يملكون شيئاً

---

(1) راجع :
أ- جورج سباين، تطور الفكر السياسي، ج1، مرجع سبق ذكره، ص ص2 -4 .
ب- إبراهيم أحمد شلبي، تطور الفكر السياسي، مرجع سبق ذكره، ص 78 .

أو من يملكون مالا يبلغ قدره مائتي (مديمنوس)[1].

ومـــن الواضـــح أن التقسيم الطبقي مبني على أساس قاعدة (الملكـــية)، فـــثروة الشخص هي التي تحدد الطبقة التي ينتمي إليها، دون أن يمـــنع ذلك من انتقال الأفراد من طبقة إلى أخرى سواء إلى أعلى أو إلى أسفل. فمن يصيب حظاً من ثراء، يستطيع أن ينتقل إلى طـــبقة أعلى من الطبقة التي ينتمي إليها بالأصل، والعكس صحيح. وحين اقترب القرن السابع قبل المسيح من نهايته، كان معظم مواطني أثيـــنا ينـــتمون إلى طبقة الثيتيس المعدمين، بعد أن ساءت أحوالهم الاقتصادية كثيراً. وأوربيد حين يتحدث عن التقسيم الطبقي وأثره في مصـــلحة الدولة، يرى أن المواطنين ينتمون إلى ثلاث طبقات، بغض النظر عن التقسيم القانوني، وما إذا صنفهم أربعاً أو عشراً، وإن لكل طـــبقة صـــفاتها الخاصة، فيقول : " المواطنون ثلاث طبقات : طبقة الأغنياء وهؤلاء لا خير فيهم لأمتهم، فليست لهم همة لغير التكاثر في الأمـــوال والـــثمرات، وطـــبقة المعدمـــين الذين لا يملكون القوت الضـــروري وهـــؤلاء خطـــيرون يحسدون وينقمون ويولون سهام شـــرورهم إلى مـــن يملـــك شيئاً، ينساقون مخدوعين لخطابة أشرار

(1) راجع :
أ - ول ديورانت، قصة الحضارة، ج6، مرجع سبق ذكره، ص ص 204 -205.
ب- عاصم أحمد حسين، المدخل إلى تاريخ وحضارة الإغريق، مرجع سبق ذكره، ص 159.

الزعماء. والطبقة الثالثة هي الطبقة الوسطى وهذه هي حارسة الأمة وتحمي النظام الذي اختارته الأمة للحكم "[1].

التقسيم القبلي : أما من حيث التركيبة القبلية فقد كانت أثينا مقسمة قبل عصر سولون وأثنائه إلى أربع قبائل كبرى ولكل قبيلة ملك (أي شيخ يرأس أعضاءها) وتنقسم كل قبيلة إلى ثلاثة (تريتوس) وهو قسم إداري الغرض منه تيسير جمع الجنود وجباية الضرائب في القبيلة، وكل (تريتوس) ينقسم بدوره إلى اثني عشر (نوكراريا) وهو قسم إداري أنشيء لنفس الغرض، ولكل (نوكراريا) رئيس هو (النوكراروس) الذي يجبي الضرائب ويقوم بنفقاها[2].

القانون الاقتصادي :

أ) اختراع النقود :

كانـــت التجارة نشاطاً اقتصادياً شائعاً في مصر وسومر وبابل وفينيقيا وكنعان وسائر أنحاء العالم القديم منذ عدة آلاف من السنين. وكانت تجري أولاً بطريقة المقايضة أي التبادل السلعي " مثلاً كمية معيـــنة من القمح مقابل عدد معين من الملابس "[3]، ثم استخدمت

---

(1) أوربيد، مسرحيات أوربيد، مسرحية المستجيرات، ترجمة : علي حافظ، مرجع سبق ذكره، ص 170 .

(2) أرسطاطاليس، نظام الأثينيين، مرجع سبق ذكره، ص 58 .

(3) موزيس فينيلي، عالم السياسة أوديسيون، مرجع سبق ذكره، ص73 .

فيما بعد المعادن الثمينة كمقياس للقيمة[1]، وقد استمر اعتماد التجارة بين المدن اليونانية على المقايضة حتى نحو القرن التاسع قبل المسيح أي حتى عصر هوميروس الذي يقول في الإلياذة : " وتبودلت بينهما الهدايا النفيسة، فأهدى أونيس إلى بيلروفون نطاقاً وشي بزركشة أرجوانية كما أهدى بيلروفون إلى أونيس كأساً من الذهب"[2]. ويفسر موزيس فينيلي تبادل الهدايا بأنه كان يعني آنذاك تبادلاً تجارياً[3]. و يقول هوميروس كذلك عن تبادل ديوميد وجلوكس للسلع بينهما: " فاستعاض عن الذهب بالنحاس، وعما قيمته مئة ثور بما يساوي تسعة ثيران "[4]. ثم استبدلت المدن اليونانية على الشاطئ الآسيوي من البحر الأبيض المتوسط أسلوب المقايضة، بأسلوب البيع بمقابل قضبان من المعدن الثمين حيث مر هذا الأسلوب بالمراحل التالية :

أ) مرحلة قبول التبادل عن طريق مساواة قيمة السلع بقيمة قضبان المعدن .

ب) مرحلة اشتراع قاعدة تقدير عقوبة قانونية على من يغش الوزن والعيار.

---

(1) أرنولد توينبي، مختصر دراسة للتاريخ، ج3، مرجع سبق ذكره، ص 111 .

(2) هوميروس، الإلياذة، ترجمة : عنبرة سلام الخالدي، مرجع سبق ذكره، ص ص 92 — 93 .

(3) موزيس فينيلي، عالم أوديسيوس، مرجع سبق ذكره، ص 74 .

(4) هوميروس، الإلياذة، ترجمة : عنبرة سلام الخالدي، مرجع سبق ذكره، ص 93 .

ج) مرحلة احتكار الحكومات لصناعة وحدات القيمة المعدنية المتداولة.

د) مرحلة مسئولية الدولة عن إنتاج عملة تكتب على وجهيها معلومات تحدد وزنها ونوعها وقيمتها ودار السك الحكومية التي أنتجتها[1].

ويذكر أرسطاليس أن الحاجة إلى المعاوضة أثناء التبادل الاقتصادي هي التي أنشأت فكرة العملة، فيقول : "إن العملة بمواضعة اختيارية قد صارت بوجه ما آلة الحاجة وعلامتها. وتذكاراً لهذه المواضعة أعطي للعملة في اللغة الإغريقية اسم مشتق من اللفظ الدال على القانون، لأن العملة لا توجد في الطبيعة ولا توجد إلا تبعاً للقانون وفي قدرتنا أن نغيرها وأن نصيرها عديمة النفع إن شئنا"[2].

وتذهب بعض الآراء إلى أن اختراع النقود قد تم في القرن السابع قبل المسيح، وأن الأمة اليونانية هي أول أمة اخترعتها واستخدمتها[3].

ب- قيمة بعض الأوزان والعملات :

1) الدراخمة : وهي عملة يونانية كانت تزن أربع جرامات وربع من الفضة.

---

(1) أرنولد توينبي، مختصر دراسة للتاريخ، ج3، مرجع سبق ذكره، ص 111 .
(2) أرسطاليس، الأخلاق، ج2، مرجع سبق ذكره، ص81 .
(3) أسوالد إشبنجلر، تدهور الحضارة الغربية، ج1، مرجع سبق ذكره، ص 115.

2) المن : كيل أو وزن يعادل (440 جرام) ونقد يعدل في الفضة (100 دراخمة) وكان المن يعدل (73 دراخمة) قبل وضع سولون لإصلاحاته الاقتصادية.

3) المديمنوس : وهو مقدار يعدل نحو (52 لتراً) .

4) الستاتير : وزن ونقد في نفس الوقت. وهو في النقد يختلف باختلاف المدن اليونانية، ففي بعضها يعدل (10 دراخمات) وفي غيرها يساوي نحو (4 دراخمات) فإذا كان يقصد به الوزن فإنه كان يقرب من الرطل، وهو ما يسمى باليونانية لتراً، أما إذا قصد به النقد الذهبي فقد كان في أثينا يساوي (20 دراخمة).

5) التلنتون : كان في الوزن يساوي نحو (26 كيلوجرام)في دولة مدينة أثينا، وفي النقود يساوي نحو (6000 دراخمة)[1].

---

(1) أرسطاطاليس، نظام الأثينيين، مرجع سبق ذكره، ص ص 49 - 61.

الفـصل الثاني

حياة سولون

* المبحث الأول: حياة سولون الاجتماعية
* المبحث الثاني: حياة سولون السياسية

المبحث الأول

حياة سولون الاجتماعية

أصلهُ ومولدهُ: هو سولون بن اكسيكستيدس، يرجع في أصله إلى الملك كودوروس، ولد عام أربعون وستمائة قبل المسيح "640 ق.م "[1] في أثينا. ومع كونه من الطبقة الأرستقراطية من حيث مولده، إلا أنه كان من الطبقة الوسطى من حيث وضعه الاقتصادي. يقول عنه أرسطاطاليس : "كان سولون بمولده وصيته يعد من أوائل أعضاء الدولة، وبثروته ومكانهُ الاجتماعي كان من الطبقة الوسطى. ذلك شيءٌ معروف "[2] ويقول عنه أيضاً: "إن الشارعين الأخيار ظهروا من هذه الطبقة الوسطى. فقد كان منها سولون كما تشهد به أبياته "[3]. وكان من عادة الأسر الشريفة أن ترجع بأصلها إلى إلهٍ ما من آلهة اليونان، فكانت أسرة سولون ترجع بأصلها إلى الإله بوسيدون إله البر والبحر، أحد آلهة البانثيون الأولمبي[4]. وقد سمى ابن فاتك والد سولون باسم

---

(1) محمد غلاب، الأدب الهيليني، ج2، مرجع سبق ذكره، ص 56 .
(2) أرسطاطاليس، نظام الأثينين، مرجع سبق ذكره، ص ص 51 - 52.
(3) أرسطاطاليس، السياسة، مرجع سبق ذكره، ص 341 .
(4) ول ديورانت، قصة الحضارة، ج6، مرجع سبق ذكره، ص 209 .

اكسيكاسطيذيس[1]، وقال المؤرخون اليونانيون إن والده كان على حظ عظيم من الثراء، ولكنه كان جواداً شديد الكرم، فأهلك ثروته في التصدق على الفقراء، وبذا نشأ سولون في حال من العسر والضيق. أما نسبته إلى أثينا فقد أكد ذلك الكثيرون، كهيرودوت وأفلاطون وأرسطاطاليس وبلوتارك وابن فاتك والبيروني[2]. إلا إننا على الرغم من شهرته وذيوع صيته لا نعرف شيئاً عن طفولته، ولم نسمع عن إخوة أو أخوات له وإنما نعرف أنه عند بلوغه، اضطر لضيق ذات اليد أن يركب البحر لأجل التجارة[3]، ولم تكن هذه عادة الآثينيين[4]. وقد رأى توينبي أن سولون هو أحد أهل أثينا المعدودين الذين تاجروا آنذاك عبر البحار[5]، واستطاع من خلال تجارته هذه تكوين ثروة معقولة. وعرف عن سولون أيضاً العلم الغزير والتوغل الشديد في كثير من ضروب المعارف البشرية، ولا يتحصل ذلك إلا بشدة الدرس، ولذا فمن المؤكد أنه لم يكن يطلب

---

(1) أبو الفداء المبشر ابن فاتك، مختار الحكم ومحاسن الكلم، تحقيق: عبد الرحمن بدوي، منشورات المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد، ط1، 1958، ص 34.

(2) أبو الريحان البيروني، تحقيق ماللهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، دار الكتب، بيروت، ط1، 1958، ص24 .

(3) محمد غلاب، الأدب الهيليني، ج2، مرجع سبق ذكره، ص 56 .

(4) أرنولد توينبي، تاريخ البشرية، ترجمة: نقولا زيادة، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، ج1، ط1، ب. ت، ص 174 .

(5) أرنولد توينبي، تاريخ الحضارة الهيلينية، مرجع سبق ذكره، ص83 .

السفر لجمع المال فحسب بل لكي يظفر أيضاً بتحصيل العلم. ولا نعرف شيئاً واضحاً عن زوج سولون أو أبنائه، ولكن الثابت أنه أنجب ذريةً لأنه كان الجد السادس لأفلاطون من جهة أمه، كما أن هناك رواية تروى عن حفيد له .

أخلاقه: يقسم أرسطاطاليس الفضائل إلى نوعين: فضائل أخلاقية، وفضائل عقلية، ويقول أن الفضائل الأخلاقية تؤثر في الفضائل العقلية[1]، ويذهب فرويد إلى أن (الأنا الأعلى: الضمير) هو مستودع الأخلاق والمثل والقيم التي يؤمن بها المرء، وأن هذا الأنا (حارس على الفكر)، فما يفكر به الإنسان لابد أن يكون الأنا الأعلى وهو مكان الأخلاق رقيباً عليها[2]، ولأن للأخلاق الأثر الكبير في أفكار الإنسان بما فيها أفكاره السياسية، فسيتم التعرض لأخلاق سولون لملاحظة أثرها في فكره السياسي فيما بعد :

1) حُسن شيمته: يقول ابن فاتك : "وذكر عن سولون أنه كان لسِناً لطيفَ الكلام حتى كناه أهل أثينا المفرح "[3].

2) تواضعه: يقول سولون في أشعاره : "إنني أخشى البخل

---

(1) أرسطاطاليس، الأخلاق، ج2، مرجع سبق ذكره، ص 114 .

(2) جان لابلاس وج. ب. بونتاليس، معجم مصطلحات التحليل النفسي، ترجمة: مصطفى حجازي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط2، 1987، ص ص 111 - 113 .

(3) ابن فاتك، مختار الحكم، مرجع سبق ذكره، ص 36.

والكبرياء الذين ينشأ عنهما البغض"[1]. وجاء في كتاب (فِقرُ الحُكماء) لمؤلف عربي مجهول أن سولون قال "باللطف يُنال كل إرب "[2].

3) قناعـــته: وذلك أنه لما أُعطي السلطان كله رفضه، ولقد سخر منه البعض واتهموه بأنه ساذج، فكيف لرجل أن يرفض الملك والمال. فرد سولون عليهم بقصيدة يسخر فيها منهم ويبين لهم أنه إنما يريد إصلاح الدولة فقط، فقال عن نفسه "في الحق أن سولون لم يكن رجلاً متبصراً ولا ماهراً لأن الآلهة منحوه الحظ فنـــبذه ظهرياً، ولأن شبكته كانت مليئة بالأسماك فذهل عنها ونســـي أن ينتفع بما فيها، أو أن الجرأة قد أعوزته، أو أنه قد فقـــد صـــوابه"[3]. ثم يقـــول: "لـــو أنني استوليت على هذا الســـلطان، ووضعت يدي على ثروة واسعة، ولو أنني نصبت نفســـي طاغـــية على أثينا ولو يوماً واحداً لوددت أن يصنع مواطـــني من جلدي بعد سلخه قربةً، وأن يمحوا عنصري من الوجود "[4].

---

(1) أرسطاطاليس، نظام الأثينيين، مرجع سبق ذكره، ص 52.
(2) عبد الرحمن بدوي، رسائل فلسفية: للكندي والفارابي وابن باجة وابن عدي، دار الأندلس، ب. م، ط2، 1980، ص 246 .
(3) محمد غلاب، الأدب الهيليني، ج2، مرجع سبق ذكره، ص 61 .
(4) المرجع السابق، ص 61 .

نقطتان مهمتان في شخصية سولون لابد من إثباهما :

الأولى: هي ذلك التغير الكبير في مزاجه وخلقه. في بداية شبابه اتجه إلى الانهماك في ملذات العشق خاصة، والملذات الحسية عامة – وهذه صفة يشترك فيها الأثينيون جميعاً كما سبق القول – ثم نضجت شخصيته فترك هذه الشهوات فكان ذلك انقلاباً كبيراً في شخصيته .

الثانية: هي أنه تأثر بهوميروس فحاول أن يقتدي به فينشئ ملحمة كبيرة، إلا أن أجله لم يمهله للقيام بذلك. كما تأثره بشخص أوديسيوس أحد أبطال هوميروس، وهو ما يظهر في بعض تصرفاته عندما أراد تحرير سلامين، مثلما سبق وفعل أوديسيوس فقد ادعى الجنون مرة لتحقيق مأرب يبتغيه، وحين أراد سولون السفر والارتحال ليطوف أرجاء العالم، أعلن أن غيبته ستطول عشر سنوات، مقتديا في ذلك بأديسيوس الذي ظل في اليم عشر سنين عددا، متنقلا جوالا.

ثقافته وتعليمه :المعروف عن سولون أنه درس الكثير من العلوم دراسة معمقة، ومن أمثلة ما درسه:

1) الفلسفة: فقد قيل إن كروسيوس ملك ليديا قال يوماً لسولون : "إني سمعت أنك جُبت متفلسفاً كثيراً من البلاد، قصد التأمل والنظر" (1).

---

(1) محمد غلاب، الفلسفة الإغريقية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ج1، ط2، 1950، ص 25 .

2) الخطابة: يقول إيسوكراتس : "لقد درس أعظم ساسة هذه الأجيال والأجيال السابقة الخطابة ومارسوها أمثال سولون " [1].

3) التاريخ: فقد قيل أنه درسه في مصر، كما سيأتي ذكر ذلك .

4) الرياضيات: فقد ذكر هيروديت حديثاً عن سولون يتضح فيه تعمق الأخير في علم الرياضيات[2].

5) الشعر: فقد كان من فحول شعراء اليونان .

6) السياسة والقانون: ودليل ذلك تشريعاته السياسية والقانونية التي تدل على علم واسع في هذين المجالين.

مؤلفاته: لا تذكر المصادر اليونانية أن سولون قد وضع كتباً أو رسائل، فلم يرد في المراجع الموجودة اليوم أسماء أعمال من تأليفه، ولم يشر المؤرخون اليونانيون الذين تحدثوا عنه إلى شيء من هذا، وإنما يشيرون إلى ثلاثة أنواع من الإنتاجات الفكرية التي قام بها :

أ- أشعاره التي كان يتغنى بها، فقد أشاروا إلى كثير من قصائده.

ب- حكمه الموجزة المختصرة التي كان يرسلها، وهي نوع من الكلام الموجز البليغ الذي كانت تحفظه ذاكرة الناس وتكلف به .

---

(1) ج. ف. دبسون، خطباء اليونان، ترجمة: أمين سلامة، مؤسسة التضامن العربي، القاهرة، ب. ط، 1963، ص 153.

(2) أرنولد توينبي، الفكر التاريخي عند الإغريق، مرجع سبق ذكره، ص 149.

ج- قوانينه وشرائعه التي قال عنها أفلاطون إنها من أعظم الأعمال السياسية في التاريخ[1].

وهذه الأنواع الثلاثة من الأعمال الفكرية لسولون (الشعر والحِكم والقوانين) لم يبقِ التاريخ على كثير منها إذا صح الاعتقاد بوفرتها، فما بقي من أعماله قليل إذا ما قورن بما بقي من مؤلفات أفلاطون وأرسطاليس وأريستوفان، ولا يعني هذا أن سولون كان قليل الإنتاج، ولكن السبب يعود إلى الفروق بين العصور التاريخية، فظروف أثينا في القرن السابع قبل المسيح تختلف عن ظروفها في القرن الرابع قبل المسيح، وهذا يعني أن سولون قد عاش مع بداية عصر الحضارة، وهي مرحلة كانت فيها الكتابة في بداية انتشارها، ومن ثم فإن وسائل حفظ الأعمال المكتوبة كانت بدائية في حينها مما ترتب عليه خسارة كثير من أعمال كبار المفكرين في تلك الحقبة الزمنية، فجرى على سولون من ذلك، ما جرى أيضاً على مفكرين معاصرين له مثل سافو وممنرموس وآخرين .

وإذ يقول أفلاطون في محاورة فيدر : "وثالثاً إلى سولون أو سواه ممن يكتبون المؤلفات السياسية باسم القوانين "[2] ويوجه إلى سولون وجماعته القول التالي: "إن كان أحد منكم قد ألف هذه

---

(1) أفلاطون، محاورات أفلاطون: محاورة طيماوس، ترجمة: فؤاد جرجي بربارة، مرجع سبق ذكره، ص ص 189 - 190.
(2) أفلاطون، محاورة فيدر، مرجع سبق ذكره، ص 130 .

الكتابات عن معرفة بالحقيقة وكان قادراً على أن يؤيدها بالأدلة وأن يبين بكلامه أن الكتابة وحدها ليست بذات قيمة كبيرة، فإن مثل هذا الرجل لن يستمد لقبه من هذه الكتابات بل من المعنى السامي الذي تتضمنه هذه الكتابات "[1]. فإن هذه الأقوال تشير إلى أن عبارة (مؤلفات سولون السياسية) إنما أراد بها أفلاطون قوانين سولون وشرائعه، ولا يقصد بها أنه قد ألف كتباً أو رسائل، وهذا ما يمكن أن يفسر عدم إشارة المصادر اليونانية الموجودة اليوم صراحةً إلى مؤلفات لسولون، كما يفسر عدم العثور حتى اليوم على عمل منسوب إليه .

وتذهب المصادر العربية إلى عكس ذلك تماماً، حيث يقول ابن فاتك : "خلف سولون ابن اكسيكاسطيديس الحكيم كتباً كثيرة فيها علم الصالحات مملوءة بالمواعظ. وكان من أهل أثيناس مدينة الحكماء في الزمان الأول التي انتقل الملك إليها، وهو واضع الشرائع لهم، التي نقض بها نواميس ذراقون المارق، ولم ينقض النواميس التي جاءهم من فوينيكس. ووضع كتاباً فيه الأشعار المنشطة إلى مباشرة الحروب، يحرضهم به على قتال الأعداء لحاجة كانت إلى ذلك "[2]. إلا أن ذلك لا يشير إلى أكثر من أن مؤلفات سولون وإن كانت كثيرة العدد فإن قوام موضاعاها هي الحكمة والموعظة الحسنة (علم الصالحات)، وديوان لقصائده التي تدور حول الشعر الوطني الحماسي

---

(1) المرجع السابق، ص 130 .

(2) ابن فاتك، مختار الحكم، مرجع سبق ذكره، ص 34 .

وهو ما يمكن أن نستنتج منه أن كتب سولون التي يتحدث عنها ابن فاتك، ليست إلا أعماله الشعرية أو القانونية أو حكمه ومواعظه، وأن ما فقد من هذه الأعمال أكثر مما بقي لنا اليوم، حيث لم يعثر حتى الآن على عمل من تأليفه، ولم تذكر المصادر كتاباً معيناً ألفه، لذلك فإن أفكاره وتحديداً السياسية منها منثورة هنا وهناك في كتب أفلاطون وأرسطاطاليس وأريستوفان وبلوتارك . . الخ، في شكل شذرات أو أبيات أو مقولات قالها، أو نصوص قانونية وضعها .

أما نوع كتابته، وقيمة أعماله فيشهد عليهما أفلاطون الذي يقول على لسان سقراط في محاورة فيدر "وماذا تقول أيضاً في هذا.. إذا نجح خطيب أو ملك في أن يصل إلى مستوى قدرة ليكورجوس أو سولون فأصبح كاتباً خالداً، ألا يعد نفسه نداً للآلهة في أثناء حياته! ألا يكون هذا أيضاً هو حكم المستقبل عليه حين يتعلق الأمر بكتاباته ؟ "[1]. ويقول أيضاً في محاورة المأدبة : "وأنتم معشر الآثينيين تكرمون سولون أليس من أجل القوانين التي خلفها، وهذا شأن غير هؤلاء في بلاد اليونان وفي غير اليونان، وهم الذين خلفوا وقاموا بأعمالٍ عظيمة "[2].

شعــره :كان سولون شاعراً غنائياً استخدم الوزن الشعري

(1) أفلاطون، محاورة فيدر، مرجع سبق ذكره، ص 90 .
(2) أفلاطون، محاورة المأدبة، مرجع سبق ذكره، ص 68.

المسمى بالوزن (الأليجي) لإنشاء قصائده، ولكنه لم يلتزم بهذا الوزن فقط بل كان أحياناً يستخدم لنظم أشعاره أوزاناً شعرية أخرى مثل الوزن (التروخي) أو الوزن (الرباعي) أو الوزن (الأيامبي)، وهذه الأوزان الشعرية كانت عند اليونانيين، كما كان عند العرب أوزاناً شعرية مثل: الرجز والوافر والعريض والقصير . . الخ. ولكن النقاد أثبتوا اسم سولون ضمن قائمة الشعراء الأليجيين، لأنه اللون الذي برزت فيه عبقريته الشعرية. وقد أتلف الزمن الكثير من أشعاره فلم يبقى منها اليوم إلا نحو مائتان وخمسون بيتاً، هي شذرات من قصائد متفرقة[1].

أما الموضوعات التي طرقها سولون في شعره فكثيرة ومختلفة، فقــد أنشد قصائد تدور حول السياسة، وقصائد أخرى في الحكمة والأخــلاق، كما أنشأ قصائد في الغزل والخمر وموضوعات عديدة مختلفة. فأما في السياسة، فيقول س. م باورا : إن سولون قد استخدم الشعر للتعبير عن أرائه السياسية وكان يتمتع بفضائل خلقية وبالذوق الســليم، ويعطي وقاره وجديته قوة لأقواله في السياسة، وكان يحب أثيــنا، ولــذا فــإن ما يقوله عنها كريم ونبيل "[2]. ومن أمثلة شعر سولون في السياسة قوله "لقد وضعت حداً لآلام الشعب "[3]. وأما

---

(1) محمد غلاب، الأدب الهيليني، ج2، مرجع سبق ذكره، ص 59 .

(2) س. م باورا، الأدب اليوناني القديم، ترجمة: محمد علي زيد وأحمد سلامة محمد، دار سعد، القاهرة، ط1، ب. ت، ص 38 .

(3) أرسطاطاليس، نظام الأثينيين، مرجع سبق ذكره، ص 64 .

في الحكمة فقد كان يسعى إلى تعليم الناس سبل الحياة الفاضلة فيقول في ذلــك: "إنــي قــد وصــلت إلى ما وصلت إليه اليوم من هذه الشــيخوخة، وأنــا لا أزال أتعلم في كل يوم شيئاً جديداً "[1]. كما كانــت أشعار سولون تبين لنا فلسفته في الحياة[2] ومن شعره الذي يــنطوي على مضمون سياسي بنفس القدر الذي يوضح فلسفته في الحــياة قوله: "هاهي ذي التعاليم التي يأمرني قلبي بأن أُسمع الأثينيين إياهــا، موجــزها إن احتقار القانون يغمر الدولة بالآلام، إذ عندما يســود القانون يقر النظام والانسجام في كل مكان ويغل الأشرار، ويعــبد الوعر ويلين الجامد، ويخنق المتكبر، ويطفىء العنف، ويجف الشــر في زهــرته قبل تفتحها، ويقوم السبل المعوجة، ويكسر حدة الأفعــال الناجمة عن الكبرياء، ويقهر محاولات الثورة ويكبح جماح هــياج الشــحناء الألــيمة، وبفضله يصير كل شيء لدى الإنسان منسجماً ومتزناً "[3]. أما شعره الذي يتحدث فيه عن الخمر والغزل فقد جمع فيه بين الشهوة الجنسية ومعاقرة الخمر، واللذة التي تنتج من قرض الشعر، فهو يقول في بعض قصائده : "حبيبة إلى نفسي أفعال القبرصية - أفروديت - وديونسيوس وربات الفنون "[4]، ومعلوم أن

---

(1) محمد غلاب، الأدب الهيليني، ج2، مرجع سبق ذكره، ص 65 .

(2) س. م باورا، الأدب اليوناني القديم، مرجع سبق ذكره، ص 38 .

(3) محمد غلاب، الأدب الهيليني، ج2، مرجع سبق ذكره، ص 61 .

(4) المرجع السابق، ص354 .

أفروديت هي آلهة الجمال والحب فهي هنا رمز للحب، وأما ديونسيوس فهو إله الخمر، وأما ربات الفنون التسع فهن الموساي إلاهات الفن بما فيه فن الشعر[1]. كما تضمن شعره أيضاً رؤيته للحياة الشخصية للإنسان، فقال عنها : "سعيد حقاً من له أولاد يحبهم وخيول لها صهيل وكلاب تتمتع بحاسة حادة في الشم وأصدقاء يمخرون البحر"[2].

هذه أمثلة عن بعض المضوعات التي تحدث عنها سولون في شعره وتناول فيها جوانب شتى من الحياة، أما قيمة شعره فتتحدد بسمات لعل أبرزها أن سولون لم يكن يجنح إلى الخيال أو المبالغة في شعره. وهو كأي مفكر آخر قد تطور فكره زمنياً، ولذا نجد أن شعره في سني شبابه الأولى كان قصائد خفيفة عن الحب والغزل، ثم أخذ كلما تقدمت به السنين يميل إلى شعر الحكمة ويضمن قصائده أفكاراً وحكماً وعظات. وكانت قصائده بصفة عامة قوية البناء بسيطة غير معقدة[3]، وأما أنه فحل من فحول الشعراء اليونان فذلك أمر تؤكده :

1) شهادة أفلاطون الذي يقول في محاورة طيماوس على لسان أحد الأثينيين: "إن سولون هو في الشعر أيضاً أجود الشعراء طراً وأوفرهم نبلاً وتحرراً. وإنه لو لم يمل إلى الشعر من باب التلهي

---

(1) المرجع السابق، ص354 .

(2) أحمد عثمان، الشعر الإغريقي، مرجع سبق ذكره، ص 119 .

(3) المرجع السابق، ص 113 .

فقط، بل جد فيه نظير الآخرين ونشط له وأنجز الرواية التي جاءنا بها من مصر، ولولا أنه أضطر إلى إهمال قرض الشعر بسبب الاضطرابات والثورات، وبسبب المساوئ الأخرى التي لقيها هاهنا لدى عودته، لما فاقه شهرة في ظني أحداً من الشعراء في يوم من الأيام، لا هزيود ولا هوميروس، ولا أي شاعر آخر سواهما"[1]. وإذاً فمن رأي أفلاطون أنه لولا المهام السياسية التي شغلت سولون وأخذت قسطاً غير يسير من وقته، لكان يفوق في شعره هوميروس أعظم شعراء اليونان.

2) قدرة سولون الكبيرة على نقد الشعر وتذوقه والتصرف بأوزانه، حيث استطاع أن يؤلف بأوزان شعرية مختلفة ألوانا من القصائد. وهناك حادثة تشير إلى تمكنه وفهمه لأوزان الشعر، حيث قيل أن ممنرموس الكولوفوني، وهو أحد شعراء اليونان الكبار، قد نظم بضعة أبيات قال فيها: (يا ليتني في سن الستين التقي بالموت والأقدار بدون مرض أو أسى). فرد عليه سولون معارضاً: الأفضل أن تقول الثمانين. وكان سولون بتعديله لهذه الكلمة لهذا الشاعر يصحح له هذا البيت من حيث الوزن[2]. وروي عن سولون أيضاً أنه كان ذواقاً للشعر وكان يكلف خاصة بشعر الشاعرة الكبيرة سافو، وأنه

---

(1) أفلاطون، محاورات أفلاطون: محاورة طيماوس، ترجمة: فؤاد جرجي بربارة، مرجع سبق ذكره، ص 189 .

(2) أحمد عثمان، الشعر الإغريقي، مرجع سبق ذكره، ص ص 108 - 109 .

طرب أشد الطرب لما سمع حفيده اكسيكستيدس يتغنى بشعر سافو في إحدى المآدب، فطلب من الفتى أن يعلمه هذه الأغنية، وحين سئل: لم أردت تعلمها وحفظها؟ فأجاب سولون: لكي أتعلمها فأستطيع بعدها أن أموت[1].

3) قدرة سولون الفائقة على تقليد شعر هوميروس، وهو مثال للكمال الشعري عند الأمة اليونانية .

وكان اليونانيون يحبون أشعار سولون كثيراً، فيقول أحد اليونانيين ذاكراً أحداث طفولته "نحن الأطفال الكثيرين تغنينا بمنظومات سولون الشعرية لأنها كانت طريفة "[2]. وجدير بالذكر أن سولون بعد رحلته إلى مصر، أراد أن يقوم بعمل شعري ضخم وهو كتابة ملحمة عن قارة أطلنطس، ولكن الأحداث السياسية وكبر سنه قد حالتا دون أن يقوم بذلك[3].

ديـــانـتــه: سبق القول أن الديانة التي سادت في اليونان القديمة كانت وثنية، وإذ ذهب مؤرخو اليونان القدماء إلى أن سولون كان عـــلى دين آبائه الأولين، فهذا يعني أنه كان وثنياً هو الآخر، يؤكد

(1) سافو، أغاني سافو، مرجع سبق ذكره، ص ص60 – 61 .
(2) أفلاطون، محاورات أفلاطون: محاورة طيماوس، ترجمة: فؤاد جرجي بربارة، مرجع سبق ذكره، ص 189 .
(3) المرجع السابق، ص 190 .

ذلـــك شـــعر ســـولون الذي يقول فيه: "هذه الأم الخيرة، أم آلهة الأولمـــب"(1)، وتشريعاته الاجتماعية التي راعى فيها عقائد وطقوس الدين الوثني. أما مؤرخو العرب القدماء فقد نسبوا إلى سولون أقوالاً تدل على أنه كان على ملة التوحيد، فالمؤلف العربي المجهول صاحب كتاب فقر الحكماء ونوادر القدماء والعلماء يذكر عبارة ينسبها إلى ســـولون ويفهم منها أنه كان على الملة الحنيفية "أصلحوا أعمالكم وراقـــبوا ربكم في سركم وعلانيتكم"(2). وقد اعتبر الشهرستاني أن ســـولون هـــو أحـــد الأنبياء العظام.(3) وقال البيروني: (لقد كانت اليونانـــية تـــأخذ النوامـــيس والسنن من حكمائهم المنتدبين لذلك المنسوبين إلى التأييد الإلهي مثل سولون"(4).

ولكن المرجح أن سولون كان وثنياً كما يظهر من أشعاره التي بقيت لنا اليوم. إلا أن تكون هذه الأشعار قد حرفت وبدلت، وليس هذا بشيء مستحيل .

وبقدر ما نعرف من أراء سولون الدينية التي يغلب عليها الطابع الوثني، يمكن القول أنه رأى ضرورة أن تحظى الدولة الصالحة

(1) أرسطاطاليس، نظام الأثينيين، مرجع سبق ذكره، ص 64 .
(2) عبد الرحمن بدوي، رسائل فلسفية، مرجع سبق ذكره، ص 246 .
(3) أبي الفتح الشهرستاني، الملك والنحل، تحقيق: محمد سيد كيلاني، شركة ومطبعة مصطفى الحلبي وأولاده، القاهرة، ج1، ب. ط، 1967، ص 104 .
(4) البيروني، تحقيق ما للهند، مرجع سبق ذكره، ص80.

برعاية الآلهة وحمايتها مما يعكس اعتقاده بأن الدين يحقق للناس الإشباع الروحي والاطمئنان النفسي، ويعين على ترسيخ احترام القانون العادل لأن الآلهة تحب العدالة، ومن يلزم طريق العدل يظفر برضا الآلهة. والدولة عند سولون إذا حظيت بحب الآلهة فليس لها أن تخاف ولا أن تشقى، فهو يقول "إن وطننا ليس عنده ما يخشاه من إرادة زوس ولا من نيات بقية الآلهة السعداء، وإن الإلهة ذات القلب الكبير بالاس أثينا ابنة زوس ذلك الوالد القوي، تسهر عليه وتبسط ذراعيها على المدينة "[(1)]. وقد رأى سولون أن الآلهة لا تغفل عن شيء، وأنها تقتص من المسيئين وظالمي أنفسهم، وتلك محاولة منه لردع مقترفي أعمال البغي والعدوان، يقول سولون "إن أعمال العنف لا يمكن أن تدوم، وإن زوس يرى حدود كل شيء "[(2)]. ومن دراسته للتاريخ استنتج سولون أن الآلهة ربما تأخذ بعض الناس بأشد العقاب دون جريرة اقترفها أو ذنب أتى به، ويظهر أنه استند في ذلك إلى قصص من التاريخ اليوناني، مثل قصة أوديب التي جاءت فيها النبوءة من لدن الآلهة أن أوديب سوف يلقى في حياته أفظع الآلام، وسيبتلى بأعظم المصائب وأشنعها قبل أن يولد أصلاً وقصة كاسندرا التي جعل منها الإله أبولو هزوءاً لأنها لم تستسلم لإغوائه، وقصة أيو التي لقيت من الآلهة هيرا ما لقيت. يقول سولون: "لقد

(1) محمد غلاب، الأدب الهيليني، ج2، مرجع سبق ذكره، ص 60 .

(2) المرجع السابق، ص 64 .

أعطى الله أناساً كثيرين قبس السعادة كي يحطمهم أصلاً ونوعاً "[1]. ويقول كذلك : "إن الآلهة تنتقم بشكل ثابت وهي أيضاً مدمرة "[2].

حكمتـــه: عرف عن سولون الحكمة فاقترن اسمه بها، فلا يذكر إلا قيل سولون الحكيم، ورأى فيه أفلاطون أنه أحكم الحكماء[3]، وجعله بلوتارك، واحداً من أحكم الإغريق[4]. ولعل ذلك أسمى ما يبلغه الإنسان في أمة أكبرت الحكمة إكباراً شديداً حتى خصصت لها إلهة هي أثينا وعبدتها، وعدت الحكمة "أول ينابيع السعادة "[5]. وحين مدح هوميروس نسطور قال عنه : "بالحكمة نطقت يا نسطور"[6] ورأى أفلاطون "إن الحكمة والمعرفة هي أرفع مراتب الأمور الإنسانية"[7]. أما إيسكلوس فقد اعتقد أن زوس إنما استوى على عرش السماء بالحكمة، فقال في مدحه:

---

(1) أرنولد توينبي، الفكر التاريخي عند الإغريق، مرجع سبق ذكره، ص 150 .
(2) المرجع السابق، ص 149 .
(3) أفلاطون، محاورات أفلاطون: محاورة طيماوس، ترجمة: فؤاد جرجي بربارة، مرجع سبق ذكره، ص 188.
(4) بلوتارك، ايزيس واوزيريس، مرجع سبق ذكره، ص 27 .
(5) سوفوكليس، من الأدب التمثيلي اليوناني: مسرحية انتيجوني، مرجع سبق ذكره، ص 141 .
(6) هوميروس، الألياذة، ترجمة: عنبرة سلام الخالدي، مرجع سبق ذكره، ص 34 .
(7) أفلاطون، محاورة بروتاجوراس، مرجع سبق ذكره، ص 96 .

"أيهـــا القهار بالحكمة ساد أيها الجالس في قلب العباد "[1].

ووافقه في ذلك بلوتارك الذي اعتقد أن الحكمة هي مصدر قوة زوس فقال : "إن سلطان زوس كان أقوى لأنه كان أعرق في المعرفة والحكمة"[2].

وقـــد رفعـــت الأمة اليونانية سولون إلى قمة مراتب الحكمة فجعلته واحداً من الحكماء السبعة الذين أوكلت إليهم عمادة الأدب والفـــنون والفلســـفة والسياسة والأخلاق[3]. وهم سبعة أشخاص ظهـــروا في بلاد اليونان في بداية عصر الحضارة، أي في نهاية القرن الســـابع وبدايـــة القرن السادس قبل المسيح، وعرفوا بذكائهم وقوة عقولهـــم، وكـــان أفلاطـــون أول مـــن أشـــار إلـــيهم في محاورة بـــروتاجوراس[4]، وقـــد نسب الشهرستاني إليهم بحثهم في الإلهيات وأنهم كانوا على دين التوحيد، فقال عنهم : "وإنما يدور كلامهم في

---

(1) ايسكلوس، مسرحية أجاممنون، مرجع سبق ذكره، ص 47 .

(2) بلوتارك، ايزيس واوزيريس، مرجع سبق ذكره، ص 17 .

(3) راجع :

أ) أرنست باركر، النظرية السياسية عند اليونان، ج1، مرجع سبق ذكره، ص ص 87 - 88 .

ب) محمد عزيز نظمي، تاريخ الفلسفة، مؤسسات شباب الجامعة، الإسكندرية، ط1، ب. ت، ص 19.

(4) حسام محي الدين الألوسي، بواكير الفلسفة قبل طاليس: من المثيولوجيا إلى الفلسفة عند اليونان، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط2، 1981، ص 259 .

الفلســفة على ذكر وحدانية البارئ تعالى وإحاطة علمه بالكائنات كـيف هي؟ وكم هي؟ وأن المعاد: ما هو؟ ومتى هو؟ وربما تكلموا في الـبارئ تعـالى بـنوع حركة وسكون"[1]. وهؤلاء وإن اتفق اليونانيون على أنهم سبعة حكماء، فإنهم لم يتفقوا على أشخاصهم إذ كانـت لديهـم عدة قوائم تختلف فيها بعض أسماء هؤلاء الحكماء، لكـن أربعة منهم يتكررون دائماً، وأسماؤهم موجودة باستمرار في جميع القوائم، وهم: سولون الآثيني - طاليس الملطي - بياس البرييني - بيتاقوس المليتيني. أما الثلاثة الباقون فاختلفوا من قائمة إلى أخرى، فـيذكرهم أفلاطون كالآتي (طاليس الملطي وبيتاقوس المليتيني وبياس الـبرييني ورجلـنا سولون وكليوبوليس الليندياني وميسون الشيناني وشيلو اللاكيدايموني، وهو سابع رجال قائمة الحكماء "[2]، ويلاحظ جورج سارتون "أن هذه القائمة تشمل أربعة من الساحل الأسيوي أو الجـزر الأسيوية - الأربعة الأولون في القائمة المذكورة - مقابل ثلاثـة من شبه جزيرة اليونان)[3]. وقال عنهم البيروني : "إن قدماء اليونانـيين قبل نجوم الحكمة فيهم بالسبعة المسلمين أساطين الحكمة هم: أ- سُوُلن الأثيني - ب- وبيوس الفاريني - ج- وفارياندروس

---

(1) أرنست باركر، النظرية السياسية عند اليونان، ج1، مرجع سبق ذكره، ص ص 87 - 88.

(2) أفلاطون، محاورة بروتاجوراس، مرجع سبق ذكره، ص 84 .

(3) جورج سارتون، تاريخ العلم، ج1، مرجع سبق ذكره، ص 358 .

القورنـــي - د- وثالس الميلسوسي - هـــ- وسيلون اللقاذموني - و- وفيطـــيقوس لسبيوس - ز- وقيليبوس لنديوس"[1]. ويقول ابن فـــاتك : "الحكماء السبعة الذين كانوا في وقت واحد وهم: ثاليس، وسولون، وبطاقوس، وبارياندروس، وخيلون، وقلاوبولوس، وبياس، وأنكـــر قـــوم بطـــاقوس وبارياندروس وجعلوا مكانهما أبيمانيدس الإقـــريطي وآناخارسيس الإسقوثي. وقيل إنهم تسعة وأضافوا إليهم أنارخســـيس الذي من سقوثيا أيضاً وموسون الذي من خينيا وإنما حسبوا سبعة فقط وأسقط منهم اثنان"[2]. ويقول ديوجين اللائرسي: "إن الحكمـــاء الســـبعة هم طاليس وسولون وبيرياندر وكليو بولس وشـــيلون وبياس وبيتاقوس وإيبيمينيدس، ويرى أن آخرين يضيفون إلـــيهم: أنارخســـيس وميسون وفيرسيدس وإيبيمينيدس. وهناك من يضـــيف بسستراتوس" [3]. والملاحظ في هذه القوائم بشكل عام أنه يوجد بها الكثير من الخلط في بعض الأسماء، وقد ذهب أفلاطون إلى أن هـــؤلاء الحكماء "قد تقابلوا وتعبدوا في معبد أبولو في دلفي كما تقـــول حكمهـــم ونصوصـــهم الذائعة الصيت والتي ترددها جميع الأفواه"[4]. وقد قيل إنهم اعتزموا ذات يوم على أن يهدوا إلى البشرية

---

(1) البيروني، تحقيق ما للهند، مرجع سبق ذكره، ص 24 .
(2) ابن فاتك، مختار الحكم، مرجع سبق ذكره، ص 34 .
(3) حسام محي الدين الألوسي، بواكير الفلسفة قبل طاليس، مرجع سبق ذكره، ص 260 .
(4) أفلاطون، محاورة بروتاجوراس، مرجع سبق ذكره، ص 85 .

خلاصـــة حكمة كل منهم، فأهدوا إلى معبد أبولو عبارات نقشت على بابه، فقد قال سولون خير الأمور الوسط، وقال طاليس اعرف نفسك، . . الخ. ومن العبارات التي تنسب إليهم كذلك :

البدايات تظهر نوع الرجال .

اشغل نفسك بالأمور الجدية .

اكفل أحداً وستندم على ذلك .

إن من الصعب أن تكون فاضلاً .

ولقد قيل إن هؤلاء الحكماء كانوا يجتمعون مع بعضهم، وإنهم عقدوا مؤتمراً يضمهم في دلفي وبانيونيوم، واجتمعوا ذات مرة بدعوة من بيرياندر أو كروسيوس في كورنثة. وقد ذهب أفلاطون إلى أن حكمتهم تتضمن جملاً قصيرة جداً عظيمة المعنى وأن ما يقولونه يبدو في رأيه "قولاً جديراً بالاعتبار، قولاً محكماً ممتلئاً بالمعنى والهدف الصائب" [(1)]. وفي الشذرات المتبقية من كتاب أرسطاطاليس (حول الفلسفة)، ذكر لهؤلاء الحكماء وتأكيد منه على أن تأثيرهم في الفكر اليوناني كان كبيراً جداً، لاعتقاده بأن الذين يحاولون إعادة بناء الحضارات التي تعرضت لنكبات عليهم أولاً أن يؤَمنوا وسائل الحياة الضرورية ثم إيجاد الفنون ثم "يوجهون أنظارهم إلى تنظيم المدينة،

---

(1) حسام محي الدين الألوسي، بواكير الفلسفة قبل طاليس، مرجع سبق ذكره، ص 261 .

فيخترعون القوانين وكل الروابط التي تجمع أجزاء المدينة وهذا الاختراع دعوه الحكمة، وهذه الحكمة - السابقة للعلوم الفيزيائية، وللحكمة العليا التي يكون غرضها الحقائق الإلهية - هي التي منحت للحكماء السبعة الذين اخترعوا تحديداً الفضائل الخاصة بالمواطن"[1]، وإذ يعد سولون من الحكماء السبعة المتفق عليهم، فإن كل ما وصفت به حكمتهم من خصائص وما قيل عنها من صفات المدح ينطبق على حكمته[2].

خصائص حكمة سولون: تميزت حكمة سولون بثلاث خصائص أساسية وهي:

1) **العملية:** بمعنى أنها حكمة ذات طابع عملي وواقعي، طالما أنها تتعلق بأمور تهدف إلى خدمة الناس فيما يصلح شئون حياتهم اليومية، ولا تذهب إلى الأمور التي فوق طاقة البشر العاديين أن يحتملوها، فسولون لم ينزع إلى الخيال، وإنما أراد الواقع الملموس، وانعكس هذا الجانب على فكره السياسي، فحين شرع لتأسيس حكومة ووضع دستورها لم يفكر في إقامة مدينة فاضلة، وإنما عمل على إنشاء حكومة واقعية، مراعياً في ذلك الظروف والإمكانيات المتاحة آنذاك فكرياً

---

(1) جان بيار فرنان، أصول الفكر اليوناني، مرجع سبق ذكره، ص 59 .

(2) لمزيد من المعلومات عن الحكماء السبعة راجع :

أ) جورج سارتون، تاريخ العلم، ج1، مرجع سبق ذكره، ص ص 358 - 359.

ب) البير ريفو، الفلسفة اليونانية، مرجع سبق ذكره، ص 54 .

واجتماعياً واقتصادياً. وكان معيار كفاءة المؤسسات السياسية عنده هو قدرتها على تحقيق مصلحة جميع المواطنين بناءً على الحق والعدل، واشترط رقابة الشعب على هذه المؤسسات.

2) **الاعتدال:** فقد اشتهر سولون باعتداله حتى كان الاعتدال أهم صفاته الأخلاقية والعقلية، وهو أمر غير مستغرب من رجل رأى "إن التصرف المعتدل هو الأفضل"[(1)] لذلك لم يكن يجنح إلى التطرف أو الإسراف في أي شيء، لا بالزيادة ولا بالنقصان .

3) **العمومية:** فحكمة سولون كانت شاملة، فلم يقتصر على جانب واحد من المعرفة أو علم واحد من العلوم، بل ينطبق عليه وصف أرسطاطاليس لمن يبرع في صنوف شتى من العلوم "من الناس وهم نادرون، من نعتبرهم حكماء حذقة بوصف عام لا حذقة في أشياء بعينها على جهة خاصة، بل حذقة محضاً بلا قيد، على ذلك فمن الواضح أن الحذق الحاذق أو الحكمة معتبرة أنها أعلى درجةً للكمال في جميع الأشياء التي يمكن للإنسان أن يعملها، فيلزم الرجل الحاذق والحكيم حقاً أن لا يقتصر على معرفة الحقائق التي تتفرع عن المبادئ الأولى، بل يلزمه أيضاً حق العلم بالمبادئ أعيانها"[(2)]. لقد كان سولون محيطاً بفنون وعلوم كثيرة، فتجده مشرعاً قانونياً

---

(1) جان بيار فرنان، أصول الفكر اليوناني، مرجع سبق ذكره، ص 81 .

(2) أرسطاطاليس، الأخلاق، ج2، مرجع سبق ذكره، ص ص 129 – 130 .

وواضع دستور سياسي وفيلسوفاً وشاعراً، وعالماً رياضياً وواعظاً أخلاقياً وصاحب أراء مهمة في الاجتماع الإنساني .. الخ[1]، فخالف بذلك فكرة الاختصاص في البحث العلمي، ويوضح جوزيف كامبل الفرق بين التخصص وعدم التخصص فيقول إن : "التخصص يُعنى بتحديد حقل المشكلات التي يهتم بها المتخصص، أما الشخص الذي لا يقيم وزناً للاختصاص وإنما بعمومية الثقافة، مثل هذا الشخص يرى شيئاً ما خلف كل ما تعلمه من أحد الاختصاصيين، كما يرى شيئاً آخر خلف ما تعلمه من اختصاصي ثانٍ، دون أن يكون أي من هذين الاختصاصين قد أخذ بعين الاعتبار المُشكلة التي يمكن أن تكون قد ظهرت خلف هذه المعارف "[2].

ولعل أشهر الحكم التي قال بها سولون (حكمة الرجل السعيد)، التي ذهب فيها إلى أننا لا نستطيع أن نقول عن إنسان ما إنه سعيد مهما توفرت له سبل الثراء والمجد والسلطان، إلا حين نعرف نهاية هذا الإنسان، فربما يعيش إنسان ما في عز وثراء ثم يلقى في شيخوخته من الآلام والكوارث التي لا يمكن أن يسمى من يلقاها

---

(1) راجع:
أ) أرنست باركر، النظرية السياسية عند اليونان، ج1، مرجع سبق ذكره، ص ص 87 – 88 .
ب) بول فريشارو، الجنس في العالم القديم، مرجع سبق ذكره، ص 353 .
(2) جوزيف كامبل، قوة الأسطورة، مرجع سبق ذكره، ص 29 .

إلا ذو بؤس وشقاء. يقول أرسطاطاليس : "لا ينبغي أن يقال على رجل أنه سعيد مادام لا يزال حياً، وإنه جرياً على حكمة سولون ينبغي الانتظار ورقبى النهاية"[1]، ولكي يشرح أرسطاطاليس هذه الحكمة يضرب مثلاً على ذلك بريام ملك طروادة، حيث عاش بريام في عز وغنى وترف، فلما كبر في السن وقعت حرب طروادة فهلك أبناؤه فيها ومُثل بهم أمام ناظريه، ثم ذهب عنه سلطانه ودمرت مدينته أشد تدمير، وقتل هو وزوجه وأهله أجمعون، وإذاً فلا يمكن أن يقال عن بريام أنه رجل سعيد، رغم أن الذي يعرفه في شبابه وسني رجولته يظن أنه من أسعد الناس لأنه لم يعرف خاتمته المؤسفة[2].

ويذكر مؤرخو اليونان كهيروديت وبلوتارك، أن سولون قال حكمته هذه، لما سافر إلى ليديا بناءً على طلب من الملك كروسيوس الذي جمع بين الملك والثراء، وأراد أن يظفر بالثالثة (الشهرة)، فأسر بذلك إلى بعض أتباعه الذين أشاروا عليه أن استدعِ الحكيم سولون، وأره ملكك ومقدار ثروتك حتى ينبهر بما لك من المال والعز فيتحدث عنك حين يرجع إلى اليونان، وبذا تنال الشهرة، لأن سولون مشهور جداً ومحبوب جداً، وإذاً فما سيقوله سوف يجري على الألسن بين الناس. وعمل الملك كروسيوس بما أشار عليه أعوانه، فاستدعى سولون وأمر أن تتخذ من الزينة أعظمها وأكثرها

(1) أرسطاطاليس، الأخلاق، ج2، مرجع سبق ذكره، ص207
(2) المرجع السابق، ص 212

بهرجاً، ثم طاف بسولون في خزائنه وأراه كثرة أمواله، ثم سأله: هل أنا سعيد ؟ وقد كان يتوقع أن يجيبه بأنه أسعد إنسان في العالم لأنه لم يكن يشك في أنه أغنى إنسان في العالم، لكن سولون خيب آماله، وقال له إن أسعد إنسان عرفه شخصياً، هو رجل فلاح بسيط عاش عيشة راضية فكان يأكل ماله حلالاً طيباً، وقد وُهِب زوجاً صالحة ومات ميتةً طيبة، فحين ذلك غضب الملك وسأله فمَن بعده في المرتبة الثانية من حيث السعادة ؟ قال سولون: رجلان أبرا بأمهما وهي عجوز وقد كانا ذات يوم يرجعان بها إلى قريتهم وهي في الجبل، وأمهما مشلولة يضعانها على عربة يجرها ثور، وكان طريق الجبل وعراً والجو شتاء قارس، فمات الثور في الطريق، فوضع الشابان النير على عنقيهما، وحملا أمهما إلى أعلى الجبل عند القرية، فلما وصلا ماتا بارين بأمهما. فغضب كروسيوس غضباً شديداً فقال له سولون "إذا ما قلبنا النظر في البلايا الكثيرة التي تكتنف الناس في جميع الظروف، فإن الاعتدال ينأى بنا عن أن نصطنع الصغار فيما نتمتع به في وقتنا الحاضر، وأن نعجب بما يتقلب فيه أي إنسان من سعادة، قد تتبدل إلى نقيضها على مر الأيام. ذلك أن المستقبل المجهول قد يأتي بما لا يُحصى من مختلف الحظوظ، ونحن لا نسمي إنساناً سعيداً إلا إذا وهبته الآلهة السعادة إلى آخر أيامه. وإن وصف الرجل الذي لا يزال في منتصف حياته وأخطارها بأنه رجل سعيد، من الخطأ والمخاطرة مثل ما في تتويج المصارع بتاج النصر وإعلان فوزه وهو

لا يزال في حلبة المصارعة "[1]. فقام كروسيوس بطرد سولون الذي قال له قبل أن يذهب: إنني أيها الملك لست بملك ولكنني رجل بسيط، لم أتعود مخاطبة الملوك أو مخالطتهم، ولكن احذر فمن يدري فعسى أن يكون ما أنت فيه الآن من غنىً وثراء، والذي تظن أنه سبب سعادتك يكون فيه هلاكك. ورحل عنه سولون، وفي عام (546 ق. م) طمع قورش ملك الفرس في أن يغزو مملكة غنية ليظفر بثرواها، ولأن مملكة ليديا كانت أغنى مملكة آنذاك، فقد غزاها، وخلع كروسيوس من عرشه وبذا تحققت نبؤة الحكيم سولون. فمال كروسيوس الكثير هو الذي أطمع فيه قورش وقد تذكر كرسيوس وهو يساق إلى الحرق مصفداً بالأغلال بأمر من قورش، تذكر كلام سولون الحكيم فصاح بأعلى صوته: سولون ثلاثاً، فاستغرب قورش وقد سمعه، فسأله: من سولون هذا، أإله تعبده أم ماذا ؟ فقص عليه الخبر فأمر قورش بأن يلغى أمر قتله، وجعله من بعض أعوانه، وقد رأى بلوتارك أن من مآثر سولون أنه استطاع أن ينقذ حياة ملك بكلمة واحدة فقط[2]. وكان مما قاله سولون في حديثه مع الملك كرسيوس " إنني أتصور أنك شخص غني جداً، وإن لديك عدداً

---

(1) بلوتارك، عظماء اليونان والرومان، نقلاً عن :

- ول ديورانت، قصة الحضارة، ج6، مرجع سبق ذكره، ص ص219- 220.

- راجع بلوتارك عظماء اليونان والرومان والموازنة بينهم ترجمة: ميخائيل بشارة داود الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط 2، 2002 م . ص ص146-177

(2) أرسطاطاليس، الكون والفساد، مرجع سبق ذكره، ص23.

كبيراً من الرعايا، إلا أنني لا أستطيع أن أمنحك بعد اللقب الذي تهدف إليه من تساؤلك، قبل أن أسمع أنك محظوظ في نهايتك. إن الغني ليس أكثر سعادة بأية حال من جاره الذي يعيش من يده إلى فمه، ما لم يحالفه الحظ ويقوده إلى نهاية سعيدة، دون ظل على أفقه، وكثير ممن تتراكم لديهم الأموال ليسوا سعداء، وكثير من متوسطي الحال محظوظون"[1]. وبالتالي فإن سولون لا يقبل أن يحكم ما إذا كان شخص ما سعيداً أو تعيساً إلا إذا عرف نهاية هذا الشخص، وهل هي نهاية سعيدة أو تعيسة، ليكون حكمه مبنياً على أساس هذه النهاية. وقد أخطأ شكسبير عندما قال في إحدى مسرحياته "ولكن نصر هذا الموكب الجنائزي خير وأبقى، لأنه ارتقى بصاحبه إلى سعادة الموت التي نادى بها سولون"[2]. فسولون لم يقل على الإطلاق إن السعادة في الموت، ولكنه قال إنه ما دام الإنسان على قيد الحياة، فإن الحظ متقلب، وربما يتعرض لكوارث تقلبه شقياً. وإذاً فهو لم يقل إن الموت هو السعادة، ولكنه قال إن علينا أن ننتظر حتى يموت الشخص، حتى يتيسر لنا أن نعرف نوع النهاية التي انتهى إليها. فيقول أرسطاطاليس: "إذا كنا لا نستطيع أن نسلم بأن الإنسان لا يكون سعيداً إلا بعد الموت وسولون نفسه لا يدعي ذلك أيضاً"[3]

(1) أرنولد توينبي، الفكر التاريخي عند الإغريق، مرجع سبق ذكره، ص 150 .

(2) وليم شكسبير، مسرحية تيتوس أندرو نيكوس، ترجمة: صفية ربيع، دار والمعارف، القاهرة، ط1، 1959، ص 265.

(3) أرسطاطاليس، الأخلاق، ج1، مرجع سبق ذكره، ص 208 .

ويقول سولون: "إن مرور الزمن يجلب مناظر كثيرة غير سارة وخيرات كثيرة غير سارة. وليس هناك يوم واحد ينتج عنه أي شيء يشبه تماماً نتاج يوم آخر"[1]. وما دام الأمر كذلك فإن للسعادة عند سولون شروطاً كثيرة تجتمع فيها كما يقول: "نعم البدن الكامل، والمناعة من المرض، والبعد عن المتاعب، وأسرة ذات أطفال لطاف، وحسن المعشر وإذا نجح الإنسان في تتويج هذه النعم بأن يصادف نهاية طيبة عندئذ يحق أن يقال عن هذا الرجل إنه سعيد"[2]. ويلخص سولون حكمته هذه فيقول: "الإنسان الذي يحوز أكبر عدد ممكن من الضروريات لأطول فترة وبالتالي يصادف نهاية طيبة، سوف يكون له حسب تقديري الحق في لقب السعادة. ولكي نقيم أي ظاهرة لابد أن نوجه الانتباه دائماً إلى الظروف التي نصادفها في نهايتها "[3]. كما اشترط سولون أن يكون الإنسان معتدلاً وحكيماً لكي يكون سعيداً حقا، يقول أرسطاطاليس: "ربما أحسن سولون تعريف الناس السعداء إذ قال إنهم أولئك وهم في كفاف من الرزق يقومون بالأعمال الشريفة ويعيشون بالاعتدال والحكمة "[4].

وقد تأثر كثيرون بحكمة سولون الشهيرة هذه، ومن هؤلاء

(1) أرنولد توينبي، الفكر التاريخي عند الإغريق، مرجع سبق ذكره، ص 149 .
(2) المرجع السابق، ص 150 .
(3) المرجع السابق، ص 150 .
(4) أرسطاطاليس، الأخلاق، ج2، مرجع سبق ذكره، ص 364 .

الشاعر الكبير أوربيد الذي يقول: "لا يحل لحي أن يحسد حياً على سعادته قبل أن يحضر موته، فإن الدهر والحظوظ أعراض متقلبة "[1].

فلسفته: ويعتبر سولون أحد رواد الفلسفة اليونانية، لكن عدم وضعه مؤلفات فلسفية، وشهرته السياسية كمشرع حجبا عن الأنظار كونه فيلسوفاً، فأغفل الجانب الفلسفي من نشاطه الفكري ولم يذكر عند الحديث عن نشأة الفلسفة في اليونان. وتتركز فلسفة سولون حول ثلاثة موضوعات أساسية: الفرد وقدراته والمجتمع وسياساته (الفلسفة السياسية) والحياة ومعناها.

فهو يرى أن الإنسان عنده من الخير ومن الشر جميعاً، وفي هذا اتفاق مع بعض المذاهب الفلسفية الإسلامية التي ترى أن في الإنسان من الخير والشر جميعا بناء على قول الله تعالى ﴿**وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ**﴾[2]. أي طريقا الحق والباطل، وفي ذلك أيضاً اختلاف مع أفلاطون الذي يرى أن الإنسان لا يقترف الشر إلا لجهله إياه ولو علم أن ما يأتيه شر على الحقيقة لما أقدم على إتيانه. فالإنسان عند سولون، أي إنسان مهما كان، لا يمكن أن يحوز بمفرده جميع النعم، ويصل إلى درجة الكمال. لأنه يرى أن "النعم جميعها لا يمكن أن تجتمع بالطبع لدى كائن بمفرده، كما أن أي قطعة أرض لا يمكن أن

---

(1) أوربيد، مسرحيات أوربيد: مسرحية أبناء هرقل، ترجمة: علي حافظ، مرجع سبق ذكره، ص 243.

(2) القرآن الكريم، سورة البلد، الآية 10.

تحتوي على كل أنواع الإنتاج. إن قطعة الأرض يمكن أن يكون بها أحد الضروريات وتفتقر إلى الأخرى. وأفضل قطعة أرض ببساطة هي تلك التي يكون بها أكبر عدد من الميزات. وكذلك الفرد الإنساني ليس وحده ذات اكتفاء، بل قد يمتلك إحدى اللوازم ويفتقر إلى الأخرى"(1)

وفي هذا اختلاف مع ما ذهب إليه الفيلسوف الألماني فريدريك نيتشه صاحب نظرية (الإنسان المتفوق) القائلة بأن البشر سوف يصلون إلى درجة الكمال والعظمة فتكون لهم قوة خارقة وإرادة جبارة ومواهب معجزة. فقد كان سولون معتدلاً، لأن الاعتدال أحد خصائص فلسفته، فلم ينكر أن الإنسان يملك قدرات ومواهب كثيرة إذا عمل على إنمائها وواظب على صقلها فإنه سوف يحقق أشياء عظيمة وينجز أعمالاً باهرة، ولكنه أنكر أن يصل الإنسان إلى الكمال، لأن هناك حدوداً تقف عندها القدرة البشرية، وأهم هذه الحدود هي: جهل الإنسان بالمستقبل وما يأتي به من أحداث قد تقلب تخطيط المرء رأساً على عقب(2). وإذ عالج سولون ضرورة السلطة السياسية وأصلها وطبيعتها وأهدافها، فقد ذهب إلى أن قيام المجتمع ونظامه السياسي هو من فعل الآلهة، فهو يقول: "أثينا

(1) أرنولد توينبي، الفكر التاريخي عند الإغريق، مرجع سبق ذكره، ص 150 .
(2) أحمد عثمان، الشعر الإغريقي، مرجع سبق ذكره، ص 119 .

ذلك الوطن الذي أسسته الآلهة "[1]، وما دامت الآلهة هي التي أقامت الوطن، فسيكون الاجتماع الإنساني ونظامه جزءاً من الطبع الإنساني، الذي أنشأته الآلهة حين أنشأت الإنسان. وللحفاظ على استمرار المجتمع ونظامه يرى سولون ضرورة توفر شرط أساسي هو احترام القانون لاعتقاده "أن احتقار القانون يغمر الدولة بالآلام"[2].

والسلطة السياسية عنده (قوة)، وهي أكبر قوة في المجتمع، ويمكن لهذه القوة أن توجه في سبيل الخير أو في سبيل الشر بحسب من يستخدمها. وليوجه سولون هذه القوة نحو الخير وضع لها دستوراً أضاف فيه العدل إلى السلطة السياسية، وأعلن ذلك صراحة بقوله "لقد وفقت بين القوة والعدل"[3] ووضع هذه السلطة أو هذه القوة بيد الشعب، فلجميع المواطنين الحق في ممارسة (السلطة السياسية) لأن هذا في رأيه أفضل حل لكيفية تحقيق العدل والحق، وعدم ظلم شخص لآخر.

أما هدف السلطة السياسية عند سولون فهو تحقيق العدالة والخير والنظام، فالعدالة تحققها هذه السلطة ومؤسساتها عن طريق تطبيق القانون، والخير يتم عندما تسن المؤسسات التشريعية قوانين فاضلة، ويكون الموظفون نزيهين شرفاء، والنظام يتم إقراره إذا

(1) محمد غلاب، الأدب الهيليني، ج2، مرجع سبق ذكره، ص 62 .
(2) المرجع السابق، ص 61.
(3) أرسطاطاليس، نظام الأثينيين، مرجع سبق ذكره، ص 64 .

سارت العملية السياسية بشكل صحيح. والمؤسسات تُبنى عند سولون على أساس ميتافيزيقي بحكم نشأها، والمجتمع بأسره بفعل الآلهة التي تحمي كل ذلك وتضمن استمراره، فزوس هو الذي يستطيع أن يضمن بقاء أية مؤسسة سياسية أيًا كانت، بما فيها الدولة، وهي المؤسسة السياسية الكبرى، أو مؤسسة المؤسسات، فالمتحد السياسي تحميه الآلهة وتحافظ عليه.

أما نظرة سولون إلى الحياة الإنسانية ومعناها، فتستند إلى فلسفته الكونية الكبرى والتي قوامها خدمة البشرية جميعها، عن طريق الاهتمام بالعلم والفن لخدمة الحضارة[1]. وقد وصل سولون إلى أن أفضل سبيل للإنسان هو سبيل العدل والخير[2]. أما سر الوجود نفسه فقد اصطدم بأسرار الكون الكبرى، فلم يجد لها حلاً، ووقف عند حدود لا يستطيع العقل الإنساني أن يتجاوزها، وقد كانت النتيجة التي خلص إليها، تسمو على ما خلصت إليه فلسفات أخرى اصطدمت هي أيضاً بأسرار الكون، فذهبت تدعو إلى حياة اللهو والعبث واغتنام المتع ما أمكن إلى ذلك سبيلا. أما سولون فإنه وإن قال إن على الإنسان أن يلهو لأنه فان، فقد اشترط أن يكون ذلك اللهو وفقاً لقواعد العدل و الحق، فاختلفت فلسفة سولون في ذلك مع ما ذهبت إليه أفكار الحضارات الأخرى في هذه النقطة،

(1) أحمد عثمان، الشعر الإغريقي، مرجع سبق ذكره، ص 119 .
(2) أرنست باركر، النظرية السياسية عند اليونان، ج1، مرجع سبق ذكره، ص88.

لذلك يقول في شعره : "سعيد حقاً من كان له أولادٌ يحبهم وخيول لها صهيل وكلاب تتمتع بحاسة حادة في الشم وأصدقاء يمخرون البحر"(1) وهو هنا يختلف مع ما ذهبت إليه حضارات أخرى كحضارة بلاد الرافدين القديمة فحين وقف جلجامش أمام أسرار الكون الكبرى قالت له فتاة الحان :

" إلى أين تمضي يا جلجامش

الحياة التي تبحث عنها لن تجدها

فالآلهة لما خلقت البشر

جعلت الموت لهم نصيباً

وحبست في أيديها الحياة .

أما أنت يا جلجامش، فاملأ بطنك

افرح ليلك ونهارك

اجعل من كل يوم عيداً

ارقص لاهياً في الليل والنهار

اخطر في ثياب نظيفة وزاهية

(1) بول فيشارو، الجنس في العالم القديم، مرجع سبق ذكره، ص 354 .

اغسل رأسك وتحمم بالمياه

دلل صغيرك الممسك بيدك

واسعد زوجك بين أحضانك

هذا نصيب البشر في هذي الحياة "[1].

وعلى ضريح آشوربانيبال وجد منقوشاً :

" تذكر أنك فانٍ أبداً لا محالة

انعم بحياتك واطرب واروي رغبات فؤادك

. . الأشياء التي ابتهجت بها أنا في حياتي، الطعام الذي أكلته واللهو الذي استمتعت به "[2].

وفي الحضارة الفرعونية يقول كتاب الموتى :

" اجعل من أسباب سرورك أن تسير وراء رغباتك

ما دمت حياً ترزق،

وضع المُر على رأسك

والبس على جسمك نسيج التيل النظيف

---

(1) جلجامش، ملحمة جلجامش، مرجع سبق ذكره، ص ص 187 - 188.

(2) بول فيشارو، الجنس في العالم القديم، مرجع سبق ذكره، ص ص 101 - 102 .

وزد في مباهجك أكثر من ذي قبل

ولا تترك قلبك يذبل "[1].

رحلاته: سبق القول إن سولون عرف السفر وركوب البحر منذ أن شب، إلا أن المعلومات غير متوفرة عن رحلاته التي قام بها قبل أن يضع تشريعاته، بخلاف رحلاته الشهيرة الثلاث التي قام بها، بعد أن وضع دستوره وأنشأ نظامه السياسي وارتحل عن أثينا، حيث تتوفر المعلومات بشأنها.

أما الرحلة الاولى فكانت إلى ليديا حيث قابل فيها الملك كرسيوس، وقد سبق ذكرها عند عرض حكمة الرجل السعيد عند سولون. أما رحلته الثانية فكانت إلى مصر، حيث أسس اليونانيون لهم جاليات فيها إبان حكم الأسرة الفرعونية السادسة والعشرين (أسرة صالحجر)، ولكن يبدو أن علاقة الشعبين ببعضها كانت ضئيلة جداً ومتعلقة فقط بشئون التجارة لا غير[2]. وقد استقبل عند وصوله إلى هناك بحفاوة كبيرة[3]. والظاهر من كلام المؤرخين أن سولون سافر إلى مصر مرة واحدة وذلك بعد أن أتم عمله السياسي ووضع دستوره،

---

(1) المرجع السابق، ص 156 .

(2) سليم حسن، مصر القديمة: عصر النهضة المصرية ولمحة في تاريخ الإغريق، مطبعة جامعة القاهرة، القاهرة، ج12، ب. ط، 1957، ص 412. .

(3) أفلاطون، محاورات أفلاطون: محاورة طيماوس، ترجمة: فؤاد جرجي بربارة، مرجع سبق ذكره، ص191.

وأما قول هيروديت إن سولون أخذ بعض قوانينه الخاصة بالميراث من أمازيس ملك مصر آنذاك[1]، فأمرٌ غير صحيح، لأن رحلة سولون إلى مصر جاءت بعد وضعه لتشريعاته، وإنه حين عاد منها كانت أثينا في أشد حالات الاضطراب السياسي، فلم يؤبه لأقواله. ويقول هيروديت: إنه اتصل بالكهنة المصريين وتناشد وإياهم وتحدث معهم عن الأنساب، فقال لهم إن باستطاعته أن يذكر لهم اسمه حتى سابع جد، فأدخلوه محراب المعبد، وأروه (354) صنماً وقالوا إن كل ابن يخلف أباه على منصب كبير الكهنة يعمل له تمثالاً، وإذا فيستطيع كبير الكهنة الآن أن يسرد له اسمه حتى الجد الرابع والخمسون بعد الثلاثمائة، ويقول بلوتارك أن سولون درس التاريخ في عين شمس (هيلوبوليس) واستمع لسونخس الصاوي أحد كهنة مصر. ويذكر أفلاطون أن سولون سمع من كهنة مصر بقصة (أطلنطس)، والتي كانت جزيرة قارية ضخمة موجودة في العصور الغابرة في المحيط الأطلنطي، وقامت فيها حضارة عظيمة. وإن السلطة السياسية فيها كانت ملوكية، وإن ملوكها طغوا في الأرض فأكثروا الفساد، فخسفت بهم الأرض، ويذكر أفلاطون أن الكهنة قالوا لسولون إن مصر أخذت قوانينها الأولى من أثينا[2]، وهذا طبعاً عكس قول هيروديت الذي ذهب إلى

(1) هيروديت، التاريخ: الكتاب الثاني، مرجع سبق ذكره، ص ص 309 – 310.

(2) أفلاطون، محاورات أفلاطون: محاورة طيماوس، ترجمة: فؤاد جرجي بربارة، مرجع سبق ذكره، ص190.

إن سولون أخذ بعض نواميسه الأولى من مصر[1].

كما تتحدث المصادر عن رحلة سولون إلى قبرص، إلا أننا لا نعرف عن هذه الرحلة سوى أنه سافر من مصر إلى قبرص، فطلب منه أهلوها أن يشرع لهم قوانين، فوضع لهم تشريعات لا نعرف ما هي، ولكن المؤكد أن أهل قبرص كانوا كلفين أشد الكلف بما وضعه لهم الحكيم من قوانين، لدرجة أنهم غيروا اسم دولتهم (قبرص) وسموها (سولي) تكريماً له. فأما (ديوجين اللائرسي) فرأى أن سولون لم يسافر إلى قبرص وإنما إلى (قلقيلية) ويقول إن هذا هو السبب في وجود كلمة (Solecism) في لغة تلك البلدة حتى عصر الإسكندر[2].

ونخلص مما تقدم إلى أن سولون لم يأخذ شيئاً عن حضارات هذه الشعوب، لأنه سافر إليها بعد أن وضع تشريعاته، وكان آنذاك كبير السن فمعارفه ليست مقتبسة عنها، دون أن يمنع ذلك أن تكون بعض أفكاره مأخوذة عن الحضارات التي زارها في رحلات شبابه، وإن لم يكن بالإمكان تحديد تلك الحضارات، والأفكار التي أخذها عنها، لعدم توفر المعلومات بهذا الخصوص.

وفـــاتـــه: قيل إن سولون توفي عام 560 ق. م عن ثمانين حولاً وقيل إنه توفي عام 558 ق. م وقد اختلفت الآراء في تحديد

---

(1) أرنولد توينبي، الفكر التاريخي عند الإغريق، مرجع سبق ذكره، ص 190.
(2) ول ديورانت، قصة الحضارة، ج6، مرجع سبق ذكره، ص 219 .

مكان وفاته، فقد ذهب بعضها إلى أنه حين رجع إلى أثينا وهو شيخ كبير سخط على ما آلت إليه أحوالها، حين رأى خروج طائفة كبيرة من الشعب عن دستوره الديمقراطي فغادر أثينا، وتوفي بعيداً عنها في مكان غير معروف اليوم. وذهب مؤرخون آخرون إلى أن سولون بقي في جزيرة قبرص وتوفي فيها. ويذكر بلوتارك أن أرسطاطاليس قال: إن رماد سولون قد احتفظ به في جزيرة (سلامين) التابعة لدولة مدينة أثينا تذكاراً لمآثره على هذه الجزيرة[1].

(1) محمد غلاب، الأدب الهيليني، ج2، مرجع سبق ذكره، ص 59 .

المبحث الثاني
حياة سولون السياسية

يمكن القول إن حياة سولون تنقسم إلى ثلاث مراحل :الأولى تمتد من مولده وحتى وضعه لتشريعاته والثانية من وضعه لقوانينه وحتى رحلاته التي قام بها، والثالثة منذ أن عاد إلى أثينا شيخاً كبيراً وحتى وفاته .

المرحلة الأولى:

كانت جزيرة سلامين الصغيرة تابعة لحكومة (دولة – المدينة) أثيــنا، وهــي ذات أهمية كبرى لها، لأنها كانت تسيطر على الميناء الأثــيني بحكم ملاصقتها لجزيرة أتيكا في الخليج الساروني، ولما رحل ســولون عــن أثينا في بداية شبابه، قامت (دولة – المدينة) ميجارا الطامعــة في جزيــرة ســلامين باحتلالها وضمها إليها. ولما كانت الحكومة الأثينية آنذاك ضعيفة، فقد باءت محاولاتها لاسترداد سلامين بالفشل، فأصدرت قانوناً يدل على انحطاط الوضع السياسي لأثينا في نهايــة القــرن السابع قبل المسيح، وينص هذا القانون على أن أي مواطــن أثيني يحاول أن يشجع على استرداد الجزيرة المحتلة فجزاؤه المــوت. وحين علم سولون بما آل إليه الأمر وهو في سن الثلاثين،

وكان آنذاك ينتقل في رحلاته البعيدة وأسفاره البحرية، عاد إلى أثينا، وكـــان أول ما قام به، كما يقول بلوتارك هو أن عرج على وحي أبولـــو في دلفي فاستشاره فأجابه الوحي "إذا أردت الاستيلاء على الجزيرة فإنه لا بد أن تحصل أولاً على عطف الأبطال الذين يحمونها والذين يسكنون فيها "(1)، وقد قصد الوحي بالأبطال تقديم القرابين إلى ضـــريح بطـــلي سلامين الرئيسيين، أي القيام بالطقوس الدينية الخاصة بعبادة الموتى، وتوجيهها إلى البطلين المذكورين - كما سبق أن أشـــرنا عـــن تقديم القرابين إلى الموتى، واعتبار كل من يموت في عداد الآلهة - فأطاع سولون الوحي وقدم القرابين باسم أثينا. يقول فوســـتيل دي كولانـــج : "فلم يقاوم هذان البطلان الهبات المهداة إليهما وانتقلا إلى جانب أثينا "(2).

ثم فكر سولون في حيلة يقنع بها الأثينيين بضرورة الدفاع عن أرض الوطن، فادعى الجنون وارتدى أسمالاً بالية رثة، واتجه إلى أحد الميادين العامة (الأجورا)، وأخذ يصيح ويصرخ بأعلى صوته أن أقبلوا واسمعوا، فلما أقبل الناس عليه في جمع كبير أخذ يتلو عليهم قصيدته الشهيرة (قصيدة سلامين) التي يقول في مطلعها "إنني أصل من سلامين الجميلة، كرسول من لدن أبولو وسأسمعكم ذلك الشعر

---

(1) بلوتارك، عظماء اليونان والرومان، نقلاً عن :
- فوستيل دي كولانج، المدينة العتيقة، مرجع سبق ذكره، ص 207 .
(2) المرجع السابق، ص 207 .

المنسجم الذي أملاني إياه الإله"[1]. فأخذ الناس يسمعون إليه على أنه مجنون يهذي عبثا، فأخذ يصف الذل والخزي الذي وصل إليه الأثينيين حتى قال : "يا ليتني كنت أستطيع تغيير وطني والانتساب إلى مدينة فوليجندوس أو إلى مدينة سيكينوس، لأني لا احتمل أن يشير إلي الناس قائلين هذا هو أحد الأثينيين الذين تخلوا عن سلامين، وأن تنتقل هذه الجملة من فم إلى فم"[2]. فإذا الحماسة تأخذ الناس شيئاً فشيئاً، وإذا أبيات القصيدة تأخذ بمجامع قلوب الآثينيين، وحين قال في ختام هذه القصيدة "إلى الأمام إلى سلامين، لنقاتل من أجل تلك الجزيرة الفاتنة، ولنطرد العار بعيداً عنا"[3] وصل الأثينيون ذروة الانفعال والحماس، فانطلقوا كالمجانين، ناسين قانون الإعدام الذي شرعته الحكومة الأثينية، فحملوا أسلحتهم، ثم انطلقوا أجمعين في نفس الوقت يقودهم سولون، وفي لمح البصر هجموا على سلامين فاستردوها في الحال.

وقد أرادت ميجارا، بعد أن خسرت سلامين، أن تحتكم إلى العرف فأجابها سولون ببيتين من الإلياذة في الكتاب الثاني في (قائمة السفن عند هوميروس) أثبت بهما أن جزيرة سلامين من حق أثينا وذلك أن هوميروس كان مرجعاً يعتد به، وكانت للإلياذة والأوديسا

---

(1) محمد غلاب، الأدب الهيليني، ج2، مرجع سبق ذكره، ص 57 .

(2) المرجع السابق، ص 60 .

(3) المرجع السابق، ص 60 .

صفة القداسة عند الأمة اليونانية. يقول البيتان:

" أحضر إياس اثنتـــي عشرة سفينة من سلامين

وحينما جاء بها ألقت مراسيها إلى جانب جحافل الأثينيين "[1].

يقول موزيس فينيلي: "وكان لدي ميجارا رد واحد على هذا – فدقة هوميروس التاريخية وملاءمتها للنقاش في نزاع على إقليم ما لم تكن موضوع نقاش – وهو الاتهام بالتزوير"[2]، أي الادعاء أن سولون زور النص الأصلي للإلياذة، وأن هذين البيتين لم يكونا أصلاً من شعر هوميروس. ومن الصعب اليوم التأكد من صدق أي من الطرفين، وهل دس سولون البيتين في الإلياذة ليثبت أحقية أثينا التاريخية في جزيرة سلامين أو أن هوميروس قد قال هذا الشعر حقيقة- ولا يزال هذان البيتان موجودين في الإلياذة إلى اليوم – المهم أن أثينا استعادت سلامين وكسبت القضية، وكان الفضل الأول في ذلك يعود إلى سولون الذي كرس بعدها حياته لوطنه، فأخذ يؤلف القصائد الحماسية والأبيات الداعية إلى السلام وإقرار الأمن، بينما أخذت الطبقة الأرستقراطية تحس بالسخط العام الذي انتشر بين الشعب فلجأوا إلى الدين يلتمسون فيه وسيلة لتهدئة الناس، ثم استدعوا متنبئاً من كريت يقال له أبيمنيدس والذي كان يوحى إليه من السماء وأحد الذين اطلعوا على أسرار

---

(1) موزيس فينيلي، عالم أوديسيوس، مرجع سبق ذكره، ص 35 .

(2) المرجع السابق، ص 35 .

الكهانة وعلم الغيب، فطلبوا منه أن يطهر البلاد ويقيم حفلات التكفير، ويشير عليهم بطقوس توقف جماح غضب الناس، حيث أرادوا أن يؤثروا على عقول الناس ولكنهم لم يفلحوا [1].

المرحلة الثانية:

في عام أربع وتسعون وخمسمائة قبل المسيح (594 ق. م)[2] اتفق جميع أهل أثينا المتعارضين سياسياً على تنصيب سولون أركوناً (رئيساً للحكومة) لكي يعنى بإصلاح النظام الاجتماعي والسياسي في أثينا. وقد جاء هذا الاتفاق بعد أن ساءت أحوال البلاد كثيراً[3]، أما السبب الذي أختير لأجله سولون، فيقول عنه أرسطاطاليس "لأنهم كانوا يذكرون له قصيدة هذا أولها: إني لا أعرف كل الشر وإني لآلم لذلك ألماً قد وصل إلى أعماق قلبي، حين أرى ما حل بهذه الأرض التي هي أول أرض يونية"[4]. لكن التفسير الأكثر موضوعية، هو أن سولون كان متواضع الحال فعُد من عامة الشعب، ولكنه كان أيضاً من أصل شريف فعد من الأشراف كذلك، فحاز بذلك رضا الفريقين اللذين وافقوا على تعيينه أركوناً، ويعد اختيار سولون تغيراً في طبيعة القوى السياسية المسيطرة في أثينا، لأن السلطة السياسية

---

(1) فوستيل دي كولانج، المدينة العتيقة، مرجع سبق ذكره، ص 384. أنظر كذلك ص ص 347 - 348 .

(2) ول ديورانت، قصة الحضارة، ج6، مرجع سبق ذكره، ص 210 .

(3) جان بيار فرنان، أصول الفكر اليوناني، مرجع سبق ذكره، ص 60 .

(4) أرسطاطاليس، نظام الأثينين، مرجع سبق ذكره، ص 51 .

كانت بيد الأرستقراطيين، الذين كانوا يسيطرون على كل شيء. في هذه المرحلة من حياته السياسية أنجز سولون أهم أعماله السياسية وإصلاحاته الاجتماعية. أما المدة التي قضاها في منصب الأركون فيقول أرسطاطاليس إن سولون لما وضع دستوره أخذ الناس "يسعون إليه ويثقلون عليه باللوم مرة وبالمسألة مرة أخرى، عما اشتملت عليه قوانينه من قواعد، وإذا كان لا يريد أن يمس هذه القوانين، ولا أن يبعث البغض والعداء بإقامته في أثينا، فقد سافر إلى مصر للدرس والتجارة"[1]. يفهم من ذلك أن سولون لم يستمر طويلاً في منصب الاركون، غير أن ديورانت يقول إن سولون استمر في هذا المنصب إلى نحو ربع قرن ثم سافر إلى مصر[2]. ولكن الظاهر أن قول أرسطاطاليس هو الأصوب، فكيف يمكن لسولون أن يخرج مسافراً من أثينا إلى ليديا وإلى مصر وهو في نحو السبعين من العمر، وظروف السفر آنذاك شاقة عسيرة وخصوصاً ركوب البحر؟ ثم إن حديث كهنة مصر مع سولون يدل على أنه كان أصغر منهم بكثير، فالظاهر أن ديورانت لم يلاحظ ما جاء في محاورة طيماوس التي أورد فيها أفلاطون حديث كهنة مصر لسولون، والذي يبين أنه كان اصغر سناً من الكهنة بكثير[3].

---

(1) المرجع السابق ص 62 .

(2) ول ديورانت، قصة الحضارة، ج6، مرجع سبق ذكره، ص 219 .

(3) أفلاطون، محاورات أفلاطون: محاورة طيماوس، ترجمة: فؤاد جرجي بربارة، مرجع سبق ذكره، ص191 .

المرحلة الثالثة:

عاد سولون إلى بلاده وقد بلغ من الكبر عتياً، فأغضبه ما رأى، ذلــك إنه ما إن رحل عن أثينا، حتى عادت الأحزاب المتصارعة إلى ما كانت عليه من قبل من خصام سياسي ومكائد. فإذا هي ثلاثة أحزاب: حــزب الساحل (البارالين) وزعيمه ميجاكليس بن الكميون، ويؤيد فكرة أن السلطة لابد أن تكون للطبقة الوسطى، وحزب السهل وملاك الأرض (البــيديين) وزعــيمه ليكيرجوس، ويؤيد حكم الأرستقراطية، وحــزب الجبل (الدياكريين) وزعيمه بيزستراتوس الذي كان من أشد الناس نصرة للديمقراطية كما يدعي[1]، وكان قريباً لسولون فهو ابن عم أمــه. وحــين عاد سولون من رحلاته، كان بيزستراتوس يعد الخطط ليســتولي على السلطة، وفي إحدى اجتماعات الجمعية العامة للشعب، جــاء وقد تعمد جرح نفسه، وقال إن أعداء الشعب قد آذوه، ولذلك فهــو يطلــب أن تعين الدولة حرساً خاصاً لحمايته[2]، وفطن سولون لــلخدعة، فقال محذراً الأثينيين : "يا رجال أثينا! إني أكثر من بعضكم حكمةً، وأكثر من البعض الآخر شجاعةً: أكثر حكمة ممن لا يدركون غــدر بيزســتراتوس، وأكثر شجاعة ممن يدركونها، ولكنهم لخوفهم يســكتون عــنها"[3]. ولكن الجمعية العامة لم تسمع لأقوال الحكيم،

(1) أرسطاطاليس، نظام الأثينيين، مرجع سبق ذكره، ص ص 66 - 67.
(2) أرسطاطاليس، الخطابة، مرجع سبق ذكره، ص 91 .
(3) ول ديورانت، قصة الحضارة، ج6، مرجع سبق ذكره، ص221 .

فوافقـــت على إعطاء بيزستراتوس خمسين رجلاً مسلحاً، وأخذ الأخير يحـــاول إغراء سولون بالمال، ليكف عن مهاجمته، والتنديد بنواياه، فلما يئس منه هدده بالقتل على لسان أعوانه، فقال لهم سولون ساخراً : "إن شيخوختي قد أضحت لا تسمح لي بالرهبة من الموت"[1]. ولما استولى بيزســـتراتوس عـــلى مقـــر الحكومة (الأكروبوليس) واستأثر بالسلطة السياســـية، قـــال لهم سولون قصيدة يذكرهم بما حذرهم منه، وهذه الأبيات هي ما تبقى من هذه القصيدة:

" إذا لم يكن لكم بُد من احتمال هذه الآلام بواسطة جبنكم ووضاعتكم، فلا تتهموا الآلهة بتعاستكم، إذ أنكم أنتم الذين رفعتم- بتأييدكم - هؤلاء الطغاة، وجعلتموهم عظماء، وهذا هو السبب في أنكم ترسفون الآن في هذه العبودية المخجلة . . إن كل واحد منكم على انفراد يسير في حياته متقفياً أثر الثعلب في حيله، ولكنكم مجتمعين لستم إلا قطيعاً من الإوز . . إنكم لا تنظرون إلا إلى اللسان وإلى الكلام المعسول، دون أن تأبهوا للأفعال والسلوك "[2].

ثم علق سولون أسلحته ودرعه على باب بيته، إشارة إلى أنه لم يعد يشتغل بالسياسة، وقال إنه قد خدم وطنه كثيراً، وهو الآن شيخ كبير، فكان هذا آخر عهده بالسياسة وشئونها.

---

(1) محمد غلاب، الأدب الهيليني، ج2، مرجع سبق ذكره، ص 63 .

(2) المرجع السابق، ص 63 .

الفصل الثالث

السياسة عِند سولون

* المبحث الأول : المبادئ النظرية
* المبحث الثاني : التطبيقات العملية

المبحث الأول

المبادئ النظريـــة

آمن سولون بمجموعة من المبادئ، انطلق منها واستند إليها في سلوكه وفلسفته، وكانت أساساً لأفكاره وأعماله السياسية، وهذه المبادئ هي :

1) **مبدأ الوسط :** يتضمن هذا المبدأ من الناحية الفلسفية النظرية عند سولون ركنين:

الأول أن خير الأمور الوسط، لأن الوسط فضيلة والفضيلة خير الأشياء.

الثانــــي أن الفضيلة وسط بين رذيلتين الإفراط والتفريط، ففضيلة أي شيء تتحقق إذا كان وسطاً بين زيادة تخرج به عن حد المعقول، ونقصان يوصله إلى درجة التقصير[1].

أما من الناحية السياسية العملية، فإن مبدأ الوسط يعني أن يكون الاستخدام الفعلي للسلطة السياسية، سواء كانت سلطة فرد أو جماعة أو مؤسسة، متوسطاً بين الإفراط في استخدامها أو التفريط فيها.

---

(1) جورج سارتون، تاريخ العلم، ج1، مرجع سبق ذكره، ص 359 .

وهذا المبدأ بوجهيه الفلسفي والسياسي، يمثل الأساس الذي تقوم عليه خاصية الاعتدال عند سولون فكرة وتطبيقاً.

وقد عُرف عن سولون التزامه بهذا المبدأ في الحياة العامة وشئون السياسة، كما في حياته الخاصة لمّا نضجت رجولته، حتى أصبح مبدأ الوسط هو سر حكمته، ومن أشهر أقواله التي تدل على أخذه بهذا المبدأ :

أ) العبارة المنسوبة إليه والتي نُقشت على معبد أبولو في دلفي : خير الأمور الوسط، وتقرأ كذلك: لا إسراف في شيء[1]. أي أن المرء يجب أن لا يسرف في أي شيء لا بالزيادة ولا بالنقصان .

ب) القول الذي نسبه إليه ابن فاتك وهو أن "النفس الفاضلة ترتفع عن الفرح والحزن، لأن الفرح إنما يعرض إذا نظرت إلى محاسن شيء دون مساويه، والحزن بأن ترى مساويه دون محاسنه، والنفس الفاضلة تتأمل كلية الشيء فتتساوى فضائله ورذائله في هذا العالم، فلا تغلب عليها إحدى هاتين الحالتين"[2]. وهذا القول يبين أن سولون يرى أن فضيلة النفس الإنسانية في عدم الانجراف وراء المشاعر الجياشة من سرور أو حزن، بل أن يكون الإنسان وسطاً في عواطفه، فالغلو في العواطف يؤدي إلى الخروج

---

(1) حسام محي الدين الألوسي، بواكير الفلسفة قبل طاليس، مرجع سبق ذكره، ص 261 .
(2) ابن فاتك، مختار الحكم، مرجع سبق ذكره، ص 38 .

عن النهج القويم، وواضح هنا تأثير سولون في من جاءوا بعده، فقد ذهبت المدرسة الأبيقورية إلى أن فضيلة (الاتراكسيا) هي في أن يخلو الإنسان من اللذة والألم معاً[1]. ورأى فرويد أن عاطفة الحب هي في الحقيقة عاطفة (حب وكره) في نفس الوقت، وأنه إذا زادت مشاعر الحب التي يحملها الإنسان لشخص ما زادت لديه في نفس الوقت مشاعر الكره التي يحملها لنفس الشخص، وأنه في اللاشعور توجد المتناقضات النفسية متوازية مع بعضها البعض، وأن لدى الإنسان غريزتان متقابلتان هما غريزة الموت وغريزة البقاء[2]، وحسبنا أن نعرف أن علم النفس الحديث يرى أن قوام الصحة النفسية هو التوازن، أي أن يتوسط الإنسان في جميع المشاعر والرغبات التي يحملها، فلا يكبت رغباته كبتاً تاماً، ولا يرخي لها العنان إرخاءً مطلقاً.

ج) كما نسب ابن فاتك إلى سولون أنه قال : " ما ينبغي أن تمدح أحداً بأكثر مما فيه "[3]. فهذا يدل على الدعوة إلى التوسط في المدح.

د) ومـــن أشعار سولون: " إنما تحسن طاعة الشعب لرؤسائه إذا لم

---

(1) أنيل برهييه، تاريخ الفلسفة : الفلسفة الرومانية والهيلينستية، ترجمة : جورج طرابيش، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ج2، ط1، 1982، ص 119 .

(2) سيجموند فرويد، ما فوق مبدأ اللذة، ترجمة : اسحق رمزي، دار المعارف، القاهرة، ط2،1966، ص 74 .

(3) ابن فاتك، مختار الحكم، مرجع سبق ذكره، ص 38 .

يشـــتد لينهم أو عنفهم، فهو كالفرس ينبغي ألا يغالي فارسه في إرسال اللجام أو في قبضه. فإن إفراط الثروة يستتبع العنف حين تقع في أيدي رجال ليسوا لها أهلاً"[1]. فاستقامة العامة مضمونة إذا عوملوا وسطاً لا إفراط في اللينِ ولا في العنف .

هـــ) ومن شعره: "لقد منحت الشعب من السلطان ما يكفي، من غير أن أحرمه شيئاً من حقوقه، أو أضيف له ما ليس له"[2].

و) وقال: "لقد شرعت القوانين للأخيار والأشرار، وضمنت لكل منهم نصيباً من العدل"[3]. فهو حين وضع ناموسه خاطب به الفريقين: فريق الأفاضل وفريق الأراذل، فكان عدلاً والعدل عنده وسط بين الانحياز المفرط لمن له الحق، أو التفريط في نصرته .

لقد تميزت قوانين سولون بأنها عامة للجميع، وهي أيضاً قوانين عادلة والعدل توسط، وقد قال عنها فوستيل دي كولانج: "إن قوانين سولون تطابق ثورة اجتماعية كبيرة، وأول شيء يلاحظ فيها أن القوانين كانت واحدة للجميع. لم تكن تقرر تفريقاً بين الأرستقراطي وبين الرجل العادي الحر وبين الوضيع، بل إن هذه الألفاظ لا وجود لها في أي مادة من مواد قوانينه"[4]. وقد أثر سولون

---

(1) أرسطاطاليس، نظام الاثينيين، مرجع سبق ذكره، ص 63 .
(2) نفس المرجع السابق، ص 63 .
(3) نفس المرجع السابق، ص ص 64 -65 .
(4) فوستيل دي كولانج، المدينة العتيقة، مرجع سبق ذكره، ص 425 .

بمبدئه الوسط في الأمة اليونانية عن طريقين:

طريق مباشر: وذلك بتأثير أفكاره وأشعاره وحكمه بشكل مباشر في الأفراد والجماعات.

طريق غير مباشر: بتأثيره في المفكرين الذين جاءوا من بعده، وأثروا في الأمة اليونانية كلها، والفكر الإنساني بأسره.

ومن أشهر من تأثر بمبدأ الوسط عند سولون أرسطاطاليس، الذي يعتبر تلميذاً له في هذا الجانب[1]، وبلغ من تأثره به أن أساس فلسفته وجوهر منهجه العقلي كان مبدأ الوسط.

2) **مبدأ العدالة الاجتماعية :** المقصود بالعدالة الاجتماعية بشكل عام هو تحقيق العدل في المجتمع الإنساني، أما محاولة إيجاد تعريف محدد لها فمسألة صعبة، وذلك للاختلافات الشديدة والكثيرة بين الباحثين، فلم يتم الاتفاق حتى اليوم على ما هو المقصود بهذا المبدأ على وجه التحديد .

أما الجانب السياسي لمبدأ العدالة الاجتماعية فقد يظن البعض أن العدالة الاجتماعية والعدالة السياسية هما وجهان لعملة واحدة، وأن العلاقة بينهما هي علاقة طردية متبادلة ،كلما زادت إحداهما زادت الأخرى. وقد يظن آخرون أن ليس هناك ارتباط شرطي بين

---

(1) أرنست باركر، النظرية السياسية عند اليونان، ج1، مرجع سبق ذكره، ص 91.

الاثنين، لأن فكرة العدالة الاجتماعية قد ظهرت وتطورت إيجابياً في مصر القديمة، خلال توالي عهود الأسرات، دون أن تعرف مصر القديمة أي شكل من أشكال العدالة السياسية.

وإذا كان سولون قد آمن بمبدأ العدالة الاجتماعية[1]، فقد كان هذا المبدأ يعني لديه التطبيق العملي لفكرة الوسط على المستوى الاجتماعي، فقد قال: (لقد وفقت بين القوة والعدل). والتوفيق بين القوة والعدل هو توسط، فلا قوة فقط ولا عدل فقط، وإنما وسط يجمع بين القوة والعدل. وقد قال كذلك: "لقد وضعت تشريعات سمحة تكفل تحقيق العدالة الاجتماعية، وتحمي الضعفاء والفقراء من ظلم الأقوياء والأغنياء ". وقال " رأيت الناس إذا أخذوا سارقاً أو زانياً اجتمعوا عليه واستنكروا له، ولعل ذلك الإنسان إنما وقفه ذلك الموقف بينهم قلة رفقه بما صنع، حتى أُطلع عليه وأُخذ، ولعل مع ذلك أولئك الذين يتعجبون منه فضوح ذلك الإنسان كله يعمل مثل ذلك الشخص"[2]. ووجه العدالة الاجتماعية في ذلك، أن الإنسان يجب أن لا يستنكر أفعال الآخرين إذا كان هو نفسه يأتي مثلها في الخفاء.

وقد ذهب سولون إلى أن العدالة الاجتماعية لا تتحقق إلا بإقامة العدالة السياسية، فقد أكد صراحة على أن غاية الدستور هي

---

(1) نفس المرجع السابق، ص 88 .

(2) ابن فاتك، مختار الحكم، مرجع سبق ذكره، ص 39.

تحقيق العدل، وأن على المؤسسات السياسية أن تضمن تطبيق العدل. وكفل نظامه للعملية السياسية أن تتم بشكل ديمقراطي، يضمن تحقيق العدل السياسي والاجتماعي عن طريق مساواة المواطنين في الحقوق والواجبات السياسية والمدنية.

كما كان لهذا المبدأ أثر كبير في نظرة سولون إلى الاقتصاد السياسي، فشعره الذي يقول فيه: "يستطيع المرء أن يزيد في ثروته إلى ما لا نهاية "[1]، دليل على أن الثروة قابلة لأن تخرج عن الوسط، فيكون فيها إفراط وهو ضد العدالة، فكيف تكون هناك عدالة إذا أتيح لفئة قليلة أن تستولي على معظم ثروات المجتمع، وتنفرد بالسلطة على شئون الحياة السياسية؟ ولأن سولون كان يعتقد أن العدل السياسي والعدل الاجتماعي مترابطان، فهو يقول "ليس ثمة حدود للثروة والإشباع يولد المغالاة"[2] لذلك عمل على تحقيق العدالة الاقتصادية – مساواة: وسط – كما ساعد في تحقيق العدالة السياسية، يقول أرسطاطاليس: "ولقد كان تأثير مساواة الأموال في الاجتماع السياسي مفهوماً لدى بعض المقننين القدماء، وشاهد ذلك سولون في قوانينه، وشاهده القانون الذي حرم حيازة الآراضي إلى غير حد"[3] .

ويبدو أن سولون أخذ هذا المبدأ من مصدرين :

(1) أرسطاطاليس، السياسة، مرجع سبق ذكره، ص 111 .
(2) جان بيار فرنان، أصول الفكر اليوناني، مرجع سبق ذكره، ص 73 .
(3) أرسطاطاليس، السياسة، مرجع سبق ذكره، ص 149 .

الأول: الظروف الاجتماعية التي عاش فيها، حيث شهد ما آلت إليه أحوال أثينا من انحطاط، فتولد عنده رد فعل على الظلم الاجتماعي، فاعتنق مذهباً معاكساً للظروف الاجتماعية السائدة آنذاك.

الثاني: هزيود الذي سبقه، وكان من دعاة فكرة العدالة[1].

إلا أن هناك فرقاً كبيراً بين هزيود وسولون، فهزيود لم يربط بين العدل الاجتماعي والعدل السياسي، فنادى بالأول وأغفل الثاني، أما سولون فجمع بين الاثنين، ورآهما أمرين لا يستقيم أحدهما إلا بالآخر ومعه، فإذا اعتنق من جاءوا بعد سولون فكرة الجمع بين العدالتين الاجتماعية والسياسية فهذا يعني أنهم أخذوها عنه، ولم يأخذوها عن هزيود. فأفلاطون يدعو في كتابه الجمهورية إلى العدالة الاجتماعية، ويربط بينها وبين العدالة السياسية، معتبراً أن العدالة هي أسمى الفضائل، وهي سبب سعادة الفرد وسعادة المجتمع السياسي معاً، وأن نقيضها الظلم وهو أسوأ الرذائل وسبب للتعاسة، ويظهر ذلك في قوله: "العادل سعيد والمعتدي تعس"[2] وقوله: "النفس العادلة والرجل العادل يحيا حياة راضية، والمعتدي يحيا حياة رديئة"[3]. ولكن ذلك لا يعني تطابق مفهوم العدالة الاجتماعية عند سولون وأفلاطون، فهما وإن اتفقا على أهمية العدالة الاجتماعية

---

(1) بول فريشارو، الجنس في العلم القديم، مرجع سبق ذكره، ص 347 .
(2) أفلاطون، محاورة الجمهورية، مرجع سبق ذكره، ص 42 .
(3) نفس المرجع السابق، ص 42 .

وضـــرورة الـــربط بينها وبين العدالة السياسية، إلا أنهما يختلفان من حيـــث أن أفلاطون قد دعا إلى مشاعية المرأة والثروة بالنسبة لطبقتي الحكـــام والحراس في مدينته الفاضلة، لكي يتم تحقيق هذا المبدأ، أما سولون فلم يدعُ إلى ذلك.

وتأثر أرسطاطاليس أيضاً بسولون في هذه المسألة، فقد نادى بفكرة العدالة الاجتماعية، وربط بينها وبين العدالة السياسية .

أما هيراقليطس فقد تأثر بهزيود أكثر من تأثره بسولون، حيث كان يرى أن أفعال الإنسان العادل هي التي تكفل له السعادة، وتوفر له حماية الآلهة فقال: " إن سلوك الإنسان هو إلهه الذي يحرسه"[1]. ورأى أيضاً أن العدالة لابد منتصرة في النهاية، حيث يقول "إن العدالة سوف تداهم الذين ينسجون الأكاذيب"[2]، وبذلك فقد دعا إلى العدالة الاجتماعية، إلا أنه لم يربط بينها وبين العدالة السياسية، فالظاهر أنه كان ذا نزعة أرستقراطية فيما يتعلق بنظرته إلى السلطة السياسية، وتجاهله للعدالة السياسية يرجح الاعتقاد بأنه نهج منهج هزيود وليس سولون .

3) **مبدأ التوازن :** التوازن بشكل عام هو التكافؤ أو التساوي بين شيئين أو أكثر. فلا تكون هناك غلبة أو تفوق لأحدهما على الآخر.

---

(1) فيليب ويلرايت، هيراقليطس، مرجع سبق ذكره، ص 89 .

(2) نفس المرجع السابق، ص 90 .

أما التوازن في المجال السياسي فهو التكافؤ أو التساوي بين السلطات والأدوار السياسية لعدة أطراف، وقد أخذ سولون بهذا المبدأ، وكان له عنده بعدان أو مستويان :

- بعد مؤسسي يعكس تحقيق التوازن بين السلطات الثلاث في النظام السياسي (السلطة التشريعية والسلطة التنفيذية والسلطة القضائية). بحيث يكون لكل منها اختصاصات محددة ومسئوليات واضحة، وتكون تلك الاختصاصات والمسئوليات متكافئة ومتساوية بينها. يقول دي بورج عن ذلك: "إن سولون قام بإصلاح القانون الجنائي وركز خاصة على إنشاء المحاكم الشعبية التي كان الحكام مسئولين أمامها، فوضع بذلك أسس الديمقراطية، وفي المجتمع القديم كانت محكمة القانون وليست الجمعية العامة، مواطن الحرية السياسية، حيث ظفر الشعب بالرقابة على السلطة التنفيذية"[1]. وبذلك فقد ربط سولون بين توازن السلطات، وأخضع أعضاء الحكومة (السلطة التنفيذية) لمحكمة القانون (السلطة القضائية) التي جعلها في يد الشعب، "وإذا أخذنا بمبدأ أرسطاطاليس أن صاحب السيادة على الحكم القضائي هو صاحب السيادة على الدستور، يكون سولون قد أقام صرح

(1) و.ج. دي بورج، تراث العالم القديم، مرجع سبق ذكره، ص 150 .

الســـيادة الشعبية"[1]. وقد أشار أرسطاطاليس إلى أن سولون قد أقام الديمقراطية بتوازن صادق بين الأنظمة [2]، أي أنه حاول أن يــأخذ مـــن كـــل نظام سياسي معروف في زمنه (أوليجارشي أو أرستقراطي .. الخ) أحسن المزايا ليجمعها في نظام واحد. وقد تأثر بفكرة سولون هذه الكثير من المفكرين منهم أفلاطون الذي أمـــر في أواخر حياته بالنظام المختلط وأرسطاطاليس الذي اعتقد أن الدولـــة الفاضلة هي التي تقوم على دستور يجمع محاسن كل نظام سياسي، وأنها الدولة التي تحكمها الطبقة المتوسطة[3].

- بعد فردي يعكسه تحقيق التوازن بين المواطنين داخل نطاق المتحد السياسي، حيث ذهب سولون إلى وجوب المساواة والتكافؤ بين الســـلطات المـــتاحة للمواطنين، لذلك فإن " اصلاحات سولون تحفـــظ مكاناً للمساواة التي تظهر أنها أحد أسس التصور الجديد للـــنظام، ودون مســـاواة لا وجـــود لمديـــنة لعدم وجود روح الجماعـــة"[4]. وكانت المساواة التي عمل على تحقيقها للمواطنين (مساواة هندسية) وليست (مساواة حسابية). فالمساواة الحسابية

(1) أرنست باركر، النظرية السياسية عند اليونان، ج1، مرجع سبق ذكره، ص90.
(2) أرسطاطاليس، السياسة، مرجع سبق ذكره، ص 177 .
(3)- جورج سباين، تطور الفكر السياسي، ج1، مرجع سبق ذكره، ص 144 .
(4) جان بيار فرنان، أصول الفكر اليوناني، مرجع سبق ذكره، ص ص 81 - 82 .

هـــي أن نعطي لكل مواطن نفس ما نعطيه للمواطن الآخر تماماً، أما المساواة الهندسية فهي أن يأخذ كل شخص ما يستحق وتمثل مفهـــوم ســـولون وتطبيقه للمساواة الهندسية، في إنشائه لنظام الانتخاب لتختار كل قبيلة الأكفاء لتولي منصب الأركون .

4) **مبدأ سلطة القانون :** ومعناه أن سلطة الحكم وإصدار القرارات يجب أن يكون مصدرها قانون عام تتأسس عليه كل سلطة ويصدر عنه كل حكم وقرار. ولا يكون مصدرها فرد أو أفراد يحكمون ويقررون وفقاً لأهوائهم ومصالحهم. ويقصد بسلطة القانون من الناحية السياسية أن يكون النظام السياسي مسيراً وفق دستور وقوانين يقرها المجتمع ويقبل بها ويتم الرجوع إليها للتحقق من قانونية أحكام هذا النظام وقراراته، والمحسوبة بمقدار تطابق تلك الأحكام مع النصوص الدستورية والقانونية، وإذ آمن سولون بهذا المبدأ، فقد عمل على جعل الحياة السياسية والاجتماعية في أثينا مسيرة ومنظمة وفقاً لأحكام الدستور ونصوص القوانين .

فحين سُئل: متى تكون الدولة حسنة النظام ثابتة البنيان؟ أجاب: حين يطيع المحكومون الحكام، ويطيع الحكام القوانين[1].

---

(1) راجع :
أ- فوستيل دي كولانج، المدينة العتيقة، مرجع سبق ذكره، ص 384 .
ب- ابراهيم أبراش، تاريخ الفكر السياسي : من حكم الملوك الآلهة حتى نهاية عصر النهضة، مكتبة دار السلام، الرباط، ج1، ط1، 1997، ص 68 .

وذكر ابن فاتك أن سولون سئل: كيف يكون صلاح المدن؟ أجاب: إذا عمل الرؤساء بالسنن والشرائع لم يجد من دونهم بداً من أن يسيروا بسيرهم[1]. وإذ وضع سولون فكرة اليونان عن حكم القانون موضع التنفيذ فإنه بذلك " قد أقام ضمناً أساس مشروع للدستور، يرتكز على سيادة هذا القانون ووضع فيه الموظفين في مكانهم، خداماً له، ولكي يضمن انهم يعملون وفق القانون جعلهم مسئولين أمام محاكم شعبية"[2].

إن السلطة السياسية التي كانت تعتمد على قوة الدين قد جعلها سولون في خدمة القانون، وألغى الفكرة الدينية " والحق إن في فلسفة أرسطاليس السياسية الكثير مما يذكرنا بسولون، فهو مثله يؤمن بسيادة القانون، وكثيراً ما يشير إلى سولون بالذات عندما يقرر أن الشعب بأسره يجب أن يملك الحد الأدنى لنصيبه من السلطة السياسية، أعني حق انتخاب من يريدهم لشغل المناصب وحق محاسبة القضاة"[3].

لقد أراد سولون أن يكون الحكام مثلاً أعلى يقتدي به المواطنون، وأقصد بالحكام من يتولون المناصب السياسية، ولا بد أن يفهم من كلمة الحاكم عند سولون أنه المسئول فقط، وليس من يصدر القرارات، فالشعب هو الذي يقرر، وهو الحاكم الأول الذي

(1) ابن فاتك، مختار الحكم، مرجع سبق ذكره، ص 39 .
(2) أرنست باركر، النظرية السياسية عند اليونان، ج1، مرجع سبق ذكره، ص90.
(3) نفس المرجع السابق، ص 91 .

ينتخب من شاء أن ينتخب ويعزل من شاء أن يعزل، لذلك يقول سولون: "ينبغي للرئيس أن يبتدئ بتقويم نفسه قبل أن يبتدئ بتقويم الرعية، وإلا كان بمنـــزلة من رام تقويم ظل معوج قبل تقويم عوده الذي هو ظل لـــه"[1].

(1) ابن فاتك، مختار الحكم، مرجع سبق ذكره، ص 39 .

المبحث الثاني

التطبيقات العملية

النظام الديمقراطي: آلـــت أحـــوال أثينا قبل سولون إلى الاضطراب والانشقاق، وتعرضت مؤسساتها السياسية والقضائية إلى الـــتدهور والانحطاط، وأنبأت أوضاعها الاجتماعية والاقتصادية عن قيام ثورة قريبة. فقد كان التقسيم الطبقي آنذاك تقسيماً ثنائي يضم: طـــبقة غنية قليلة العدد تمتلك معظم ثروات المجتمع التي كانت ترتكز في ملكية الأرض، باعتباره مجتمعاً زراعياً، وطبقة فقيرة معدمة تشمل معظم أفراد الشعب، مما أدى إلى تدهور الحياة الاقتصادية، وبلوغها مرحلة الأزمة. أما نظام الحكم الذي أقامه دراكون قبل سولون بنحو ثلاثـــة عقـــود، فـــلم يعمل أكثر من أن زاد الفوارق بين الشعب والأرســـتقراطية بعـــد أن أصدر تشريعاته لمصلحة هذه الطبقة على حســـاب مصلحة عامة الشعب .وفي ظل هذه الأوضاع أقام سولون نظامه السياسي الديمقراطي.

أ) نشأة الديمقراطية : الديمقراطـــية كحـــدث (اجتماعي - سياســـي) لم تظهـــر مـــن فراغ، بل كانت هناك أسباب أدت إلى ظهورهـــا، وقد عرض بعض المفكرين آراءهم بشأن تلك الأسباب، فتحدث أفلاطون عنها في كتابه (الجمهورية) عندما تحدث عن أنواع أنظمـــة الحكم وتحولاتها وكيفية الانتقال من نظام إلى آخر، معلناً أن

النظام الأرستقراطي، يظل قائماً إلى أن تقع فيه الانقسامات السياسية والاجتماعية لأن الأبناء الذين يرثون مناصب آبائهم السياسية يكونون غير مؤهلين لها، فيفشلون في أداء واجباتهم، عندئذ تنتقل الدولة إلى نظام الحكم الديموقراطي (حكم الباحثين عن المجد والشرف)، حيث تعطي الميزة السياسية إلى شرف المولد ويأخذ الناس في الانقسام تدريجياً إلى أغنياء وفقراء، فتنتقل الدولة إلى الحكومة الاوليجارشية (حكم الأغنياء) وهنا تكرم الثروة وتعد أكبر النعم، ويشجع الحكام الشباب المستهتر على بيع ممتلكاتهم لهم. ومادام عشق الثروة يتعارض مع الاعتدال بالنسبة لمواطني الدولة فهذا سيؤدي إلى سقوط الكثير منهم في الفقر، مما يؤدي لاحقاً إلى سقوط حقوقهم المدنية، فيكرهون الملاك الجدد، وبذا يتآمرون عليهم فيأخذون في مضاعفة أرباحهم، بينما يصبح الحكام ضعفاء مخنثين، وبذلك تصبح الدولة مثل الجسم العليل المصاب بالمرض، عندها يثور الشعب لإقامة نظام يحكم فيه نفسه بنفسه، وهذا هو النظام الديمقراطي الذي ينشأ حين ينتصر الفقراء ويطردون الآخرين[1].

أما أرسطاطاليس فذهب إلى أن الثورات ترد إلى ثلاث علل هي " الاستعداد النفسي لأولئك الذين يثورون، وغرض الثورة، وثالثاً الظروف القاضية التي تجلب الاضطراب والشقاق بين المواطنين"[2]. كما رأى أن المساواة هي العلة الأساسية في أي ثورة،

---

(1) أفلاطون، محاورة الجمهورية، مرجع سبق ذكره، ص ص 234 – 250 .

(2) أرسطاطاليس، السياسة، مرجع سبق ذكره، ص 390 .

حيث تثور طائفة من المواطنين لإنهاء المساواة، إذا اعتقدوا أن حقوقهم تماثل حقوق الآخرين الذين يرون أنهم أقل منهم شأناً.

أما النظام الديمقراطي فيقوم في رأي أرسطاطاليس عندما تسوء الأحوال الاجتماعية والسياسية وتضطرب اضطراباً شديداً فينقسم الناس إلى فريقين : فريق الفقراء الذين يطمحون إلى تحقيق المساواة التامة في المجتمع، وفريق الأغنياء الذين لا يريدون المساواة مع الآخرين بل يريدون الظفر بكل سلطان ونفوذ. فيزداد انقسام الشعب، ويزداد حقد الفقراء على الأغنياء، ويزداد اضطراب البلاد، فإذا انتصر الشعب وأقام نظاماً يكون للجميع فيه حقوق وواجبات متساوية، كان هذا هو النظام الديمقراطي. وفي مثل هذا الوقت ظهر سولون، فوضع الأسس الفكرية والقانونية والمؤسسية للديمقراطية. فقيام الديمقراطية في أثينا كان بسبب ازدياد الانقسام الطبقي في المجتمع وظهور مشرِّع حكيم استطاع أن يعالج هذا الانقسام سلمياً، فيضع أول دستور ديمقراطي فيؤسس أول نظام سياسي ديمقراطي .

ويذهب جان جاك روسو إلى أن سولون إنما وضع أسس الديمقراطية، لأن الفوارق بين أفراد المجتمع الأثيني وطبقاته قد زادت فرغب في أن يوفق بين الأحزاب المتعارضة التي يسميها روسو: الجماعات الجزئية، وأن نظام الحكم الوحيد الذي يجعل الإرادة العامة متنورة هو الحكم الديمقراطي، يقول روسو : " ولئن كانت جماعات جزئية في الدولة فيجب الإكثار من عددها، وتلافي الاختلافات فيما بينها، كما فعل سولون. إن هذه الاحتياطات تكون وحدها الجيدة

لجعل الإرادة العامة متنورة دائماً ولكي لا يخطئ الشعب أبداً"[1].

أما بنيامين فارنتن فيذهب إلى أن الديموقراطية نشأت في أثينا بسبب تطور سبل الحياة المادية، أي أنه يفسر نشأة هذا النظام بالعامل المادي، وفي رأيه أن نظام سولون الديموقراطي، نشأ بسبب انتقال اليونان من عصر الجاهلية إلى عصر الحضارة، ومعروف أن عصر الحضارة في أي أمة هو عصر انتشار وتطور الوسائل المادية العملية للحياة لذلك فإن تغير البنية الاقتصادية للمجتمع، تتطلب بالضرورة أن تتغير الأفكار والمؤسسات السياسية القائمة، وأن يتم استبدال النظام السياسي القائم بنظام آخر يلبي متطلبات المرحلة الجديدة فظهر نظام سولون الديموقراطي[2].

أما أرنولد توينبي فيفسر نشأة النظام الديموقراطي في أثينا بنظريته الشهيرة (التحدي والاستجابة) وخلاصتها أن أي جماعة بشرية وهي في طريق تحولها إلى أمة تواجه تحدياً ما (سواء أكان جغرافياً: كظروف المناخ، أو ثقافياً: كوجود مؤثرات ثقافية تؤثر فيها من قبل جماعة أخرى، أو اقتصادياً: كقلة الموارد الاقتصادية

---

(1) جان جاك روسو، العقد الاجتماعي، ترجمة : ذوقان قرطوط، دار القلم، بيروت، ط 1، 1973، ص69.

(2) بنيامين فارنتن، العلم الإغريقي، ج1، مرجع سبق ذكره، ص 16 .
وكتاب فارنتن بصفة عامة يحلل التاريخ اليوناني بناء على اعتقاد المؤلف بأن تطور الوسائل المادية الصناعية في اليونان قد كانت هي السبب في كل التطورات السياسية والاجتماعية. راجع الجزئين الأول والثاني .

أو سياسياً: كتهديد عدو خارجي .. الخ) فإذا نجحت الجماعة في مواجهة هذا التحدي فإنها ترتقي وتتكون فيها أمة، وتكسبها استجابتها الناجحة خبرة في مواجهة أي تحد آخر، وهكذا فإن تاريخ الأمم والشعوب وقيام الحضارات الإنسانية ما هو إلا استجابة البشر للتحديات التي تواجههم. أما إذا أخفقت الجماعة البشرية في مواجهة التحدي فإنها تصبح حضارة متعطلة (مثل البدو في الصحراء، أو سكان الأسكيمو، أو الهنود الحمر في أمريكا)، وإذا أخفقت الحضارة القائمة في مواجهة التحدي، فستنهار هذه الحضارة (مثال ذلك انهيار الامبراطورية الرومانية التي أخفقت في مواجهة تحديين واجهاها وقضيا عليهما وهما: البربرية والدين المسيحي)[1] .

وبتطبيق نظرية التحدي والاستجابة على نشأة الديموقراطية، يقول توينبي إن المجتمع الأثيني تعرض لتحد كان ذا طبيعة اقتصادية، تتعلق بالنظام الاقتصادي القائم، ولم تستطع المؤسسات السياسية القائمة آنذاك أن تواجه هذا التحدي، أي أن الأزمة الاقتصادية تسببت في أزمة سياسية، أخفقت المؤسسات السياسية القائمة ذات الشكل الأوليجارشي في مواجهتها، فكانت استجابة الشعب الأثيني فعالة جداً، إذ تخلى عن مؤسساته القائمة وعمل على تقويضها، وأنشأ مكانها مؤسسات ديموقراطية، وكان سولون هو زعيم هذه الاستجابة المبدعة[2].

---

(1) أرنولد توينبي، مختصر دراسة للتاريخ، ج1، مرجع سبق ذكره، ص ص 101 – 131 .
– توجد خلاصة لنظرية توينبي في ملحق الجزء الرابع لهذا الكتاب .
(2) نفس المرجع السابق، ج2، ص ص 32 – 33 .

ويتفق دي بورج مع توينبي في ذلك، فيفسر نشأة الديموقراطية في أثينا بأنها كانت نتيجة ظهور الأزمة الاقتصادية، وحل هذه الأزمة كان بإقامة سولون للنظام السياسي الديموقراطي. يقول دي بورج أن سولون قد استُدعي "لتولي زمام الحكم حتى يحل الأزمة الاقتصادية وواتاه النجاح في وضع أسس الديموقراطية"(1).

وبتفسير مقارب لتفسيري العالمين السابقين، يذهب صموئيل هنتجتون إلى القول بأن نشأة المؤسسات السياسية بشكل عام تكون نتيجة "للتفاعل والاختلاف بين القوى الاجتماعية، ومن التطور التدريجي للإجراءات والوسائل التنظيمية لحل هذه الخلافات"(2)، وإن التفاعل بين قوى المجتمع المختلفة في رأيه، هو شرط أساسي لكي تظهر التنظيمات السياسية، ومن ثم استحداث المؤسسات السياسية. وتطبيقه لهذه الفكرة العامة على نشأة الديموقراطية في أثينا على يد سولون كحالة خاصة يقول "استدعت الحاجة وجود مؤسسات سياسية أكثر تطوراً للمحافظة على المتحد السياسي في أثينا، فيما كان المجتمع فيها يصبح أكثر تعقيداً، كانت إصلاحات سولون متجاوبة مع التغير الاجتماعي - الاقتصادي الذي هدد بزعزعة الأساس القديم للمتحد"(3).

---

(1) و.ج. دي بورج، تراث العالم القديم، مرجع سبق ذكره، ص 150 .

(2) صموئيل هنتجتون، النظام السياسي لمجتمعات متغيرة، ترجمة : فلو عبود، دار الساقي، بيروت، 1993، ص 20 .

(3) نفس المرجع السابق، ص 21 .

ويتجلى تميز النظام الديموقراطي الأثيني، وإبداع سولون في إنشائه، في أنه جاء على غير مثال سابق. فالحضارة السومرية أقدم الحضارات في بلاد الرافدين وهي كذلك أقدم حضارة في التاريخ، كان نظامها السياسي ملكياً، الملك فيه على رأس الدولة ولــه سلطة الأمر والنهي. وقد كان الفكر السياسي آنذاك يضفي على الملك صفات الألوهة، فالملك ابن الإله، فتصف ملحمة جلجامش الملك بأنه "الذي فاق كل الملوك، ذائع الصيت متين البنيان، ابن أوروك"[1]. ويقول حمورابي في قوانينه: " أنا السيد الذي لا زينة لــه إلا الصولجان والتاج، اللذين وهبتهما لــه ماما الآلهة الحكيمة"[2]. فالسلطة أيضاً في الحضارة البابلية من لدن الآلهة. أما الإطار السياسي للوحدات السياسية التي نشأت هناك فكانت دول مدن تمتعت بوحدة ثقافية[3]، وكان أعضاء الدولة غير متساوين سياسياً، وقد ذهب جاكبسون إلى أنه نشأت في بلاد الرافدين ضرب من ضروب الديموقراطية، أسماها "الديموقراطية البدائية "[4]، وقال إنه استنتاجه هذا من تحليلــه للأساطير القديمة في تلك البلاد. لكن هذا الاستنتاج غير دقيق، لأن ملحمة جلجامش تدور حول هذا الملك، وتشيد بسطوته الخارقة، وأوامره التي لا ترد من قبل الشعب، وملحمة الأينوما إيليش تقول صراحة إن الآلهة قالوا للإلــه مردوك:

---

(1) جلجامش، ملحمة جلجامش، مرجع سبق ذكره، ص 89 .

(2) حمورابي، قوانين حمورابي، مرجع سبق ذكره، ص 20 .

(3) أرنولد توينبي، تاريخ البشرية، ج1، مرجع سبق ذكره، ص 74.

(4) هـــ.فرانكفورت، ما قبل الفلسفة، مرجع سبق ذكره، ص 149.

" لقد وهبناك الملك، والسلطان على كل شيء

فاجلس في مجمعنا، ولتكن كلمتك هي العليا "[1].

وتقول أيضاً أن الآلهة لما رأوا من مردوك أنه ظفر بسحر الخلق:

(فرحوا وبايعوه قائلين : فليكن مردوك ملكاً "[2].

فهي إذاً تتحدث عن نظام ملكي بشري ذي مصدر إلهي، أو نظام ملكي إلهي. كما أن قوة الآلهة في معتقدات بلاد الرافدين القديمة تختلف باختلاف وظائفها المنسوبة إليها، وهذا أدى إلى اختلاف سلطتها، فـ (آنو) إلـه السماء هو أقواهم ولـه من السلطة أعلاها، وإنليل إلـه العاصفة، يليه في المرتبة ولذا فسلطته أقل منه شأنا[3].

وبذلك فإن المساواة وهي أحد أهم أسس النظام الديموقراطي، مفقودة في النظام الإلهي مثلما هي مفقودة في النظام البشري .

أما مصر القديمة فقد عرفت نوعين من أنواع الاتحاد السياسي، وهي في سبيل تكوينها للدولة[4] وتبين دراسة التاريخ القديم لمصر، أن النظام السياسي الذي كان سائداً طوال تاريخها هو النظام الملكي، حيث يكون الملك على قمة النظام الاجتماعي والسياسي، ولـه وزير

---

(1) نفس المرجع السابق، ص 211 .

(2) نفس المرجع السابق، ص 160 .

(3) نفس المرجع السابق، ص 164 .

(4) جيمس هنري برستد، انتصار الحضارة : تاريخ الشرق القديم، ترجمة أحمد فخري، دار الأنجلو المصرية، القاهرة ، ب.ط، 1962، ص .

ومشاورين، يرجع إليهم وهم أفراد الطبقة الأرستقراطية المقربون منه. وللمقربين قوة سياسية، ولكنها لا تعلو قوة الملك أو تعادلها، ولا سبيل إلى المقارنة بينهما، وكيف يمكن مقارنة أية سلطة في مصر القديمة بسلطة الملك الذي جعل إلهاً، وقد قال رمسيس الثاني مغضباً للإلـــه آمون: " ما الذي دهاك آمون أبي ؟ أنسي والد يوماً ولده؟"[1]. لقد كانت مكانة الملك الدينية من أهم مصادر سلطته. أما دراسة برستد لتطور فكرة الأخلاق في مصر القديمة، واستنتاجه بأن تطور هذه الفكرة يشير إلى قيام بدايةً لأشكال الديموقراطية، فذلك أمر خاطئ لأن :

1) الافتراض بأن الأخلاق المصرية أخذت ترتقي بشكل إيجابي مطّرد، يخالف حقيقة أن الأخلاق في مصر القديمة قد سارت في اتجاه عكسي، إذ شهدت مصر انحلالاً في مجال الأخلاق مع توالي عهود الأسرات[2]، باستثناء خُلُق واحد هو العدالة الاجتماعية، ولكن دون أن يكون بالإمكان تعميم هذا التطور الإيجابي على جميع أخلاق المجتمع.

2) الوثائق المصرية لم تشر على الإطلاق ولو ضمناً، إلى فكرة الديموقراطية، ولم تتحدث إطلاقاً عن قضية حكم الشعب[3]، وأرقى ما وصل إليه المصريون هو تطبيق فكرة العدالة (معات)

---

(1) هـــ.فرانكفورت، ما قبل الفلسفة، مرجع سبق ذكره، ص ص 89 – 90 .
(2) نفس المرجع السابق، ص ص 113 – 140 .
(3) نفس المرجع السابق، ص 117 .

على دُور القضاء. فقد ظهر بعض الملوك الخيرين الذين أوصوا عمالهم أن يكونوا عادلين في قضائهم بين الناس. وإن وجود مستشارين للملك لم يرتب لهم أي مصدر إلزامي لآرائهم بالنسبة للملك، فمثلاً حين استشار حاكم طيبة كامس أعوانه في عزمه على محاربة الهكسوس نصحوه بأن لا يفعل ذلك، ولكنه لم يأبه لهم، ونفذ ما اعتزم عليه[1]. وحين عرض تحتمس الثالث خطته العسكرية على أعوانه خالفوه الرأي، فغضب لذلك أشد الغضب، وأقسم ليفعلن ما اعتزمه، ولم يسطع أحد أن يعترض على مشيئته بل تبعوه صاغرين[2]. وهكذا كان الفرعون دائماً هو الملك الإلــه الذي لــه كل السلطة السياسية وظل الأمر كذلك حتى الأسرة السادسة والعشرين (أسرة صا الحجر: الأسرة الساوية) التي عاصرها سولون في عهد ملكها أمازيس .

أما الصين فإن تاريخها السياسي يبدو غامضاً في الفترة السابقة لعصر سولون، ولكن من المؤكد أنها كانت مقسمة إلى نحو سبعين أو تسعين قسماً، لكل قسم حاكم خاص يديره بصفته الشخصية ويتمتع كل قسم باستقلال ذاتي، وقد كانت أسرة شانغ تحكم الصين حتى نحو (1027 ق.م)، ثم حلت محلها أسرة تشو. ويظهر أن نسبة كبيرة من حكام المقاطعات كانوا يرجعون إلى الأسرة الحاكمة، وفي

---

(1) أ.ل. ميدروكروفت، هبة النيل، ترجمة : علي فخري، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط1، ب.ت، ص ص 122 - 123 .

(2) نفس المرجع السابق، ص ص 142 - 143 .

سنة (771 ق.م) خرج حكام المقاطعات على أسرة تشو، ففقدت هذه الأسرة سطوتها، وأخذ حكام المقاطعات يقتتلون فيما بينهم. وعليه فإن الصين لعهد سولون لم تعرف أي شكل من أشكال الديموقراطية[1].

والمهم هنا هو أن الحضارات السابقة لحضارة اليونان والمعاصرة لها لم تعرف الديموقراطية إطلاقاً، بل كان نظام الحكم فيها إما ملكي أو أرستقراطي .

أما بلاد اليونان، فإن دول المدن التي نعرف عنها بعض المعلومات فلم تكن فيها الديموقراطية، بل كانت جميعها ذات نظام ملكي أولاً، ثم أرستقراطي حتى عصر سولون.

إسقاط الدَين ((وضع الثقل)) ساي سكيتا : من أول التشريعات التي أصدرها سولون، التشريع الذي أسقط بموجبه الديون[2]، وقد سبق القول بأن كثير من أهل أثينا قد وقعوا في ربقتها. وقد كانت الديون السائدة آنذاك نوعان :

1) ديـــون عامـــة: وهـــي الديـــون التي يكون فيها الطرف المدين ((مواطـــن)) أثيني، والطرف الدائن هو الدولة، ولذا تسمى هذه الديون (ديون الدولة) .

(1) أرنولد توينبي، تاريخ البشرية، ج1، مرجع سبق ذكره، ص ص 120 - 121. وكذلك أنظر ص 148 .

(2) أرنست باركر، النظرية السياسية عند اليونان، ج1، مرجع سبق ذكره، ص88.

2) ديـــون خاصـــة: وهـــي الديون التي يكون فيها الطرف الدائن (مواطـــن) أثيني، والطرف المدين مواطن أثيني آخر، وتسمى هذه الديون ديون الأفراد[1].

وكان الغالب على هذين النوعين من الديون أن تكون ديون ربا، حيث كان الربا شائعاً قبيل عصر سولون، حيث يفرض الدائن- الفرد أو الدولة - على المدين لأجل أن يقرضه مالاً فوائد عالية، وصلت في بعض الأحوال إلى (36 % من قيمة الديون سنوياً). أي بنسبة (3%) في الشهر الواحد[2]. كما كانت معظم الديون الشائعة آنذاك من الديون الخاصة التي يستدينها الفقراء من الأغنياء اضطراراً، لتوفير حاجاتهم اليومية من الغذاء بعد أن ساءت أحوال أثينا الاقتصادية، وأخذ الأغنياء يزدادون غنىً، والفقراء يزدادون فقراً. وقد شجع الأغنياء الفقراء أو ضغطوا عليهم لدفعهم إلى الإستدانة منهم، ليتنفعوا من الفوائد المفروضة على الدين ويزدادو تحكماً بعوام الشعب. فالسيطرة الاقتصادية تؤدي إلى السيطرة السياسية، وفي أثينا بالذات تأكد ذلك إلى درجة أن المدينين كانوا يصبحون أرقاء لدائنيهم إذا عجزوا عن وفاء ديونهم[3]. وحين ظفر سولون بمنصب الأركون، وعهد إليه بمهمة التشريع، قام بخطوتين في هذا الشأن:

---

(1) أرسطاطاليس، نظام الاثينيين، مرجع سبق ذكره، ص 52 .
(2) علي عبد الواحد وافي، الأدب اليوناني القديم، مرجع سبق ذكره، ص 45 .
(3) فوستيل دي كولانج، المدينة العتيقة، مرجع سبق ذكره، ص 365 .

الأولى: إلغاء كل الديون العامة والخاصة، لأنه رآها ديوناً ظالمة مبنية على الربا الفاحش الذي حاربه ونزل إلى النصف ،وقد قيل أن ذلك كان خطوة كبيرة مهمة جداً[1].

الثانية: تحريم العبودية الناجمة عن عجز الإنسان عن سداد دينه. لقد شرع سولون قوانين أسقط بها "جميع الديون العامة والخاصة، وهذا هو الإصلاح الذي يسمى (ساي سكيتا: وضع الثقل)، كأنه قد وضع عن أعناقهم حملاً ثقيلاً"[2]. ويعد هذا القانون من أشهر قوانين الإصلاح الاقتصادي في التاريخ. ولعل أكثر ما يؤكد إحساس سولون بالمسئولية تجاه دولة مدنية أثينا ومواطنيها المدنيين، وإصراره على إصدار هذا التشريع مهما كان الثمن، هو أن تشريعه كان على حساب مصلحته الشخصية، حيث ضَّحى بأمواله التي كان قد أقرضها من أجل مصلحة الشعب. وإن كان بعض الأرستقراطيين قد حنقوا عليه فاتهموه بأنه فعل ما فعل لغاية في نفسه، فسولون بإسقاطه للديون، كما يقول أرسطاطاليس "جعل نفسه موضع بعض الفريقين لأنه وضع الشرف وسلامة الدولة فوق سلامته الخاصة - نقول: كيف لرجل هذه حاله أن يفعل ما يتهمه به خصومه من الأرستقراطية؟ أكان يمكن أن يدنس نفسه بعمل حقير دنيء كهذا ؟ وليس الذي منعه من هذا قلة سلطانه وهو الذي طب لأدواء المدينة، على أنه قد ذكر هذا أكثر من مرة في شعره،

---

(1) علي عبد الواحد وافي، الأدب اليوناني القديم، مرجع سبق ذكره، ص 46 .

(2) أرسطاطاليس، نظام الاثينيين، مرجع سبق ذكره، ص ص 52 – 53 .

والمؤرخـــون لا يختلفون في هذا. إذاً فليس من شك في أن مثل هذه الـــتهم ليســـت إلا كذباً صريحاً"[1]. وهذا يدل على صفات القناعة وحسن الخلق التي أثبتناها لسولون .

تشريعات العملة

1) **استبدال نظام النقد** : تضمنت تشريعات سولون أيضاً إحلال النقود العوبية [2] محل النقود الفيدونية[3]، وذلك أن نظام النقد الذي كان سائداً في أثينا آنذاك هو (نظام النقد الفيدوني) المستخدم أيضاً في بلاد البلبونيز (اسبرطة)، فاستبدلـــه سولون بنظام النقود العوبية الذي يمكن استخدامه لتسهيل الأعمال التجارية مع أسواق أيونيا الغنية المطردة الاتساع، والذي كان مقدار النقد العوبي مستعملاً فيها. وبذلك فإن تغيير سولون لمعيار النقد كان يستهدف تسهيل سبل التجارة الخارجية لدولة مدينة أثينا .

2) **زيادة قيمة النقود** : كان (المن) يساوي (73 دراخمة) في عصر سولون، فأصدر تشريعاً زاد فيه من قيمته، وجعلـــه يساوي (100 دراخمة)، وبذلك أصبحت قيمة القطع النقدية التي تدفع

---

(1) نفس المرجع السابق، ص ص 53 – 54 .

(2) النقود العوبية : وهي نوع من العملة التي كان يتم تداولها في أسواق أيونيا ذات الرواج الاقتصادي الكبير في ذلك العصر .

(3) النقود الفيدونية : نسبة إلى فيدون طاغية أرجوس الذي عاش في نحو القرن الثامن ق.م ، وقيل أنه أخذ مكاييلـــه وموازينه ونقوده عن البابليين .

أكثر مما كانت سابقاً، وإن كان عددها واحداً. وجدير بالذكر أن بعض العلماء المحدثين اعتقد أن سولون خفض قيمة العملة و لم يزدها، حيث يقول جروت أن سولون إنما خفض قيمة العملة بمقدار

(27%) من قيمتها الأولى، فتيسر الأمر للملاك الذين كانوا هم أنفسهم مدينين وحرموا من فوائد الرهون، التي كانوا يعتمدون عليها للوفاء بما عليهم من التزامات. وهذا رأي غير صحيح، لأن أرسطاطاليس يعتبر أن سولون قد زاد من قيمة العملة، ثم إن تخفيض قيمة العملة فيه ضرر كبير على طبقات الشعب التي أراد سولون مساعدتها وتحسين أحوالها، فلو حصل مثل هذا التضخم لكان ضربة شديدة الوقع على الملاك الذين أقرضوا التجار أموالاً. وإذا كانت زيادة قيمة العملة قد أفادت طائفة فهي طائفة التجار لا الملاك أو الفلاحين الذين ألغى من قبل ما على أملاكهم من رهون، وهذا يثبت أن سولون إنما زاد في قيمة العملة[1].

3) **زيادة قيمة الموازين** : حيث أصدر سولون تشريعاً ينص على التناسب بين الموازين وقيمة النقود، وبموجب هذا التشريع أصبح الوزن المسمى (التلنتون) يساوي نقدياً (63 مناً) والمن يساوي (100 دراخمة). فإذاً التلنتون = 63 × 100 = 6300 دراخمة[2].

(1) ول ديورانت، قصة الحضارة، ج6، مرجع سبق ذكره، ص ص 211 - 212 .

(2) أرسطاطاليس، نظام الاثينيين، مرجع سبق ذكره، ص 61 .

تشريعات الاقتصاد الداخلي : اهـــتم ســـولون بالسياســـة الاقتصـــادية الداخلية لأثينا، وعمل على وضع عدة قوانين للرقي بها، وكان من هذه القوانين :

1) منح حق المواطنة لأي أجنبي يُدخل حرفة جديدة للبلاد تشجيعاً منه للصناعات. وقد أدى ذلك إلى رقي المصنوعات الأثينية، فلم يمضِ زمن يسير حتى أصبحت المصنوعات الفخارية الأثينية تحتل مكانة مصنوعات كورنثة في السوق العالمي[1].

2) منع تصدير القمح، لأنه مصدر غذائي أساسي في أثينا .

3) توجيه صناعة زيت الزيتون إلى التصدير .

4) جعل الغيبة جريمة، وسن قانون يعاقب عليها. سواء أغتيب الموتى أم الأحياء، ليصرف الناس عما لا نفع فيه إلى ما فيه نفع لهم.

5) إلزام كل أب أن يعلم ابنه حرفة .

6) أمر بالاقتصاد في النفقات، سواء نفقات الدولة أو نفقات الأفراد الخاصة (الزواج – الحفلات – .. الخ) .

---

(1) راجع :

أ – أرنست باركر، النظرية السياسية عند اليونان، ج1، مرجع سبق ذكره، ص 88.

ب– أرنولد توينبي، تاريخ البشرية، ج1، مرجع سبق ذكره، ص 177 .

7) إلزام الحكومة بتربية أبناء من يُقتَلون في الحرب وتعليمهم[1].

وبذلـــك يكون قوام تشريعات سولون الخاصة بالعملة والسياسة الاقتصـــادية الداخلـــية، الاقتصاد في الإنفاق وتشجيع قيام الصناعات، وتنشـــيط التبادل التجاري، فما كان تغيير سولون لنظام النقد الفيدوني وإحلال نظام النقد العوبي محله، إلا لكي يسهل الاتجار مع المدن التجارية الغنـــية مـــثل: أرتيريا وخالكيس، وليفتح مجال التعامل مع أسواق أيونيا، ولقـــد أباح تصدير زيت الزيتون الذي اشتهر به إقليم أتيكا، وأفلح فعلاً فـــيما قصـــد إليه ،فما هي إلا سنوات معدودات حتى امتد نشاط أثينا التجاري إلى أماكن كثيرة في أنحاء البحر المتوسط. فظفرت أثينا بثروات كبيرة مكنتها من أن تقوم بدور سياسي هام في مجال العلاقات بين الدول اليونانـــية، فغـــيرت إصلاحات سولون الاقتصادية طابع النظام الزراعي السائد في أثينا من طابع استهلاكي إلى طابع تجاري.

نتائج إصلاحات سولون : إن حل سولون للمشكلة الاقتصادية بهذا الشكل قد نتجت عنه مشكلتان يحددهما توينبي في :

1) ظهور طبقات جديدة : صناع – حرفيون – .. الخ، أرادوا أن يكون لهم دور في الحياة السياسية.

2) إنهاء عزلة دولة المدينة : فظهور فكرة (التكافل الاقتصادي) بين دول المدن اليونانية، أنهى وإلى الأبد فكرة عزلة هذه الدول عن

---

(1) بلوتارك، عظماء اليونان والرومان، نقلاً عن :

– ول ديورانت، قصة الحضارة، ج6، مرجع سبق ذكره، ص ص 216 –217.

بعضها البعض، مما استدعى ضرورة إيجاد نظام عالمي يوناني .

أما المشكلة الأولى فقد تم حلها بمنح حق الانتخاب للطبقات الجديدة، لتتغير بذلك الحقوق السياسية القائمة على (قاعدة القرابة الطبقية) فتحل محلها الحقوق السياسية القائمة على (قاعدة الملكية). وهو تغير أنجزه دستور سولون ونظامه الديموقراطي.

أما المشكلة الثانية فلم تحل بفعل (مبدأ سيادة المدينة). وإذاً فإن سولون بتوحيده للعالم اليوناني اقتصادياً، قد مهد لتوحيده سياسياً، ولكن رجال السياسة من بعده لم يكملوا ما ابتدأه[1].

قانون الجمعيات: قام نظام سولون الديموقراطي في جانب آخر منه على مبدأ حرية الجمعيات، الذي شرعه ونص فيه على أن الجماعة التي لها عبادة مشتركة يحق لها أن تضع لنفسها قوانين خاصة بها، وتعترف الدولة بصلاحية هذه القوانين بالنسبة لأعضاء الجماعة ما دامت لا تتعارض مع قوانينها. وقد ضمت هذه القوانين جميع الجماعات بما فيها الجماعات التي تعطيها الدولة حق امتلاك سفن حربية تهاجم بها العدو ساعة الوغى. وهذا التشريع تعبير عن قيام نظام سولون الديموقراطي على حرية الرأي والمعتقد، والاعتراف بحق الاختلاف والخصوصيات[2].

نظامه التعليمي : الذي نعرفه عن نظام سولون التعليمي هو أنه ساهم في ارتقاء العلوم والفنون في أثينا، وذلك بتشريعه لقوانين

(1) أرنولد توينبي، مختصر دراسة للتاريخ، ج2، مرجع سبق ذكره، ص ص 32 – 36 .
(2) أرنست باركر، النظرية السياسية عند اليونان، ج1، مرجع سبق ذكره، ص89.

تشجع على جذب أولي المهارات في أثينا وتفرض على الآباء ضرورة تعليم أبنائهم. وقد قيل إن أشعار هوميروس لم تكتب حتى عصر سولون وإنما كان المنشدون يحفظونها عن ظهر قلب، وإن سولون هو أول من أمر بأن تكتب الإلياذة والأوديسا، وأشرف على هذه المهمة، وهذا يتطلب أن يكون على حظ عظيم من المعرفة بأصول النحو والشعر اليوناني، ويقول موزيس فينلي: " إن سولون هو الذي أمر بأن ينشد المنشدون أشعار هوميروس بنظام واحد، وأن على المنشد أن يبدأ من حيث انتهى الأول"[1].

القانون الغريب : وقد أسمي أرسطاطاليس أحد قوانين سولون بهذا الاسم، لأنه لم يجد لــه تفسيراً منطقياً، وينص هذا القانون على أنه في حال الاضطراب في البلاد، فإن أي شخص لم يأخذ سلاحه وينضم إلى أحد الحزبين المتعارضين، فإن هذا الشخص سوف يحرم من حقوقه السياسية والمدنية. وهذا العقاب يسمى في اليونانية (الأتيما)، وهو شبيه بفكرة الخلع التي عرفها العرب في جاهليتهم[2]. وربما يمكن الافتراض بأن قانون سولون هذا يستند إلى أن انقسام الشعب بالكامل إلى قسمين كبيرين في حال الاضطراب، يمكن أن يكون سبباً في منع قيام ثورة كبيرة ووقوع حرب أهلية، لأن الشعب في هذه الحالة سوف يلجأ إلى التصالح والتراضي، تماماً كما حصل حين اضطربت الأحوال في عصر سولون فأوكل إليه أن يصلح بين الطرفين، أما لو

---

(1) موزيس فينيلي، عالم أوديسيوس، مرجع سبق ذكره، ص 35 .

(2) أرسطاطاليس، نظام الاثينيين، مرجع سبق ذكره، ص 59 .

ترك الناس على هواهم، فسوف يلجأ كثير من البسطاء إلى أخذ موقف الحياد، وبالتالي فالغلبة سوف تكون للأقوياء والأغنياء .

إلغاء الرق :

أ) عتق الأرقاء : سبق القول بأن هناك خمسة طرق عرفتها الأمة اليونانية بصفة عامة، وأثينا بصفة خاصة للحصول على العبيد: فأما طريقة الدخول في الديانة المترلية، فاندرست وانقضت بانتهاء عصر الجاهلية اليونانية. وأما طريقة العبودية بسبب الديون فقد قضى عليها سولون قضاءً تاماً عندما حررت تشريعاته الذين وقعوا في الرق بسبب ديونهم، وعزز ذلك بقانون (وضع الأعباء)، وعن هؤلاء الأرقاء يقول أرسطاطاليس "إن الفقراء كانوا خاضعين للقهر البدني إذا عجزوا عن أداء الدين"[1] فقبل أن يشرع سولون نواميسه، كان أي شخص في أثينا يعجز عن سداد ديونه، والوفاء بما عليه من فوائد كبيرة يصبح رقيقاً لدائنه، الذي يسترقه مقابل دينه، أو يبيعه ليحصل على مالـه من قيمة بيعه، وكذلك قد يباع أطفال المدين وزوجه، مما أوقع الألوف من سكان أثينا ضحية للعبودية[2].

لقد قام سولون بعتق كل من استرقوا، أو تحولوا إلى مسدسين، وكل من بيعوا خارج البلاد رقيقاً، ولكي يقوم بذلك كان لا بد أن يلغي فكرة (التخم المقدس)، وهي عقيدة دينية في

---

(1) نفس المرجع السابق، ص 51 .

(2) علي عبد الواحد وافي، الأدب اليوناني القديم، مرجع سبق ذكره، ص 35 .

اليونان القديمة، كانت تقول بأن كل أرض لها إلــه يحرسها، فالدائن حــين يضع يده على أرضٍ يزعم أن هناك إلــه يحرسها لــه، وإذاً فالأرض تصبح لــه قانونياً ودينياً. وكان لا بد أن يختفي هذا التخم لكــي تــتحرر الأرض ويتحرر الزراع. "وبفعلــه هذا قام سولون بــانقلاب هائل: فقد نحى جانباً ديانة الملك القديمة التي كانت تحفظ الأرض في عــدد صــغير من الأيدي باسم الإلــه الذي لا يتحرك. انتزع الأرض من الديانة ليعطيها للعمل. وقد محى مع سلطة النسيب علي الأرض سلطته على الرجل"[1]. ولقد قال سولون (وقد وضعت حداً لآلام الشعب، ولم ؟ إني لأستشهد أمام الزمان هذه الأم العظيمة الخيرة، أم آلهة أولمبوس، هذه الأرض السوداء التي انتزعت قديماً، ما كــان يقــوم علــيها من حد. لقد كانت أمةً وهي اليوم حرة"[2]. فــبإلغائه للــتخم المقدس الذي يربط المدين بالأرض، حرر سولون الأرض والإنسان، لذلك فهو يقول : "كثيرٌ عدد هؤلاء الذين رددتهم إلى أثيــنا، هــذا الوطن الذي أقامته الآلهة، لقد بيع كثيرٌ منهم عدلاً مــرة، وجوراً أخرى. هؤلاء قضت عليهم الضرورة بالنفي فهم لا يتكلمون لغة أتيكا مشردين في كل وجه، وآخرون أذلاء قد أذعنوا للسطوة القاهرة، فهم يضطربون فزعاً أمام سادتهم. لقد رددتهم جميعاً أحراراً. هذا ما فعلت بقوة القانون"[3]. وإذاً فسولون يذكر صراحة

---

(1) فوستيل دي كولانج، المدينة العتيقة، مرجع سبق ذكره، ص ص 367 - 368 .
(2) أرسطاطاليس، نظام الاثينيين، مرجع سبق ذكره، ص 64 .
(3) نفس المرجع السابق، ص 64 .

أنــه اســتخدم قوة القانون لكي يعتق الأرقاء ويعيد المنفيين. ولقد احترز لمسألة (القهر البدني) أي استعباد الدائن للمدين، فنص تشريعه على مجموعة قوانين تحاول التقليل من بيع الأراضي أو رهنها لكي لا يقع في المستقبل ذلك الرق الذي حرمه، فمن تشريعاته:

1) قانون ينص على أن عدم السداد لا يؤدي بالمرء إلى أن يسترق.

2) قانون يفرض على كل شخص أن يبين سنوياً مصدر عيشه للحكومة، ومن لا يفعل ذلك، ولم يثبت أن لــه مصدر رزق مشروع، تقع عليه عقوبة شديدة[1]. وذلك لكي يحض الناس على الاعتماد على أنفسهم لكسب قوهم، لكي لا يضطروا إلى الدين.

3) قانون ينص على أن من يبيع أرضه يفقد حق المواطنة. ليمنع الناس من بيع أرضهم، لأن بيع الأرض أو رهنها كان من أهم السبل التي تحايلت بها الأرستقراطية لإيقاع الكثير من المواطنين في ذل العبودية.

إن تشريع سولون هذا بخصوص تحرير الأرقاء بسبب الدين، يبدو متفوقاً ومتقدماً إذا قورن بالتشريعات السابقة أو المعاصرة له، فشريعة حمورابي تنص على أنه " لو استحق سند الدفع فاضطر المدين أن يبيع زوجه أو ابنه أو ابنته أو أن يعرضهم للبيع عبيداً. عليهم أن يعملوا في بيت من اشتراهم أو استعبدهم ثلاث سنوات، ثم يعتقهم في السنة الرابعة"[2]. وقوانين آشور الوسطى تبيح "بيع أي آشوري أو

---

(1) هيروديت، التاريخ : الكتاب الثاني، مرجع سبق ذكره، ص ص 309 - 310 .
(2) حمورابي، قوانين حمورابي، مرجع سبق ذكره، ص 48 .

آشورية أخذت مقابل تحرير دين في قطر آخر"[1]. أما القوانين العبرية فتقول في سفرلاوين- الإصحاح 25 "إذا افتقر أخوك عندك وبيع لك، فلا تستعبده استعباد عبد، أجير كنـــزيل عندك، إلى سنة اليوبيل يخدم عندك"[2]. أي يظل يخدم عند سيده حتى تأتي سنة اليوبيل، وهي سنة تتكرر كل خمسين سنة مرة. وهذا يعني أن قوانين آشور الوسطى اعترفت بهذه العبودية و لم تحدد لها مدة زمنية. أما قوانين حمورابي والقوانين العبرية، فأقرت هذه العبودية إلى أجل مسمى، لكن المهم هو أن هذه القوانين الثلاثة أقرت جميعاً مشروعية استعباد الدائن للمدين، إذا لم يوفِ الأخير بالدين في الأجل المطلوب. في حين أن سولون حرم هذا الرِق تحريماً تاماً قاطعاً ودون استثناء.

أما الطريقة الأخرى للرق، وهي بيع الآباء لأبنائهم، فقد حرمها سولون أيضاً تحريماً جازماً عندما وضع حداً لسلطة الأب على ابنه، وسمح للأخير بأن يتخلص من سلطة والده حين بلوغه سناً معيناً. وشرع عدة قوانين تكفل للأبناء الحياة الكريمة، ومن هذه التشريعات :

1) إن الولد غير ملزم بمساعدة أبيه، إذا لم يعلم الأخير ابنه حرفة خاصة.

2) سن قوانين الوصية: فلم يعرف الأثينيون الوصية قبل سولون، فأباحها وورث الأبناء الشرعيين. فإن لم يكن أبناء، فلأقرب

(1) نفس المرجع السابق، ص 51 .

(2) نفس المرجع السابق، ص54 .

الأقارب، أو ليوصي المرء بماله لمن يشاء[1]. أم إذا كان للشخص ابنة واحدة فقد أعطاها سولون حق التمتع بالميراث، و لم تكن البنت تورَّث من قبل. وعلى الدولة أن تلتزم أمر تزويجها[2].

أما الحرب والعبودية بالولادة، كطريقتين للاستعباد فلم يستطع سولون القضاء عليهما لأن ذلك كان من المستحيل، أو من الصعب جداً، في عصر العبودية فيه هي أساس النظام الاقتصادي الاجتماعي.

ب) تحسين أحوال العبيد : إذا لم يكن سولون قد قضى على جميع الأسباب المؤدية إلى الرق، فإنه حاول تخفيف النتائج السلبية المترتبة على الأسباب الأخرى، فشرع قوانين تضمن حياة ومصلحة العبيد، وكان من ذلك :

1) تجريد السيد حق الحياة والموت على عبده .

2) جعل الإعدام عقوبة السيد الذي يقتل عبده.

3) تقليل حقوق السيد الأخرى وتضييق مجالها، وتأمين العبد من بغيه، بل إنه منع حتى أن يضرب السيد عبده.

4) إعطاء العبد حق مقاضاة سيده إذا أساء معاملته[3].

---

(1) أريستوفان، كوميديات أريستوفان : مسرحية الطيور، ج2، مرجع سبق ذكره، ص 255 .

(2) فوستيل دي كولانج، المدينة العتيقة، مرجع سبق ذكره، ص 426.

(3) علي عبد الواحد وافي، الأدب اليوناني القديم، مرجع سبق ذكره، ص 39 .

وقـــد بلـــغ مـــن تعارض هذه التشريعات مع تقاليد اليونان وأنظمتهم الدينية والاجتماعية والثقافية، أن الكثير من العقول اليونانية لم تســـتطع أن تتقبـــلها، فانـــتُقد سولون كثيراً، وقد قال أكسينوفان الإيلائي مستاءً مما آل إليه حال الرقيق بسبب تشريعات سولون " إنهم - أي الرقـــيق - يعيشون في أثينا عيشة دعة وترف منقطعة النظير، لا يخشـــون عقابـــاً، فقـــد أمســـى محظوراً على مواليهم أن يؤدبوهم أو يضربوهم، وقد عظم خطرهم وركبوا رؤوسهم، حتى لقد أصبحوا ينازعون الأحرار في الخطوات ويزاحموهم بالمناكب " [1].

ج) تنظيم الدعارة: انتشرت الدعارة في أثينا بشكل كبير، لسببين:

سبب اقتصادي: حيث إن تدهور الأحوال الاقتصادية لغالبية أفراد الشعب، حوَّل عقود الزواج إلى صفقات تجارية بحتة، فازدادت تكاليف الزواج، وتعذر أمره على كثير من الشباب .

سبب اجتماعي - اقتصادي : حيث إن اضطراب الأحوال في أي مجتمع يؤدي إلى الهروب من الواقع السيء إلى الملذات الحسية، والاندفاع نحو إشباع الغرائز والشهوات .

ولقد أثر انتشار الدعارة سلبياً على النظام السياسي في أثينا، إذ زادت سطوة الأرستقراطية على شئون الحياة السياسية، بعد أن فتح لهم مجالاً جديداً للكسب، عن طريق توظيف إمائهم في الدعارة

---

(1) نفس المرجع السابق، ص 40 .

ليجلبن لهم الأموال.

وإذا كان سولون قد قال عن نفسه إني لأعرف كل الشر، فلا بد إذاً أن يكون قد عرف المساوئ التي نتجت إثر انتشار الدعارة، وأدرك خطورتها على النظام السياسي، لذلك حاول تقليل هذه المساوئ قدر جهده، ولكنه لم يستطع إلغاءها كلياً، فدين اليونان نفسه يبيح الدعارة، وآلهة اليونان نفسها تحيا حياة كلها فجور. ومن تشريعاته لتقليل الدعارة :

1) فرض ضرائب على البغاء، وأخضعه لكثير من القيود القانونية، ليضيق على من يمارسونه، ويقلل من عددهم .

2) إنشاء مواخير عامة خاضعة للدولة ولرقابتها، وشراء عدد من الإماء وتوزيعهن على هذه الدور، وجعل دخولهن تؤول إلى الخزانة العامة للدولة .لجعل الدعارة محصورة في أماكن خاصة تخضع لرقابة الدولة، بدل أن تظل منتشرة دون رقيب في كل مكان، وبذلك حصرها في أماكن محددة .

3) عدم السماح لأي رجل يحيا حياة الفجور، أن يتقدم بطلب إلى الجمعية العامة. ليضطر المواطنون اضطراراً إلى التخلي عن هذه الحياة.

4) إقامة هيكل للآلهة أفروديت، سماه أفروديت بانديموس : أي إلهة الشعب كله، وذلك تطهيراً للدعارة المهنية. أي ليثبت أنه إنما أقام دور البغاء لكي يحد من انتشار الدعارة، وليجعل من ذلك هدفاً خلقياً واجتماعياً فيه صلاح المواطنين .

5) فرض غرامة قدرها مئة دراخمة على من يعتدي على عرض امرأة حرة، وهو مبلغ كبير في ذلك الوقت.

6) شرع قانوناً ينص على أنه إذا ضبط رجل متلبس بجريمة الزنا، فيقتل على الفور.

7) منع الأحداث من الإتجار بأنفسهم .

8) شجع على الزواج عن طريق تشريعات تسهله، مثل :

أ- حدد بائنات العرائس ومهورهن بأثمان يسيرة .

ب- نهى عن أن يكون لأية امرأة أكثر من ثلاث حلل : إثنتان لارتدائهما داخل البيت، والثالثة تخصص للقداس الديني .

ج- للنساء أن يتطيبن بالعطور والزيوت وأن يتخذن من الزينة أحسنها داخل بيوتهن، وذلك ليقعن موقعاً حسناً في نظر أزواجهن، فلا يقعون في الحرمات.

د- أمر بأن يكون أساس الزواج هو الحب المتبادل، والرغبة في الذرية الصالحة.

ولكن سولون لم يفرض الزواج فرضاً على الشبان، ذلك أنه يرى أن " المرأة عبء ثقيل"[1]. وقد قال أحد معاصريه يمتدح

---

(1) بلوتارك، عظماء اليونان والرومان، نقلاً عن :

- بول فريشارو، الجنس في العالم القديم، مرجع سبق ذكره، ص ص 352 - 353 .

تشريعاته في هذا الخصوص ويشيد بنتائجها " مرحباً بك يا سولون ! لقد ابتعت الموسات لخير المدينة ولوقاية أخلاق المدينة الغاصة بالشبان الأشداء، ولولا تشريعك الحكيم، لضايق هؤلاء الشبان فضليات النساء، ونشروا في المدينة الفساد والاضطراب"[1] .

اصلاحات سولون الدينية : كان لسولون أيضاً إصلاحاته في مجال الديانة اليونانية، يقول فوستيل دي كولانج: " كان تشريع سولون مجموعة قوانين ودستور وكتاب شرائع في آن واحد، فكان ترتيب القرابين وثمن الأضحية منظماً فيها، كما كانت شعائر الأعراس وعبادة الموتى"[2]. ولما كان الدين اليوناني دين طقوس بالأساس، ينشغل أتباعه بتأدية طقوسهم الدينية أكثر مما ينشغلون بالعقيدة الروحية، فإن تغيير سولون لبعض طقوس هذه العقيدة – ولو بشكل يسير – يعني تغييره أيضاً لأسس تلك العقيدة. ويمكن القول إن اهتمام سولون بالدين يعود إلى أسباب اجتماعية سياسية، توضحها طبيعة إصلاحاته الدينية والغايات المرجوة منها. ومما شرعه بخصوص الدين :

1) حرم أن يدفن مع الميت أكثر من ثلاثة أثواب[3]، وذلك لأنه لم يستطع إلغاء الفكرة الدينية القائلة أن الميت يحتاج في العالم السفلي إلى اللباس والطعام، لكنه استطاع أن يأمر بالاقتصاد في

(1) ول ديورانت، قصة الحضارة، ج6، مرجع سبق ذكره، ص 216 .
(2) فوستيل دي كولانج، المدينة العتيقة، مرجع سبق ذكره، ص 254 .
(3) نفس المرجع السابق، ص 14 .

المصروفات التي تنفق على الموتى .

2) حرم السير باكياً وراء نعش الميت لغير أهله[1].

3) حرم أن يدفن في القبر رجل من أسرة أخرى[2].

4) أمر أن يدفن الميت في حقل خاص بالأسرة[3].

وكل التشريعات السابقة لأجل الاقتصاد في مصروفات الجنازة .

5) ألغى العقائد الدينية المتعلقة بالوراثة والتي تقول بأن الابن الأكبر هو الذي يرث، إذ جعل سولون جميع الأبناء يرثون، بل إنه حطم الفكرة الدينية المتشددة والتي تحرم على البنت أن ترث، فورَّث الإناث[4].

6) ألغى التشريع الديني القائل بأن للأب سلطة مطلقة على بنيه، فقال ليس للأب على أبنائه تلك السلطة، وإنما هو راعٍ لهم مسئول عنهم[5].

7) وأهم ما عمله سولون في مجال الدين على الإطلاق هو: إلغاء العقيدة الدينية القائلة بأن هناك فوارق بين الناس إلغاءً تاماً، وقال إن جميع الناس سواسية وكل الأثينيين أحرار.

---

(1) نفس المرجع السابق، ص40 .

(2) نفس المرجع السابق، ص 43 .

(3) نفس المرجع السابق، ص 84 .

(4) نفس المرجع السابق، ص 426 .

(5) بول فريشارو، الجنس في العالم القديم، مرجع سبق ذكره، ص 352 .

لقـــد حطم سولون بتشريعاته أسساً مهمة في العقيدة الوثنية اليونانـــية، اســـتمرت معالمها قائمة ما كان للدين اليوناني من نفوذ، حتى انهار ذلك الدين .

التوفيق بين الأحزاب : كانت إقامة الديموقراطية وسيلة سولون الأهم للتوفيق بين الأحزاب المتعارضة، وتخفيف إن لم يكن إنهاء الصراعات الاجتماعية، وإلى هذا تشير أشعاره التي يقول فيها: "لقد منحت الشعب من السلطان ما يكفي من غير أن أحرمه شيئاً من حقوقه، أو أضيف إليه ما ليس له. أما الذين كانوا يملكون القوة وكانت ثروتهم تعرضهم للحسد فقد حظرت عليهم أيضاً كل إسراف. لقد وقفت أمام الحزبين محتمياً بدرقتي أتقي بها من كل جانب، ولم أسمح لأحدها أن يتفوق ظلماً"[1].

عندما بدأ سولون إصلاحاته، ظن الفقراء وقد عهدوا منه العطف والإخلاص، أنه سوف يأخذ أرض الأثرياء كي يوزعها عليهم، في حين ظن الأثرياء أن سولون، وهو من أصل شريف، سيكون لهم ظهيراً. ولكن سولون لم يمل إلى هؤلاء ولا هؤلاء، وإنما اكتفى بإعادة الأرض المغتصبة ظلماً إلى أصحابها ولم يتجاوز حدود العدالة[2]، عملاً بمبدئه الوسط، وبخلقه المعروف عنه حسن الشيمة، فكان حسناً مع الطرفين.

---

(1) أرسطاطاليس، نظام الاثينيين، مرجع سبق ذكره، ص 63 .

(2) جان بيار فرنان، أصول الفكر اليوناني، مرجع سبق ذكره، ص 75 .

وما كاد يبدأ سولون في عملـــه السياسي حتى كثر السخط والتذمر من الطرفين، يقول بلوتارك (بدا الفقراء بمظهر الأعداء الألداء للأثرياء)[1]. وقد قال سولون عن هؤلاء الفقراء الذين طمعوا في قسمة الأرض في أشعاره " كان هؤلاء يُقبلون، قد ملأهم حب النهب، يعتقد كل منهم أنه سيجد ثروة ضخمة. ومع أني كنت أتلطف في الحديث فقد كانوا يعتقدون أن قسوتي لن تلبث أن تظهر، لقد خابت آمالهم، والآن وقد ملأهم الحقد عليَ، أراهم ينظرون إلي شذراً كما ينظرون إلى عدو، ما بالهم يفعلون ذلك ؟ لقد وعدت وأعانتني الآلهة على الوفاء، فأما مادون ذلك فما فعلت شيئاً إلا ولـــه علة، فما كنت أرضى أن أتخذ قهر الطغاة سبيلاً إلى تحقيق ما أريد، ولا أن أرى الأخيار والأشرار يتساوون في ملك هذه الأرض الخصبة، أرض الوطن "[2].

هذه الأبيات من شعر سولون تبين كيفية تصوره لمسألة التوفيق بين الحزبين، فهو لم يؤثر مصلحة الأغنياء على مصلحة الفقراء كما فعل سلفه دراكون، ولكنه أيضاً والتزاماً بمبادئه الرئيسية، خاصة مبدأ الوسط وعدم الإسراف في شيء، لم يرد أن يظلم الأغنياء لإظهار تعاطفه مع الفقراء، أي إنه لم يندفع وراء عواطفه، بلِ أعطى كل ذي حق حقه، وإذ يقول سولون عن نفسه (ما فعلت شيئاً إلا ولـــه علة)، فإنه يؤكد بذلك حرصه على التصرف استجابة للدواعي العملية الواقعية.

---

(1) بلوتارك، عظماء اليونان والرومان، نقلاً عن :

- ول ديورانت، قصة الحضارة، ج6، مرجع سبق ذكره، ص207 .

(2) أرسطاطاليس، نظام الاثينيين، مرجع سبق ذكره، ص 64 .

وإذ يقول الحكيم بياس : " السلطان محك الإنسان"[1] ولأن حصول الإنسان على السلطة بكل ما يصاحبها من القوة والنفوذ، اختبار حاسم لطبيعة هذا الإنسان، وهل هي خيرة أو شريرة، وحين عمل سولون على التوفيق تبين الأحزاب المختلفة المتعارضة، فإنه كان ينطلق من الدواعي العملية من ناحية، ويعبر عن طبيعته التي تميل إلى التواضع والقناعة من ناحية أخرى، ويؤكد من ناحية ثالثة زهده في السلطان، ورغبته أن تكون السلطة السياسية للمجتمع كله. وإذ أراد أن ينصف جميع الناس، فقد رأى أن الشرط الأول لذلك هو أن يجمع في إطار القانون، بين القوة والعدل، فالقوة التي يمتلكها القانون لا بد أن تناصر الضعفاء لتعيد إليهم حقوقهم، وتنصفهم من تعسف الأقوياء الذين يستمدون قوتهم من مصادر أخرى غير القانون كالثراء والنفوذ. ولكن قوة القانون لا بد أن توازنها العدالة، فلا إسراف في استخدام القوة لردع الأقوياء، ولا للتعدي على حقوقهم، حتى لو كانت هذه القوة هي قوة القانون نفسه، فالقانون في نظره سيكون ظالماً لو رجح كفة على أخرى فتجاوز حد الحق. لذا كان سولون حريصاً ألا يقع الشعب في ما نسميه اليوم (إساءة استخدام الحق)، وهذا عين الديموقراطية. لذلك فمبدأ الوسط عند سولون كان هو الأساس لقيام نظام سياسي يوفق بين قوى متعارضة[2].

وهذه أبيات يتحدث سولون فيها عن نفسه فيقول: " لقد

(1) أرسطاطاليس، الأخلاق، ج2، مرجع سبق ذكره، ص 56 .
(2) جان بيار فرنان، أصول الفكر اليوناني، مرجع سبق ذكره، ص 75 .

وفقت بين القوة والعدل، ووفيت بكل وعودي. لقد شرعت القوانين للأخيار والأشرار، وضمنت لكل منهم نصيباً من العدل. ولو أن غيري تولى هذا الأمر، وكان لــه من سوء النية والطمع ما ليس لي، لما استطاع أن يحكم الشعب، فلو قد أردت أن أسمع لأحد الحزبين فأنفذ ما يريد، ثم أسمع للآخر فأحقق رجاءه، لفقدت هذه المدينة كثيراً من أبنائها. ولهذا اضطرتني مقاومة الحزبين إلى أن أجدني بمكان ذئب قد حصرته الكلاب من كل وجه "[1].

لقــد كانــت أول خطــوة بــدأ بهــا سولون عملية إقامة الديموقراطــية، هــو أنه وضع الدستور لمصلحة الجميع، ليصبح كل المواطنين في نظامه السياسي سواسية أمام القانون. ورغم أن سولون آمن بأن كثير من الأغنياء قد ساعدهم الحظ ليس غير، لكي ينعموا بأطايب العيش دون فضيلة يحوزونها، وأن هناك فضلاء هم خير منهم خلقاً ومع ذلك فإنهم يعيشون في عسر. لكن هذا السبب لم يجعلــه يــأخذ مــن هؤلاء ويعطي أولئك، لأنه رأى أن هذا الفعل فيه ظلم الفقراء للأغنياء، والديموقراطية الصحيحة لا ظلم فيها. يقول سولون: " إن الكــثيرين من الناس أغنياء ولكنهم لا يستحقون هذا الغنى، في حــين أن من هم خير منهم يقاسون الآم الفاقة، ولكننا لن نستبدل حــال هؤلاء الأغنياء بحالنا، لأن ميزتنا باقية دائماً، أما ميزتهم فإنها تنتقل من إنسان إلى إنسان)[2].

---

(1) أرسطاطاليس، نظام الاثينيين، مرجع سبق ذكره، ص ص 64 – 65 .

(2) ول ديورانت، قصة الحضارة، ج6، مرجع سبق ذكره، ص210 .

وقد رأى سولون أن المال ليس سبب السعادة، فثروة الغني كما يقول عنها (ليست أعظم من ثروة من لا يملك إلا معدته ورئتيه وقدميه، وهي الأعضاء التي تأتيه بالسرور ولا تأتيه بالألم، وليست خيراً من محاسن الفتى أو الفتاة، ونظرة شبابهِ أو شبابها، أو من وجود ينسجم مع صروف الأيام)[1].

لقد غضب الجميع حين قام سولون بما قام به، فلم يمِل إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، واشتد سخط الجميع. فقال حين أخذ الناس يشددون عليه في الملامة والمسألة " لأقولن للشعب، فليس لـــه بدٌ من هذه الصراحة المؤلمة : إنه قد يملك الآن من الثروة ما لم يكن يحلم به، فأما العظماء الذين هم أشد قوةً وبأساً فخليق بهم أن يحمدوا بلائي، وأن يتخذوني لهم صديقاً. فلو أن غيري مُنح ما منحته من شرف لما استطاع أن يحكم الشعب، ويهدئه دون أن يمخض اللبن ليستخلص الزبد[*]. ولكنني وقفت بين الفريقين كأني بين جيشين يقتتلان حداً لا سبيل إلى تجاوزه "[2].

النظام السياسي : بدأ سولون إقامة نظامه السياسي بالخطوات التالية:

1) إلغاء قوانين دراكون كلها، ولم يبق منها إلا القانون الذي ينص

---

(1) نفس المرجع السابق، ص 210 .

(*) يقصد بذلك دون أن يلجأ إلى العنف ليثبت النظام .

(2) أرسطاطاليس، نظام الاثينيين، مرجع سبق ذكره، ص 65 .

على أن القاتل يقتل[1].

2) تشريع قوانين جديدة، ونقشها على ألواح مثلثة عرضها في الرواق الملكي.

3) اســـتدعى الشعب وطلب منهم أن يقسموا جميعاً على الاحتفاظ بكـــل قوانيـــنه. وأقسم التسعة الموكلون بمنصب الأركون عند الحجر المقدس على أن يحافظوا على قوانينه، وأن من يخالفها يقدم تمـــثالاً من الذهب غرامةً. وأصبحت هذه اليمين التي استحدثها سولون عادة واجبة في حياة اليونان السياسية من بعده[2].

4) الإبقاء على ما كان من تقسيم المواطنين الأثينيين إلى أربع طبقات:

الطبقة الأولى: اليوبترد (الأشراف) : وهم من يملكون خمسمائة مديمنوس.

الطبقة الثانية: الهيي (الفرسان): وهم من يملكون ثلاثمائة مديمنوس.

الطبقة الثالثة: الزوجيتاي (الملاك والحرفيون) : وهم من يملكون مائتي مديمنوس.

الطبقة الرابعة: الثيتيس (الفقراء) : وهم من يملكون أقل من مائتي مديمنوس[3].

---

(1) ول ديورانت، قصة الحضارة، ج6، مرجع سبق ذكره، ص 216 .
(2) أرسطاطاليس، نظام الاثينيين، مرجع سبق ذكره، ص 54 .
(3) نفس المرجع السابق، ص ص 54 – 55 .

وهذا يبين أن الانتساب لأي من هذه الطبقات قد كان على أساس الإنتاج الزراعي[1].

5) جعل شغل المناصب السياسية الكبرى (الأركون - حفظة الخزانة - البوليتاي - الأحد عشر - الكولا كريتاي)[*] من حق الطبقات الثلاث الأولى مع مراعاة نصيبها في الثروة. أما (الثيتيس) فلم يكن لها سبيل لشغل تلك المناصب ويمكن إرجاع ذلك إلى طبيعة الظروف التاريخية التي شرع فيها سولون قوانينه، والتي كانت المناصب السياسية فيها تفرض على من يشغلها أعباء مالية يعجز أفراد طبقة (الثيتيس) عن تحملها. ولكن سولون حاول قدر جهده أن يعوض هذه الطبقة، فأعطاها مزايا تمثلت في:

أ- حق عضوية مجلس الشورى والجمعية العامة وهيئة المحلفين .

---

(1) راجع كلاً من :
أ- عاصم أحمد حسين، المدخل إلى تاريخ وحضارة الإغريق، مرجع سبق ذكره، ص ص 162- 163.
ب- موزيس فينيلي، ابتكار السياسة، مرجع سبق ذكره، ص 28 .
ج- جان بيار فرنان، أصول الفكر اليوناني، مرجع سبق ذكره، ص 82 .

(*) الأركون :أي رئيس الحكومة .
- حفظة الخزانة : وهم من يتولون شئون المحافظة على خزانة الدولة .
- البوليتاي : هم عشرة كانوا يقومون ببيع ما تأخذه الدولة من ثروة الذين تصادر اموالهم.
- الإحدى عشر: هم حفظة السجون.
- الكولا كريتاي : هم الذين يتولون الإنفاق على الموائد العامة .

ب- حق الاشتراك في جلسات جماعة الشعب[1].

ج- الإعفاء من الضرائب[2].

وكان ذلك تقدما كبيراً في أحوال هذه الطبقة .

6) إقرار قاعدة المساواة بين المواطنين[3]، والتي تمثلت في القانون الذي يطبق على الجميع، وكانت هذه المساواة سبباً في إنهاء ما ظفرت به الأرستقراطية قديماً من سلطان. فبعد أن كانت تسيطر على الحياة السياسية طبقة الأشراف التي تستمد من الدين قوهما، عمل سولون على إلغاء هذه الفكرة تماماً، وأحل عامل الثروة محلها، ذلك أنه كما يقول فوستيل دي كولانج "لم يعتقد سولون أن باستطاعته أن يُنسي الناس التفريق القديم القائم على الديانة الموروثة، إلا بإقامة تقسيم جديد مؤسس على الثروة. وقسم الناس إلى أربع طبقات، ومنحهم حقوقاً متفاوتة .. إذ أن أذهان الناس لا تقبل فوراً أن تكون المساواة مطلقة "[4].

وبالفعل نجح سولون بأسلوبه هذا، أن يكفل للديموقراطية أن

---

(1) أرسطاطاليس، نظام الاثينيين، مرجع سبق ذكره، ص55 .

(2) ول ديورانت، قصة الحضارة، ج6، مرجع سبق ذكره، ص 213 .

(3) راجع :

أ- موزيس فينيلي، ابتكار السياسة، مرجع سبق ذكره، ص 46 .

ب- جان بيار فرنان، أصول الفكر اليوناني، مرجع سبق ذكره، ص8 2 .

(4) فوستيل دي كولانج، المدينة العتيقة، مرجع سبق ذكره، ص 434 .

تتطور في اليونان على مر السنوات، بعد أن أدرك أن الناس لا يتقبلون التغيرات الاجتماعية الكبرى إلا بشكل تدريجي.

7) وضع نظاماً للضرائب يتناسب مع ما يحوزه الشخص من صنوف التشريف، فكان ما يدفعه الشخص من الضرائب متوافقاً مع المنصب الذي يشغله. وقد جعل سولون (ضريبة الأملاك) في صورة ضريبة دخل تصاعدية، فكان مقدار الضريبة المفروضة على الطبقة الأولى (12% من دخلها السنوي). والطبقة الثانية (10% من دخلها السنوي). والطبقة الثالثة (5% من دخلها السنوي) أما الطبقة الرابعة فأعفاها من الضرائب المباشرة .

المناصب السياسية :

1) **الحكومة (التسعة الذين يقومون بعمل الأركون)** : استحدث سولون نظاماً جديداً لاختيار عمال الحكومة قوامه :

أ- انتخاب كل قبيلة من قبائل أثينا الأربع، عشرة من أعضائها. فيكون العدد الإجمالي للمرشحين لشغل منصب الأركون = 4 × 10 = 40 شخصاً .

ب- الاقتراع بين هؤلاء المنتخبين، لاختيار تسعة منهم للقيام بعمل الأركون .

ج- دعوة مجلس الشيوخ (الأريوس باجوس)، لامتحان من وقع عليهم الاقتراع، فإذا ظهرت لـــه كفايتهم، خلى بينهم وبين

مناصبهم، وإذا لم تظهر لــه كفايتهم فلا يشغلون هذا المنصب، ويتم اختيار آخرين غيرهم من جديد .

2) **مجلس الشيوخ (الأريـوس بـاجوس) :** إذا كانت تشريعات سولون قـــد أبقـــت على هذا المجلس على رأس الدولة، فإنها قد غيرت طريقة تشكيله، بعد أن فتحت باب العضوية فيه لكل أفراد الطبقة الأولى، مهما كان أصلهم – المهم أن يكونوا مواطنين أثينيين – حيـــث كانـــت العضوية في هذا المجلس في السابق، حكراً على عائلات محددة ذات أصل نبيل. أما سلطات المجلس فحفظ لـــه بعضها، وجرده من بعضها، وأضاف لـــه سلطات جديدة :

أ- السلطات التي حفظت لـــه :

- سلطة حماية القوانين ومراقبة النظام .
- سلطة مراقبة جميع المواطنين .
- سلطة معاقبة أي شخص خالف القانون .
- سلطة فرض الغرامات، دون أن يلزم بشرح الأسباب التي دفعته إلى فرضها، على أن تؤدى قيمة تلك الغرامات إلى خزانة الحكومة .

ب- السلطات التي جرد منها :

- سلطة اختيار من يشغلون منصب الأركون، التي أصبحت من حق جميع المواطنين الأثينيين من خلال قبائلهم .

ج- السلطات التي أضيفت إليه :

- سلطة الحكم بالقضايا المتعلقة بما يقوم به خصوم الديموقراطية من مؤامرات لإسقاطها[1].

3) **مجلس الشورى (البولا)** : أنشأ سولون هذا المجلس، وجعلــه مؤلفاً من أربعمائة عضو، مئة عضو عن كل طبقة من الطبقات الأربع، ووظيفته اختيار القضايا والموضوعات التي تعرض على الجمعية العامة، وبحثها وإعدادها.

4) **الجمعية العامة (الأكليزيا)** : أنشأ سولون هذه الجمعية ودعا جميع المواطنين إلى الاشتراك في مناقشاتها. وحدد وظائفها في :

أ- الاختيار السنوي لمن يشغلون منصب الأركون (الجمعية تتكون من جميع المواطنين، إذاً تتكون من مجموعة القبائل الأربعة، وكان هذا الاختيار في السابق من اختصاص مجلس الأريوس باجوس .

ب- استجواب الأراكنة في أي وقت، وأن يوجه إليهم أي اتهام وأن توقع عليه العقوبات إذا رأت ضرورة ذلك، وحين تنتهي مدة توليهم للمناصب التي يشغلونها، تقوم بدورٍ الرقابة فتبحث في مسلكهم خلال مدة عملهم، وإذا رأت سوءً في مسلكهم فلها أن تحرمهم من حق عضوية مجلس الشيوخ[2].

---

(1) أرسطاطاليس، نظام الاثينيين، مرجع سبق ذكره، ص 58 .

(2) ول ديورانت، قصة الحضارة، ج6، مرجع سبق ذكره، ص214 .

5) **المحاكم الشعبية (الهيليائيا)** : وهي هيئة محلفين أقامها سولون، وجعل عدد أعضائها خمسة آلاف عضو، تألف منهم أنواع المحاكم الشعبية ويقول عنها أرنست باركر: "كان نظامها من ابتكاراته العظيمة"[1]. وفيها يستطيع أفقر المواطنين أن يأخذ مكانه كقاض.

اختصاصاتها : لهذه الهيئة أن تنظر في جميع القضايا (عدا القتل والخيانة) ويجوز أن ترفع لها الشكاوى من أعمال الحكومة على اختلاف ضروبها، وكان من حقها مراجعة سلوك أي موظف في نهاية مدة خدمته. ولها كذلك استئناف القضايا "ولما كان الخلاف بينهم- أي الشعب - وبين الحكام لا يمكن تسويته بتطبيق حرفية القانون، فقد كان عليهم أن يعرضوا جميع منازعاتهم على القضاة، وكان هؤلاء إلى حد ما سادة القوانين"[2]. وللقيام بذلك فقد "خولهم سولون وبعض الشارعين حق الانتخاب ومراقبة الحكام"[3]. ويقول جورج سباين "لقد أخضع سولون المحاكم لرقابة الشعب"[4].

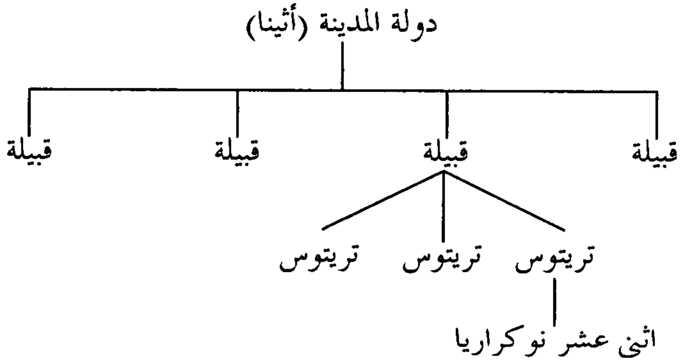
ولأن سولون كان ذا نزعة إنسانية، محبا للسلم والصلح، فقد نصت إحدى تشريعاته على أنه إذا أراد شخص أن يشتكي شخصا استدان منه مالا ، فلابد أولا أن يعطى الشخصين فرصة للتساوي

---

(1) أرنست باركر، النظرية السياسية عند اليونان، ج1، مرجع سبق ذكره، ص90.
(2) بلوتارك، عظماء اليونان والرومان، نقلا عن :
- ول ديورانت، قصة الحضارة، ج6، مرجع سبق ذكره، ص 215 .
(3) أرسطاطاليس، السياسة، مرجع سبق ذكره، ص208 .
(4) جورج سباين، تطور الفكر السياسي، ج1، مرجع سبق ذكره، ص 144 .

فيما بينهما بروح طيبة[1].

6) **الأقسام الإدارية لدولة مدينة أثينا :** أبقى سولون على التقسيم الإداري السابق للدولة، فظلت أثينا منقسمة إلى أربعة قبائل، وكل قبيلة تنقسم إلى ثلاث (تريتوس)، وكل (تريتوس) ينقسم إلى اثنى عشرة (نوكراريا) .



وهذا جدول توضيحي للمناصب السياسية التي أقامها سولون في نظامه السياسي، والطبقات التي يحق لها الاشتراك فيها :

المنصب	**الطبقات التي يحق لها شغله**
الحكومة (الأراكنة)	أفراد الطبقة الأولى
مجلس الشيوخ (الأريوس باجوس)	أفراد الطبقة الأولى
حفظة السجون	أفراد الطبقات الأولى والثانية والثالثة
البوليتاي	أفراد الطبقات الأولى والثانية والثالثة
الأحد عشر	أفراد الطبقات الأولى والثانية والثالثة

(1) أريستوفان، مسرحية السحب، مرجع سبق ذكره، ص 69 .

المنصب	الطبقات التي يحق لها شغله
الكولا كريتاي	أفراد الطبقات الأولى والثانية والثالثة
مجلس الشورى (البولا)	جميع أفراد الطبقات الأربع
الجمعية العامة (الإكليزيا)	جميع أفراد الطبقات الأربع
الهيليائيا (المحلفين).	جميع أفراد الطبقات الأربع

أصول الديموقراطية عند سولون : يقول أرسطاطاليس " ثلاثة أصول في كل ما وضعه سولون من نظام كانت فيما يظهر أميل إلى تأييد الديموقراطية :

أولها : وأحقها بالعناية إلغاء ما كانت قد جرت به العادة من تمكين الدائن من إخضاع المدين بأنواع القهر البدني .

والثاني : تخويل أعضاء المدينة عامة حق اتهام من اقترف الظلم على أي شخص كان.

والثالث : حق الاستئناف أمام مجالس الحكم"[1] .

فهــذه الأصــول الثلاثة في رأي أرسطاطاليس هي التجسيد الأهــم للنظام الديموقراطي الذي وضعه سولون، فحضره لاستعباد المديــن دلــيل عــلى أنــه رأى الناس سواسية، إيماناً منه بالعدالة الاجتماعية وبتساوي البشر من حيث إنسانيتهم ومن ثم تساويهم في حقوقهــم وواجباتهم السياسية. أما حق التقدم بالشكوى إلى المحاكم القضائية، ضد أي خارج عن القانون والذي منحه لجميع المواطنين،

(1) أرسطاطاليس، نظام الاثينيين، مرجع سبق ذكره، ص ص 59 – 60.
راجع كذلك :
- موزيس فينيلي، ابتكار السياسة، مرجع سبق ذكره، ص 131.

فدليل على انه رأى أن المساس بحقوق أي إنسان هو مساس بحقوق الجماعة السياسية كلها، عملاً بمبدأ التوازن وبفكرة حكم القانون العادل، أما تشريعه لحق الاستئناف أمام المحاكم فيعكس رغبته في أن تكون العدالة هي أساس القانون " فهذا فيما يقولون مصدر ما حصل عليه الشعب فيما بعد من قوة عظيمة، فإن جعل الشعب صاحب السلطان على الانتخاب يعدل جعل النظام السياسي خاضعاً لأمره"[1]. وإذ جعلت تشريعات سولون من الشعب صاحب السلطان (السيادة الشعبية)، والذي هو جوهر الديموقراطية وروحها. فذلك يجعل من سولون مؤسساً للنظام الديموقراطي وواضعاً لأركانه. وإذ كتب سولون قوانينه بعبارات مبهمة، فقد أدى ذلك إلى إثارة الجدل والنقاش حول معناها ودلالتها، واقتضى تحكيم مجالس القضاء التي جعل منها سولون أداة بيد الشعب وحده، وهو أمر زاد من حجم السلطة الشعبية، ووسع نطاقها في نظام سولون الديموقراطي ولذا يقول أرسطاطاليس : " أما سولون فإنه شارع عظيم ... قضى على كل سلطان للأوليجارشية، وأنهى استعباد الشعب، وكون الديموقراطية الوطنية بتوازن صادق للأنظمة، التي هي أوليجارشية في مجلس الشيوخ، أرستقراطية في انتخاب الحكام، ديموقراطية في ترتيب المحاكم. غير أنه محقق فيما يظهر أن سولون قد احتفظ بمجلس الشيوخ ومبدأ الانتخاب للحكام على ما وجدهما عليه. وأنه أنشأ فقط سلطة الأمة بأن فتح أبواب الوظائف القضائية لجميع الأهالي "[2].

---

(1) أرسطاطاليس، نظام الاثينيين، مرجع سبق ذكره، ص 60 .

(2) أرسطاطاليس، السياسة، مرجع سبق ذكره، ص171 .

وإذا فإن سلطة الأمة قد تجسدت في الجانب القضائي عملاً بمبدئه سلطة القانون. وقد انقسم مفسرو دستور سولون إلى فريقين: فريق قال بأن دستوره ديموقراطي تماماً، وفريق قال إنه مزيج معتدل لا هو بالديموقراطي ولا هو بالأوليجارشي .

لكن إذا كانت الديموقراطية هي حكم الشعب وسلطته، وأرسطاطاليس أحد أهم علماء السياسة ودارسيها يشهد بأن سولون هو مؤسس حكم المواطنين (الشعب) أو سلطتهم، فهذه إذاً شهادة بأن سولون هو مؤسس النظام الديموقراطي، وإذا كان النظام السياسي الذي أقامه سولون هو نظام ديموقراطي، فلا بد أن يكون دستوره دستوراً ديموقراطياً، وليست هذه الشهادة الوحيدة في هذا الخصوص، فهناك أيضاً شهادة الحكيم انكرسيس الإسكوذي، صديق سولون ومعارضه في آن واحد، والذي يقول إن دستور سولون قد منح عامة الشعب الحقوق السياسية وأجلسهم فوق منصة القضاء، وهو يعارض هذا الدستور الذي يرى أنه أدى إلى " أن الحكماء قد أصبحوا يترافعون والحمقى يحكمون "[1].

كما أن هناك آخرين سجل أرسطاطاليس آراءهم التي انتقدوا بها سولون، كمؤسس لسلطة الشعب، فقد عابوا عليه أنه " قضى على سلطة مجلس الشيوخ وسلطة الحكام المنتخبين، بأن جعل الهيئة تلغي المعينة بالقرعة هي السيدة العليا للدولة. فلما وضع هنا القانون أنتج تملك الشعب كما يملك الطاغية، بأن تدار أعمال الدولة

---

(1) بول فريشارو، الجنس في العلم القديم، مرجع سبق ذكره، ص 354 .

بالديموقراطية كما نراها في أيامنا هذه "[1].

فإذا كان سولون أول من أقام النظام الديموقراطي، وإذا كانت الحضارات السابقة والمعاصرة لـــه لم تعرف فكرة الديموقراطية، وإذا كان جوهر الديموقراطية عنده متمثل في حكم الشعب الذي جعلـــه سيداً يحكم ولا يُحكم، وجعل اتخاذ القرارات السياسية رهناً برضاهم وإرادقم، فيكون سولون أول من وضع أسس النظام الديموقراطي النظرية والعملية، وأول من شرع دستوراً ديموقراطياً مستخدماً في ذلك التشريعات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية .

الأصل الإنساني للتشريع : رد سولون أصل جميع ما وضعه من قوانين وما استنه من شرائع إلى مصدر إنساني، فقال إنه واضع هذه القوانين، و لم يدعِ أنه تلقاها من السماء فأوحيت إليه، بل صرح بأنها اجتهاد شخصي منه راعى فيه:

1) الإمكانيات المتاحة له، فلقد سئل: هل سننت للأثينيين أحسن الشرائع وأفضلها؟ فأجاب قائلاً: لا لم أسن لهم أفضل القوانين، بل سننت لهم خير ما يستطيعون أن يعطوه[2]. أي سن لهم شرائع على حسب إمكانيات الشعب المادية، فحافظ على تقسيم الدولة إلى أربع طبقات كما تقدم القول، وإمكانته المعنوية، فهو وإن حارب الدعارة لم يستطع أن يلغيها إلغاءً تاماً وما كان الأثينيون سيقبلون منه ذلك لذا قلل منها ما استطاع و لم يلغها .

(1) أرسطاطاليس، السياسة، مرجع سبق ذكره، ص ص 177 - 178 .

(2) ول ديورانت، قصة الحضارة، ج6، مرجع سبق ذكره، ص 218 .

2) الظروف الزمنية، وما يصاحبها من تطور واستحالة، فقد أدرك أن الحضارة الإنسانية خاضعة لقوانين التطور، ولذا فإنه لما قدر بقاء شرائعه على حالها لا تنسخ قدر لها مئة عام ولم يقل أنها خالدة أبد الدهر .

3) الطبيعة الإنسانية للقوانين لمن تسري عليهم، وهذا يتضح حين تتم مقارنة سولون بالمشرع السابق له دراكون، والذي جعل من القسوة الشديدة روح قوانينه. أما قوانين سولون فهي قوانين سمحة تخاطب بشراً لا ملائكة مترهين، فقد سبر سولون أغوار الطبيعة البشرية وعرف كوامنها وغوامضها، ويظهر لك في قوله لقد شرعت القوانين للأخيار والأشرار. فقد أدرك الإنسان فيه من الخير ومن الشر جميعاً فوضع قوانين تتوافق مع قدرة الإنسان ولا تسمو عليه. يقول فوستيل دي كولانج : " لقد كان شيئاً جديداً جداً ألا يطلب سولون لأشكال الحكومة والقوانين غير قيمة نسبية، أعلنت الدساتير القديمة المؤسسة على قواعد العبادة أنها معصومة من الخطأ وغير قابلة للتبديل، فكانت فيها صرامة الديانة وصلابتها، فبين سولون بهذه العبارة بأنه يجب أن تتمشى الأنظمة السياسية في المستقبل مع حاجات أهل كل مجتمع وعصر ومنافعهم . لم يعد الأمر حقيقة مطلقة وأصبح من الواجب أن تكون قواعد الحكومة من الآن مرنة ومتغيرة"(1).

وسولون حين أرجع هذه القوانين إلى نفسه أي إلى مصدر

(1) فوستيل دي كولانج، المدينة العتيقة، مرجع سبق ذكره، ص 430 .

إنساني، يكون بذلك أول مشرع في التاريخ لم يقل بأن السماء هي التي أنزلت عليه شرائعه[1].

فشريعة حمورابي تقول في مقدمتها بأن الآلهة هي التي أعطت حمورابي شرائعه " ناداني آنو وأنليل من أجل الشعب ورخائه باسم حمو - رابي، أي الأمير الذي يخاف الله، وأمرني بأن أقيم العدل في الأرض وأن اقتلع جذور الشر والأشرار.. عندما أمرني مردوك أن أهيئ العدل لشعب الأرض، فيفوز بحكم خير قمت بإحقاق الحق والعدل في أرجاء الأرض"[2].

والقوانين العبرية تقول أن اللـــه هو الذي أعطى موسى عليه السلام الألواح التي تتضمن شريعته "وقال الرب لموسى اصعد الجبل وكن هناك وسأعطيك لوحي الحجارة والشريعة والوصية التي كتبتها لتعليمهم"[3].

طبيعة السلطة السياسية : تقدم القول في الفصل الأول أن السلطة السياسية كانت ذات أصل إلهي سماوي في اليونان القديمة قبل سولون، وإن رأى اليونان إمكانية انتقاها من شخص لآخر دون أن تفقد طابعها المقدس هذا.

والأثر المهم الذي أحدثه سولون عندما أسس الديموقراطية وأقامها دستوراً وحكومة ومؤسسات سياسية، هو أنه ألغى فكرة

(1) بول فريشارو، الجنس في العلم القديم، مرجع سبق ذكره، ص 353 .
(2) حمورابي، قوانين حمورابي، مرجع سبق ذكره، ص 17 وص 23 .
(3) نفس المرجع السابق ،ص 23 .

قداسة السلطة السياسية إلغاء تاماً وقلبها رأساً على عقب، جاعلاً أصلها ومصدرها أصلاً ومصدراً إنسانيين وطبيعتها مجتمعية مدنية بشرية، وتم ذلك لديه فكرة وتطبيقاً:

أ- فمن الناحية النظرية : أقام فكره السياسي على مبادئ رئيسية (مبدأ الوسط - مبدأ العدالة الاجتماعية - مبدأ التوازن - مبدأ سلطة القانون). وهذه المبادئ نبعت منها وتجسدت فيها فكرة الديموقراطية عنده، وقال صراحة إنه لم يتلقَ تشريعاته من لدن الآلهة أو السماء، بل إنها نتاج لفكره البشري، كما اعترف بما في دستوره من عيوب، و لم يقل أن قوانينه تصلح لكل زمان ومكان، وإنما هي نتاج لحقبة فكرية وتاريخية معينة، وإنها قابلة للتطور وفقاً لقوانين التطور الإنساني، وبذلك جعل من المجتمع السياسي مصدراً لأفكاره السياسية، وأصل الدول والحكومات ،ويذكر جان بيار فرنان أن (سولون كان أول من رفض الخضوع)[1]. ويقول إنه قد أحل القوانين الوضعية محل السلطة السياسية التي كانت مستندة إلى القوة الدينية، فأصبحت القاعدة العليا هي التي تحدد نظام توزيع الحقوق، إنها القوانين المكتوبة التي حلت محل اختبار القوة الذي كان ينتصر فيه الأقوياء دوماً .

ب- ومـــن الناحية التطبيقية: وضع نظامه السياسي ومؤسساته بحيث ترتكـــز عـــلى الفكر الإنساني و لم يدَّعي لها صفة القداسة، وهيأ الأسباب لكي تتم العملية السياسية والسياسة العامة بما يخدم المجتمع

---

(1) جان بيار فرنان، أصول الفكر اليوناني، مرجع سبق ذكره، ص 82 .

البشـــري، ويدور حوله، وإذاً فالسلطة السياسية لديه تدور حول الجماعة البشرية المتمدينة، يقول فوستيل دي كولانج عن الأثينيين قـــبل ســـولون " كان رأي الكاهن أو الحاكم المقدس ذا سلطان عظيم. أما حين وضع سولون تشريعاته فإنهم قد أصبحوا يصوتون على كل شيء، كان لابد من أخذ أراء الجميع ليتأكدوا من معرفة مصـــلحة الجميع. أصبح التصويت هو الوسيلة الكبرى للحكومة. أصبح منبع الأنظمة وقاعدة الشرع، وقرر النافع بل العادل، لأصبح فوق الحكام بل فوق القوانين، أصبح سيد الجميع في المدينة "[1].

وقد غير سولون طبيعة السلطة السياسية ووظيفتها تغييراً جوهرياً، عندما غير الفكرة الدينية التي كانت تسيطر على الحياة السياسية وجعل حكم الشعب هو الأساس، وغير جوهر وظيفة الحكومة تغييراً كاملاً. يقول فوستيل دي كولانج إنه بسبب تشريعات سولون وأفكاره السياسية "تغيرت الحكومة أيضاً، لم تعد وظيفتها الجوهرية القيام بالاحتفالات الدينية قياماً منظماً، بل أصبحت مكونة على الأخص للمحافظة على النظام والسلم في الداخل، والكرامة والسلطة في الخارج. وما كان في الدرجة الثانية فيما سبق انتقل إلى الدرجة الأولى تقدمت السياسية على الديانة وأصبحت حكومة البشر شيئاً إنسانياً"[2].

وكان من أهم نتائج عمل سولون هذا، تغيير أصل السلطة السياسية وطبيعتها، لتصبح سلطة إنسانية اجتماعية بعد أن كانت إلهية

(1) فوستيل دي كولانج، المدينة العتيقة، مرجع سبق ذكره، ص 431 .

(2) نفس المرجع السابق، ص 431 .

مقدسة، وكان هو أول من وضع أسس النظام الديموقراطي في العالم .

فإذا كان سولون أول من أقام النظام الديمقراطي، وإذا كانت الحضارات السابقة والمعاصرة لـــه لم تعرف فكرة الديمقراطية، وإذا كان جوهر الديمقراطية عنده متمثل في حكم الشعب الذي جعلـــه سيدا يحكم ولا يحكم، وجعل اتخاذ القرارت السياسية رهنا برضاة وإرادته، فيكون سولون أول من وضع أسس النظام الديمقراطي النظرية والعملية، وأول من شرع دستورا ديمقراطيا مستخدما في ذلك التشريعيات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية.

تطور فكرة الديمقراطية بعد سولون : عـــندما أقام سولون الديمقراطـــية فقد أقام حدثاً رائعاً جديداً فما كان الناس من قبلـــه يعهـــدون أن تعطـــى لهم السلطة السياسية ويكون الحكم بأيديهم ، وكـــان النظام الذي أتى به سولون غريباً على العقول، فلم يستطع الجمـــيع تقبل أفكاره السياسية أو فهمها فكثر الخلاف حولها، ولم يعـــرف اليونانيون حينذاك أن حكيمهم قد أحدث تغييراً خطيراً في مســـار الحـــياة الإنسانية، لذا لم تمض سنوات حتى عادت أثينا إلى الاضطراب، ثم ظفرا بيزستراتوس بالسلطان وأصبح طاغية يحكم أثينا وخلفه من بعده بنوه، الذين أسرفوا وكانوا من المفسدين .فاضطربت الـــبلاد مـــن بعدهـــم ثم عادت إلى الاستقرار وفي كل ذلك يتذكر اليونانـــيون سولون فيحسون بالندم لأنهم خالفوا تشريعاته العظيمة. فـــلما اســـتقرت الـــبلاد جاء كليستين وحاول أن يعود بأثينا إلى الديمقراطية ووفق في ذلك، فأخذت البلاد من بعده ترتقي حتى بلغت بـــنظامها الديمقراطي أمة النضوج في عهد بركليس، لتضطرب البلاد

مـــن جديد مع قيام حرب البلبونيز. ثم جاء استقرار مؤقت بعد أن خسرت أثينا تلك الحرب، فكان ذلك مقدمة لظهور القوة المقدونية التي أفقدت أثينا حريتها، فبدأت أفكار الناس تضطرب وبدأت فكرة الديمقراطية تتلاشى بعد أن سقطت أثينا في المقدونيين .

هذه حال الديمقراطية في أثينا أبتداءً من سولون أول من ابتكرها وطبقها ، وحتى سقوط المدينة في يد الاسكندر.

أما حال الديمقراطية بشكل عام: فإنه لما وضع سولون أفكاره كان حالـــه حال معظم العلماء والفلاسفة العظماء في كل العصور، يقابلون بالســـخرية واللامـــبالاة ولا يؤبـــه بحكمـــته ثم يقع الناس في المكروه فيتذكرونهم ويأسفون عليهم ويندمون على ظلمهم لهم وإنكارهم إياهم ، فيحاولون أن يرجعوا إلى أفكارهم وأن يسلكوا السبيل الذي رسموه له.

فعندما جاء سولون بما جاء به سخر الناس منه ثم أكبروه من بعد، فأخذت أفكاره تنتشر وحين عرفت شعوب الأرض في العصور الحديثة قدستها وبذلت النفوس لأجال الظفر بها، ثم زادوا على أفكاره أو انقصوا منها ، فخضعت فكرة الديمقراطية للتطور التاريخي ثم تشعبت وتعددت أنواعها وضروبها، ولازال الجدال اليوم حول أي أنواعها هو الأفضل والأسمى وهل هي نوع واحد صادق وغيره الباطل، أم هناك ديمقراطيات تصلح لشعوب دون أخرى، دون أن يلغي هذا الجدل حقيقة أن جوهر الديمقراطية واحد وهو الذي جاء به سولون ووضع أساسه وجعل فيه السلطة للشعب وبالشعب، فهو جوهر دائم لا يتغير وأن تغيرت أدوات وسبل تحقيقه.

الخاتمــة

عالج هذا البحث موضوعا يتصل بالفلسفة السياسية اليونانية، وهو فكر سولون السياسي. وقد انطلق الباحث من فرضية قوامها: إن الفكر السياسي عند سولون قد ساهم في نشوء الديموقراطية. وقد تم تقسيم هذه الدراسة إلى ثلاثة فصول:

الفصل الأول: درس الحياة في اليونان القديمة ليكون فهم البيئة الاجتماعية والثقافية والسياسية والقانونية، التي عاش فيها سولون، مدخلا لفهم أثر هذه البيئة في فكر سولون ونشاطه السياسي.

الفصل الثاني: درس حياة سولون بصفة عامة سواء كشخص تميز بالحكمة، أو كشاعر وفيلسوف وعالم.. الخ. أو حياته السياسية، أي النشاطات السياسية التي قام بها، أو المناصب السياسية التي تولاها.

الفصل الثالث: اهتم بتحليل السياسة عند سولون من خلال تحديد المبادئ التي انطلق منها والمتمثلة في أربعة مبادئ رئيسية (مبدأ الوسط- مبدأ العدالة الاجتماعية- مبدأ التوازن- مبدأ سلطة القانون). ومن ثم دراسة تطبيقاته العملية في المجال السياسي، وهي تشريعاته ونظامه السياسي الذي أقامه.

وللتحقق من مضمون الفرضية الذي يفيد بأن سولون، هو أول من أقام نظاما ديموقراطيا في العالم، فقد تمت دراسة الفكر السياسي في

الحضارات القديمة التي سبقته أو عاصرته. حيث تبين أنها لم تعرف فكرة الديموقراطية، و لم تشهد أي منها قيام نظام سياسي ديموقراطي.

وإذا اعتبرت الديموقراطية وسطا قانونيا وسياسيا بين الأنظمة، لأنها نظام يسعى إلى أن لا يفرط في إعطاء الحقوق السياسية والقانونية لأي مواطن ولا يفرط في ذلك. فإن سولون وقد أخذ بفكرة الوسط في فكره ونظامه السياسيين، يكون بذلك مؤسس الديموقراطية فكرا وتطبيقا.

وإذا كانت الديموقراطية تسعى إلى إقامة التوازن بين المواطنين، فلا تعطي حقوقا سياسية لمواطن على حساب مواطن آخر، وإنما تكون السلطة السياسية فيها قائمة بشكل متوازن، فإن سولون بأخذه بهذه الفكرة يكون مؤسس النظام الديموقراطي.

وإذا اعتبرنا أن الديموقراطية هي نظام يعمل على تحقيق العدالة الاجتماعية، وربطها بالعدالة السياسية فأن سولون قد عمل على تحقيق ذلك يكون صاحب أول نظام ديموقراطي.

وإذا كانت الديموقراطية هى النظام السياسى التى تتحقق فيه فكرة حكم القانون، وكان سولون هو أول من طبق هذه الفكرة في المجال السياسى، فإنه يكون أول من أقام نظاما ديموقراطيا في العالم. وبذلك فإن نتائج هذه الدراسة تثبت صحة فرضيتها القائلة بأن سولون هو مؤسس الديموقراطية ومنشئها. سواء على المستوى النظري أو على المستوى العملي. فهو أول من فكر في الديموقراطية

وأول من طبقها على أرض الواقع عندما أصدر أول دستور ديموقراطي في العالم. إلا أن ذلك لا يعني أنه حين وضع الديموقراطية وشرع لها، قد وضعها كاملة متكاملة. فمن المعروف أن أي عمل حين يستحدث لأول مرة لابد أن يكون فيه شيء من القصور، كما يجب أن نراعي الظروف التاريخية التي عاش فيها سولون، يقول أرسطاطاليس عن سولون: (من الحق علينا، إذا أردنا أن نحكم على ما كان له من غرض، ألا نبني حكمنا على ما هو كائن اليوم بل على ما كان في عصره[1].

وقد يتساءل القاريء ما الغاية التي تهدف إليها هذه الدراسة ؟ يمكن الإجابة على هذا التساؤل في النقطتين التاليين :-

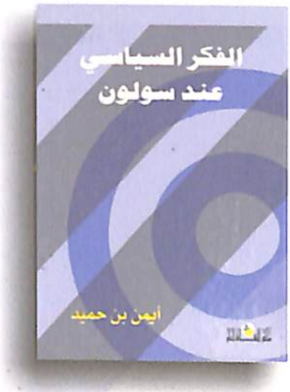
1- هذه الدراسة تشرح وتبين نشأة ظاهرة الديمقراطية، ومن المعروف أن فهم أسباب النشأة لأية ظاهرة يعيننا على فهم هذه الظاهرة .

2- أن هذه الدراسة كانت محاولة بسيطة للفت الانتباه إلى دراسة الفكر اليوناني القديم ، فهو فكر ثري بالحكم ، التي نستفيد منها في عصرنا الحديث للمساعدة على الرقي والتطور الحضاري ، ودليل ذلك أن الأوربيين في العصور الوسطى أو ما تسمى بعصور الظلام، حين كانوا يقعون على كتاب يوناني يعرضون عنه ويزدرونه قائلين يوناني فلا يقرأ ، حتى جرت هذه الكلمة مثلا

(1) أرسطاطاليس، نظام الأثينين، مرجع سبق ذكره، ص 60 .

عندهم. فلما عرف الأوربيون أهمية الفكر اليوناني، أصبحوا يهتمون به ويجتهدون في شرحه وتفسيره، فكان ذلك أحد العوامل المهمة التي لعبت دورا أساسيا في قيام عصر النهضة الأوربية ، وكذلك أحد العوامل المهمة في ازدهار هذه النهضة. لذا وجب علينا أن نستفيد نحن أيضا من هذا الفكر اليوناني الذي يعتبر تراثا قيما للإنسانية كلها ، قد نجد فيما تركه لنا حكماء اليونان حلولا لكثير من المشاكل التي نرها اليوم في عصرنا الحديث.

فهــرس



- يقدم مجلس الثقافة العام للقارىء الكريم مجموعةً من إصداراته الجديدة المتنوعة، التي تتضمن أجناسًا أدبيةً وفنيةً، تهدف إلى دعم الكتاب ونشر المعرفة وتنمية الذائقة الجمالية وإثراء الحركة الثقافية .. آمِلاً إسهامًا جادًّا يضيف إلى الحراك الثقافي رصيدًا مميزًا وفضاءً جديدًا للمعرفة وللحياة.

مجلس الثقافة العام